الأكثر مبيعاً

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

روابط عائلية

Family Ties

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

اقرأ أيضاً لدانيال ستيل







ISBN 978-614-01-0367-2



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

روابط عائلية

Family Ties

دانيال ستيل
DANIELLE STEEL

ترجمة
روي معوض

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

الفصل الأول

غادر سيث آدامز شقة آني فيرغوسون في ويست فيلاج بعد ظهر يوم أحد مشمس من شهر سبتمبر. كان وسيماً، ومرحاً، وذكياً، وحلو المعشر. وكانا يتواعدان منذ شهرين. التقيا في حفلة غداء في الهواء الطلق في الرابع من يوليو في هامبتونز، وكان متحمساً لمهنته بقدر ما كانت متحمسة لمهنتها. لقد تخرج من كلية الأعمال في جامعة هارفارد قبل عامين، وهو يستمتع بنجاح صاروخي في مصرف استثمار في وول ستريت. أما آني فتخرجت من كلية الهندسة المعمارية في جامعة كولومبيا قبل ستة أشهر، وهي متحمسة جداً لوظيفتها الأولى مع مجموعة هندسية مهمة. لقد حققت حلمها. ولقد لمح كلّ من هذا الثنائي الوسيم الآخر عبر قاعة مزدحمة بالناس، وكان الإعجاب من النظرة الأولى. إنه صيف رائع لغاية الآن، وهما يتحدثان عن استئجار منزل للتزلج مع بعض أصدقائهما. إنهما واقعان في الغرام، ومتشوقان إلى تمضية أوقات جيدة مع بعضهما.

تعيش آني أجمل أيام حياتها: عطلات نهاية أسبوع مع سيث، وأوقات سعيدة تمضيها على متن مركب شراعي صغير جميل اشتراه للتو. إنها تملك كل شيء؛ رجلاً جديداً، ومنزلاً جديداً، وخطوة أولى كبيرة في المهنة التي عملت بكد للوصول إليها. عمرها ستة وعشرون عاماً. وهي طويلة وشقراء، وجميلة. تستطيع ابتسامتها تذويب العالم بأكمله، وحياتها في هذه الأيام هي كل ما حلمت به.

أجبرت سيث على المغادرة بعد الظهر بعد عطلة نهاية أسبوع أخرى مثالية على متن مركبه، لأن لديها عملاً يجب إنجازه. أرادت

تخصيص بعض الوقت لإنجاز مشروعها الأول الكبير لزبون ستلتقيه في اليوم التالي. عرفت أن عليها كسب إعجابه، والخرائط التي تعمل عليها منجزة بدقة فائقة، وأظهر مديرها المباشر الكثير من الاحترام لأفكارها وأعطاها فرصة لتبرز. كانت آني تجلس أمام طاولة الرسم عندما رنّ هاتفها الخلوي. ظنت أنه قد يكون سيث بالرغم من مغادرته شقتها قبل خمس دقائق. فهو يتصل بها أحياناً وهو في طريقه إلى المنزل ليقول لها كم هو مشتاق إليها.

ابتسمت وهي تفكر فيه، ثم لاحظت من كاشف الأرقام أنها جاين، أختها التي تكبرها بعشر سنوات. تحب الأختان بعضهما كثيراً، وكانت جاين مثل أم لها بعد وفاة والديهما حين كانت آني في الثامنة عشرة من عمرها. جاين سعيدة جداً في زواجها، وتعيش في غرينيتش، كونيكتيكوت، ولديها ثلاثة أولاد رائعين. تبدو الأختان تقريباً وكأنهما توأم. فجاين نسخة أكبر قليلاً عن آني، وهي تتطلع للقاء سيث. كل ما تتمناه لآني هو أن تعثر على شخص رائع بقدر زوجها بيل، وأن يكون زواجها سعيداً مثلها في يوم من الأيام. جاين وبيل مارشال متزوجان منذ أربعة عشر عاماً، ولا يزالان يتصرفان وكأنهما في شهر العسل. إنهما الثنائي الذي تأمل آني أن تحذو حذوه في يوم من الأيام، لكنها مركزة في الوقت الحاضر على مهنتها الجديدة، بالرغم من الإلهاء الجميل الذي وفّره لها سيث خلال الشهرين الماضيين. أرادت آني أن تصبح مهندسة معمارية عظيمة يوماً ما.

سألت جاين همساً: «هل هو عندك؟». فضحكت آني. جاين معدّة رسوم لكتب الأطفال وفنانة بارعة، لكنها اهتمت دوماً بزوجها وأولادها أكثر من اهتمامها بمهنتها. أمّا بيل فيملك دار نشر صغيرة وإنما محترمة. أمضيا عطلة نهاية الأسبوع في مارثا فينيارد، وأغلقا المنزل الصيفي، واستمتعا بعطلة نهاية أسبوع رومنسية بعيداً عن أولادهما الثلاثة.

أجابت آني: «لقد غادر للتو».

بدت جاين خائبة الأمل وهي تقول: «لماذا غادر باكراً جداً؟».

«عليّ أن أعمل. لديّ عرض كبير غداً، لزبون مهم، وأريد العمل على الخرائط».

«فتاة جيدة». كانت جاين فخورة جداً بأختها الصغرى. إنها نجمة في عينيها. «سنكون في المنزل بعد ساعتين. لقد غادرنا للتو. بيل يحضّر الطائرة. كانت عطلة نهاية أسبوع رائعة هنا. أكره إغلاق المنزل». إنهما يحبان فينيارد، وكذلك أولادهما. اشتريا المنزل بعدما رزقا بابنتهما الكبرى ليز. إنها الآن في الثانية عشرة من عمرها، ونسخة عن أمها. أمّا تيد ففي الثامنة، ويشبه بيل، وهو دمث مثله، ويمتلك أسلوبه في الحياة نفسه. لقد أحبت جاين القول إن ابنتهما الصغرى كايت قد جاءت من كوكب آخر. ففي عمرها البالغ خمسة أعوام، تملك كايت آراء في كل شيء، وهي ذكية على نحو مذهل، ولا تهاب أي شيء. إنها روح كبيرة في جسم طفلة، وقالت دوماً إنها هي وخالتها آني أفضل صديقتين. سألتها جاين: «كيف الطقس في نيويورك؟». إنه موسم أعاصير، لكن الطقس في فينيارد كان جيداً.

أجابت آني: «كان حاراً ومشمساً طوال عطلة نهاية الأسبوع، غير أنهم قالوا إن عاصفة ستصل الليلة. ولكن، لا يبدو لي هذا».

«إنهم يتوقعون عاصفة هنا أيضاً؛ هبّت الرياح قبل ساعة، لكن الطقس يبدو جيداً لغاية الآن. يريد بيل الوصول إلى المنزل قبل بدء العاصفة». كان يلوّح لها من الطائرة حينها، فأمسكت جاين بكوب القهوة البلاستيكي، ومشت نحوه، فيما أنهت المحادثة مع آني: «سأتصل بك حين أصل إلى المنزل. لا تعملي بكدّ كبير... أحبك. لماذا لا تحضرين سيث لتناول العشاء في عطلة نهاية الأسبوع المقبل؟».

قالت آني بارتياح: «سأحاول. قد أضطر إلى العمل، حسب سير اللقاء غداً. أنا أحبك أيضاً. اتصلي بي لاحقاً». وأنهت المكالمة، ثم عادت إلى العمل. بسطت المخططات أمامها وتأملتها بعناية. لاحظت

بعض التعديلات التي أرادت إنجازها، وهي تعديلات طفيفة، لكنها مثالية وتريد أن يكون كل شيء خالياً من العيوب في اليوم التالي. بدأت ببطء، وأجرت بدقة التعديلات التي فكرت فيها طوال عطلة نهاية الأسبوع.

صعدت جاين إلى الطائرة التي تعتبر مصدر فخر زوجها وفرحه. كان طياراً في البحرية، وأغرم بالطائرات طوال حياته. إنها أكبر طائرة امتلكاها لغاية الآن. إنها سيسنا 414 تشانسلور تتسع لثمانية أشخاص. إنها مثالية لهما، ولأولادهما الثلاثة، ومربية أطفالهما ماغدالينا حين تأتي إلى فينيارد معهم، ويبقى مكان لصديقين، أو لجبل أكياس التسوق والحقائب التي تنقلها جاين دوماً ذهاباً وإياباً بين غرينيتش وفينيارد. الطائرة فخمة، لكنها تعني لبيل أكثر من منزلهما، وهي أكثر شيء يحبه بين ممتلكاته. لطالما شعرت جاين بالأمان حين يقود بيل الطائرة، أكثر مما تفعل في أي رحلة تجارية. وهو واسع الاطلاع على أحدث التطورات، ويبقي رخصته صالحة دوماً.

قال ممازحاً: «ادخلي إلى هنا». فيما وضعت كيس تسوق آخر في الطائرة. «ثمة عاصفة آتية، وأريد أن نصل إلى المنزل قبلها». كانت السماء تظلم فيما كان يقول ذلك، وطار شعر جاين الأشقر الطويل في الريح. دخلت الطائرة، وانحنى لتقبيلها، ثم ركز على أقراص الأرقام الموجودة أمامه. حصل على إذن بالإقلاع، ولديهم المعدات اللازمة إذا ساءت أحوال الطقس. وضع بيل السماعتين على رأسه، وتحدث إلى برج المراقبة، فيما أخرجت جاين مجلة من حقيبتها. كانت تحب المجلات الفنية، والاطلاع على أخبار النجمات المشهورات، وقصص غرامهن وانفصالهن، وكانت تناقشها مع آني كما لو أن المشاهير من أصدقائهما. ولطالما أحب بيل ممازحتهما بشأن ذلك.

راقب السماء بعناية فيما أقلعا وسط رياح قوية، وارتفع بسرعة إلى العلو الذي حدده له برج المراقبة. سيهبطان في مطار منطقة ويستشستر

بعد ساعة تقريباً. إنها رحلة سهلة، وعليه الانتباه إلى حركة الطائرات حول بوسطن. تحدث بود إلى برج المراقبة مرات عدة وابتسم لجاين. لقد أمضيا عطلة نهاية أسبوع جميلة. وهو بقدر ما يحب أولاده، إلاّ أنّ الابتعاد عنهم والحصول على اهتمام جاين به وحده أمر جميل.

قالت جاين ضاحكة: «تبدو آني جدية بشأن رجلها الجديد».

«لن تكوني سعيدة إلا عندما تزوجينها». كان يعرف زوجته جيداً، وعرفا كلاهما أنه محق. «لا تزال صغيرة، وقد بدأت وظيفتها الأولى للتو».

ذكّرته: «كنت في الثانية والعشرين عندما تزوجتك. آني في السادسة والعشرين».

«لم تكوني جدية بشأن مهنتك مثلها. أعطيها فرصة. ليست عانساً بالضبط». لا يمكن أبداً أن تصبح هكذا في يوم من الأيام. إنها شابة وجميلة، ويطاردها الرجال على الدوام. لكن بيل محق؛ لقد أرادت آني إثبات نفسها كمهندسة معمارية قبل أن تستقر وتتزوّج، وبدا هذا منطقياً بالنسبة إليه. لقد أحبت أن تكون خالة، لكنها ليست مستعدة لإنجاب أولاد.

لاحظت جاين أن بيل بدا شارد الذهن حينها، ويركز على السماء المعتمة. أصبح الهواء متقلباً، ولاحظت جاين أنهما متوجهان نحو عاصفة. لم تقل أي شيء لبيل، لأنها لا تحب إزعاجه عندما يقود الطائرة، ولذلك نظرت إلى خارج النافذة ثم فتحت مجلتها، وارتشفت القليل من قهوتها. بعد برهة، انسكبت القهوة في حضنها فيما بدأت الطائرة ترتج.

«ما هذا؟».

قال: «ثمة عاصفة آتية». وركّز عينيه على أقراص الأرقام، وأبلغ برج المراقبة بأنهما يواجهان الكثير من التقلبات الجوية، وحصل على إذن للتحليق على علو أكثر انخفاضاً. استطاعت جاين رؤية طائرة كبيرة تحلق فوقهما إلى اليسار، وهي آتية من أوروبا ربما، ومتوجهة إلى مطار لوغان أو مطار جون كينيدي.

اسـتمرت طائرتهما بالارتجاج حتـى على العلو المنخفض، وازداد الأمر سوءاً خلال دقائق، ورأت جاين برقاً في السماء.

«هل يجدر بنا الهبوط؟».

أجـاب: «لا، نحـن بخير». وابتسم لها ابتسـامة مطمئنـة، فيما بدأ المطر يهطل. أصبحا فوق شاطئ كونيكتيكوت حينها، واستدار بيل لقول شيء لها عندما حصل انفجار في المحرك الأيسر وكأنه قنبلة، وانحرفت الطائرة بجنون، فيما ركّز بيل على أجهزة التحكم.

قالت جاين بصـوت أجش: «اللعنة! ما هذا؟». لم يحصـل أي شـيء مثل هذا من قبل، وبدا التوتر على وجه بيل.

قال بصرامة: «لا أعرف. قد يكون تسرباً في الوقود. لست واثقاً». وارتجف فكه. كان يكافح للسيطرة على الطائرة فيما كانت تهبط بسرعة، ثم اشتعلت النيران في المحرك، ووجه الطائرة إلى الأسفل بحثاً عن مكان للهبـوط. لـم تقل جايـن أي كلمة. راقبت بيل وهو يكافـح لرفع الطائرة مجدداً، لكنه لم يستطع. بدأت الطائرة تنحرف بشكل سيئ، وتهبط بسرعة مخيفة فيما اتصـل ببرج المراقبة وأخبرهم عن مكانه. قال بهدوء: «نحن نهبط، لأن النار اشـتعلت في الجناح الأيسـر». وتمددت جاين ولمسـت ذراعـه. لـم يرفع يديه عن أجهزة التحكم قطّ، وأخبرها أنه يحبها. كانت هذه كلماته الأخيرة فيما ارتطمت طائرة السيسنا بالأرض وانفجرت وسط كتلة من النيران.

رنّ هاتف آني الخلوي مجدداً فيما كانت تمحو تعديلاً أمضت ساعة وهي تجريه على الخرائط. لم يعجبها، وكانت تعيده بدقة إلى سابق عهده. كانت تركز بشـدة، ثم ألقت نظرة سـريعة على هاتفها الذي وضـعته على طاولة الرسم. إنها جاين، وقد وصلا إلى المنزل حتماً. كادت ألا تجيب على الاتصال، لأنها لا تريد قطع تركيزها، وجاين تريد الثرثرة دوماً. حاولت آني تجاهله، لكن الرنين كان مزعجاً ومتواصـلاً، فرفعت

الهاتف في النهاية.

قالت وهي تجيب: «هل أستطيع الاتصال بك لاحقاً؟». لكنها جوبهت بسـيل من الكلمات باللغة الإسـبانية. تعرفت آني الصوت. إنها ماغدالينا، المرأة السـلفادورية التي تهتم بأولاد جاين وبيل. بدت مذعورة. تعرف آني هذه الاتصالات جيداً. تملك ماغدالينا رقمها للاتصال بها حين يكون بيل وجاين مسافرين. وهي عادة تتصل بآني فقط عند تعرض أحد الأولاد للأذى، لكن آني عرفت أن أختها ستكون في المنزل في غضون دقائق، إذا لم تكن قد وصلت. لم تفهم كلمة مما قالته ماغدالينا بالإسبانية السريعة.

طمأنتهـا آنـي: «إنهمـا في طريقهما إلى المنزل». يكون تيد عادة قد وقع عن شـجرة أو سـلّم أو ضـرب رأسه. إنه ولد كثير الحركة وعرضة للإصابات، أمّا الفتاتان فأكثر هدوءاً. أصبحت ليز مراهقة تقريباً، وكايت مثـل كـرة النار، وهـي تلجأ إلى الكلام أكثر ممّا تلجـأ إلى الأفعال، ولا تتعرض للأذى أبداً. قالت آني بهدوء: «تحدثت إلى جاين قبل سـاعتين، ويفترض بهما أن يصلا إلى المنزل في أي دقيقة».

عندها، انفجرت ماغدالينا في سيل آخر من الإسبانية. وبدت وكأنها تبكي، والكلمة الوحيدة التي فهمتها آني هي الشرطة.

«مـاذا عـن الشـرطة؟ هـل الأولاد بخير؟». ربمـا تعرض أحدهم لإصـابة خطيرة. لغاية الآن، كانت الحوادث بسـيطة، باسـتثناء ساق تيد المكسورة عندما وقع عن شجرة في فينيارد، وكان والداه هناك. أصرّت آني: «أخبريني بالإنكليزية. ماذا حصل؟ من تعرض للأذى؟».

«أختك... اتصـلت الشـرطة... الطائرة...». شعرت آني بأنها قذفت من مدفع وبأنها تحلق في الهواء. وأحسـت بنفسـها تصـاب بالدوار عند سماع الكلمات.

«مـاذا قالـوا؟». نجحت آني في إخراج الكلمات عبر حطام الزجاج في حنجرتها. كل كلمة لفظتها كانت ألماً جسدياً. «ماذا حصل؟ ماذا قالت الشـرطة؟». كانـت تصـرخ في وجـه ماغدالينا ولم تعـرف ذلك. وكل

مـا فعلتـه ماغدالينا هو البكاء. صـرخت آني فيها بصـوت عـالٍ: «اللعنة! أخبريني». فيما حاولت ماغدالينا إخبارها بالإنكليزية.

«لا أعرف... حصل شيء ما... أنا أتصل بهاتفها الخلوي وهي لا تجيب... قالوا... قالوا... اشتعلت النيران في الطائرة. إنها الشرطة في نيو لندن».

قالت آني: «سأتصـل بك لاحقاً». وأنهت المكالمة. حصـلت أخيراً علـى رقـم طوارئ الشـرطة فـي نيو لندن، وتمّ تحويلهـا إلى رقم آخر. سـألها صـوت عن هويتها، وبعدما أخبرتهم، سـاد صـمت طويل جداً في الطرف الآخر.

أراد الصوت أن يعرف: «هل أنت قريبة؟».

أجابت آني: «لا، لست قريبة». وهي ممزقة بين البكاء والرغبة في الصراخ على تلك المرأة المجهولة. لقد حصل شيء مريع. أملت آني أن يكونا قد تعرضا للأذى فقط. شرحت قائلة: «أنا في نيويورك. ماذا حصل للطائرة؟». أعطتهم أرقام طائرة بيل، وجاء صـوت آخر عبر الهاتف. قال إنه نقيب، وأخبرها بما لم تشـأ معرفته ولم ترغب في سـماعه قطّ. قال إن الطائرة قد انفجرت عند اصطدامها بالأرض، ولا يوجد ناجون. سألها إذا كانت تعرف من يوجد على متن الطائرة.

همسـت آني: «أختي وزوجها». وحدّقت إلى الفضـاء. لم يحصـل هذا. ليس هذا ممكناً. لا يمكن أن يحصل هذا لهما. لكنه حصل. لم تعرف ماذا تقول فشـكرت النقيب وأنهت المكالمة. أخبرته أنه يسـتطيع الاتصال بها في منزل أختها في غرينيتش وأعطته الرقم. ثم أمسكت بحقيبة يدها، وخرجت من الشقة من دون أن تطفئ الأنوار.

لاحقاً، لا تذكر كيف دخلت سيارتها، أو انتقلت إلى غرينيتش تحت المطر الغزير. لا تذكر أي شيء على الإطلاق. وصلت العاصفة المرتقبة إلى نيويورك. تركت سيارتها في الممشى في غرينيتش وكانت مبللة عندما دخلـت المنـزل. كانت ماغدالينا تبكـي في المطبخ. أما الأولاد فكانوا في

الطابق العلوي يشاهدون فيلماً بانتظار عودة والديهم إلى المنزل. وعندما سـمعوا صـوت الباب يغلق بعد دخول آني، نزلوا مسـرعين لرؤية ماما وبابا، لكنهم رأوها بدلاً منهما، تقف مبللة في غرفة الجلوس، وشـعرها ملتصق برأسها، والدموع تنهمر على وجنتيها مثل المطر.

سـأل تيـد: «أين مامـا وبابا؟». وبدا مرتبكاً، فيمـا حدّقت إليها ليز بعينيـن واسـعتين. فمـا إن رأت آني تقف هناك حتى عرفت، ووضـعت يدها على فمها.

قالـت ليـز بنظـرة ذعر: «ماما وبابـا...». وأومأت آني برأسـها فيما صـعدت نصـف الدرج للوصول إليهم، ووضعت ذراعيها حولهم هم الثلاثة. تشـبثوا بها وكأنها سـترة نجاة في بحر هائج، فيما اسـتوعبت آني الحقيقة بقوة مؤذية. أصبحت الآن مسؤولة عنهم هم الثلاثة.

الفصل الثاني

كانت الأيام التالية كابوساً حقيقياً. فقد توجب عليها إخبارهم. تحطمت ليز، فيما اختبأ تيد في المرأب بعد أن سمع الخبر. أمّا كايت فبكت بشدة. وفي البداية، لم تعرف آني ماذا تفعل. ذهبت إلى نيو لندن للتحدث إلى الشرطة. كان حطام طائرة بيل محترقاً بطريقة يتعذر فيها التعرف إليها. ولم تكن هناك جثث، إذ تمزقت إرباً.

نجحت نوعاً ما في إنجاز الترتيبات. أقامت جنازة محترمة لهما، حضرها نصف سكان غرينيتش. جاء شركاء بيل في دار النشر من نيويورك لتقديم واجب العزاء. واتصلت آني بمكتبها وشرحت أنها بحاجة إلى أخذ إجازة لمدة أسبوع أو أسبوعين ولن تستطيع تقديم العرض.

انتقلت إلى منزل بيل وجاين، وعادت إلى المدينة لإحضار أغراضها. الشقة الجديدة التي أحبتها أصبحت من الماضي. فهي تحتوي على غرفة نوم واحدة، وهي لا تريد إبعاد الأولاد عن منزلهم بهذه السرعة، ولذلك عليها الانتقال إلى المدينة. وافقت ماغدالينا على العيش في المنزل باستمرار. وتوجب على آني التكيف مع فكرة أنها أصبحت فجأة امرأة عمرها ستة وعشرون عاماً مع ثلاثة أولاد. لقد تحدث جاين وبيل معها حول هذا الأمر، وقالا إنه إذا حصل لهما أي شيء فعليها أن تهتم بأولادهما. إذ لا يملك بيل أقارب، كما أن والدي آني وجاين متوفيان. لا يوجد أحد للاهتمام بهم الآن سوى آني، وعليهم هم الأربعة ترتيب الوضع قدر الإمكان. لا يوجد خيار آخر. وكان وعد آني لجاين في الليلة السابقة للجنازة أن تكرّس حياتها لأولادهما، وأن تبذل ما بوسعها من أجلهم. لا تعرف أبداً كيف تكون أماً، فكل ما كانت عليه قبلاً هو

خالة مرحة، وعليها الآن التعلم. لم تكن تتخيل حتى أنها ستحلّ مكان والديهم، وعرفت أنها ستكون بديلاً تعيساً عن والدين مثل بيل وجاين، لكنها الوحيدة التي بقيت لديهم.

تحلى سيث باللباقة، فانتظر مرور أسبوع على الجنازة قبل أن يأتي لرؤيتها في غرينيتش. اصطحبها لتناول العشاء في مكان هادئ، وأخبرها كم هو مفتون بها، لكنه في التاسعة والعشرين، ولا يستطيع أبداً الزواج بامرأة مع ثلاثة أولاد. قال إنه أمضى وقتاً مذهلاً معها خلال الشهرين الماضيين، لكن الوضع الآن صعب عليه. قالت إنها تفهمه. ولم تبكِ لأنها لم تكن متيمة بحبه. كانت فاقدة الحس. لم تقل أي شيء بعدما شرح لها الوضع، وأوصلها إلى المنزل بصمت. حاول تقبيلها وهو يودّعها، لكنها أدارت رأسها بعيداً، ودخلت المنزل من دون أن تنبس ببنت شفة. لديها أشياء أكثر أهمية لفعلها الآن، مثل تربية ثلاثة أولاد. لقد أصبحوا عائلة بين ليلة وضحاها، وليس سيث واحداً منها، ولا يريد أن يكون كذلك. وهي لا تتخيل رجلاً يريد ذلك. لقد نضجت فجأة لحظة ارتطمت الطائرة بالأرض.

بعد تسعة أشهر، في شهر يونيو، نقلتهم آني إلى المدينة في نهاية العام الدراسي؛ إلى شقة استأجرتها، كانت غير بعيدة كثيراً عن الشقة التي كانت تعيش فيها حين ماتت أختها. تحتوي هذه الشقة على ثلاث غرف نوم. وسجلت الأولاد في مدرسة في نيويورك. أصبحت ليز في الثالثة عشرة الآن، وتيد في التاسعة، وكايت في السادسة. منذ تواجدها معهم، لم تفعل آني أي شيء باستثناء الركض من العمل إلى المنزل، للتواجد مع الأولاد. أمضت عطلات نهاية الأسبوع في اصطحاب كايت إلى الباليه وتيد إلى مباريات كرة القدم، وأخذت ليز للتسوق. وبدأت تأخذ تيد إلى طبيب تقويم الأسنان، وذهبت إلى اجتماعات المدرسة حين لم يتوجب عليها العمل حتى وقت متأخر. تفهمت الشركة الهندسية التي تعمل فيها

الموضوع. وكانت ماغدالينا تنوب عنها، فنجحت في البقاء متفوقة في مشروعاتها. وفي النهاية، حصلت على ترقية وعلاوة.

ترك بيل وجاين إرثاً محترماً لأولادهما. فقد أنجز بيل بعض الاستثمارات الجيدة، وتمّ بيع المنزل في غرينيتش بسعر ممتاز، وكانت هناك بوليصة تأمين للأولاد. إنهم يملكون ما يحتاجون إليه مادياً إذا كانت آني حريصة ومتنبهة، لكنهم لا يملكون أباً وأمّاً، بل يملكون خالة. تحلوا بالصبر مع آني فيما تعلمت. كانت هناك بعض الصدمات، وبعض الأوقات الحزينة لهم في البداية، لكنهم مع الوقت اعتادوا جميعاً على طريقة عيشهم الجديدة، وبقيت ماغدالينا.

مع الوقت، أوصلتهم آني إلى المدرسة الثانوية، واطلعت على أولى قصصهم العاطفية، وساعدتهم على تقديم الطلبات إلى الجامعات. وعندما أصبح تيد في الرابعة عشرة من عمره قرّر الذهاب إلى كلية الحقوق. وكانت ليز مهووسة بالموضة، وأرادت أن تعمل عارضة أزياء لبعض الوقت. وامتلكت كايت موهبة أمها الفنية، لكنها على عكس أخويها عاشت على هواها الخاص، واستخدمت مصروف جيبها لثقب أذنيها حين كانت في الثالثة عشرة، ومن ثم لثقب بطنها، مما أثار ذعر آني. كما صبغت شعرها بالأزرق ومن ثم بالأرجواني. وفي عمر الثامنة عشرة، وضعت وشم وحيد القرن على الجهة الداخلية لمعصمها، وتألمت كثيراً في أثناء الخضوع للوشم. كانت فنانة موهوبة مثل أمها، وتم قبولها في كلية برات للتصميم، وكانت رسامة موهوبة جداً. لم تكن تشبه أي شخص عرفته آني من قبل. كانت صغيرة البنية، ومستقلة جداً، وشجاعة جداً. فهي تملك آراء قوية في كل شيء، بما في ذلك السياسة، وتجادلت مع كل شخص لا يوافقها الرأي، ولم تخف من المواجهة بمفردها. كانت متمردة جداً في سنوات مراهقتها، لكنها استقرت في النهاية عندما أصبحت في الثانوية وانتقلت للعيش في مساكن الطلاب. امتلك تيد شقته الخاصة حينها، وحصل على وظيفة بعد الثانوية؛ قبل الذهاب إلى كلية الحقوق. أمّا ليز

فكانـت تعمـل في مجلة إيل. تربيـة أولاد أختها كانت مهمة آني ووظيفتها بدوام كامل. ولم تكن تملك حياة أخرى باستثناء حياتهم وعملها.

فـي الخامسـة والثلاثين مـن عمرها، فتحـت آني مكتبهـا الخاص بالهندسـة، أي بعد تسـع سـنوات من العمل مع الشـركة نفسها. أحبت ما فعلته وفضلت المشروعات السكنية على مشروعات الشركات الكبرى التي أنجزتها طوال أعوام. وبعد أربع سنوات من العمل في شركتها الخاصة، وجـدت بيتهـا المثالية. وذُهلت بمدى اشـتياقها إلـى الأولاد عندما انتقلوا للعيش خارج المنزل. أصـبح هناك معنـى جديد لعبارة المنزل الفارغ، فملأت الفراغ في حياتها بالمزيد من العمل بدلاً من الأشخاص.

لـم تواعد أي رجل خلال السـنوات الثـلاث الأولى التي عاش فيها الأولاد معهـا. وبعـد ذلك كانت هناك بعض العلاقات العابرة، ولكن من دون أي علاقـة جديـة؛ فهي لا تملك الوقت. إنها مشـغولة جداً بالاهتمام بأولاد أختها، وإثبات نفسها كمهندسة معمارية. لا مكان لرجل في حياتها. وقد وبّختها صـديقتها، ويتني كولمان، دوماً على ذلك. إنهما صـديقتان منـذ أيـام الجامعـة، وتزوجـت ويتني من طبيب في نيوجرسـي، ولديها ثلاثة أولاد، أصـغر من أولاد مارشـال. كانت مصـدر دعم كبير لآني، وأعطتها نصـائح قيّمة جداً، وكل ما تريده الآن من آني هو أن تفكر في نفسـها. لقد فكرت في الجميع طوال الأعوام الثلاثة عشـر الماضـية. مرّ الوقت بسـرعة البرق. كانت السـنوات الأولى مضطربة، لكن بعد ذلك، استمتعت آني فعلاً مع الأولاد الذين ربتهم. لقد وفت بالوعد الذي قطعته لجاين وساعدت الأولاد على النضوج، وهم الثلاثة بألف خير.

قالـت ويتنـي لهـا بعدما انتقلت كايت للعيش في مسـاكن الطلاب في الثانوية: «والآن ماذا؟ ماذا سـتفعلين بنفسـك؟». إنه سؤال لم تطرحه آني على نفسها منذ ثلاثة عشر عاماً.

«مـاذا يفترض بـي أن أفعل؟ هل أقف في زاوية الشـارع وأنادي رجلاً، كما لو أنني أطلب سـيارة أجرة؟». إنها في التاسـعة والثلاثين،

وغيـر خائفـة من بقائهـا عازبة، ولا تبالي. فلقد سـارت الأمور بطريقة مختلفة عما خططت لها، لكنها سعيدة.

الأولاد رائعون، وشـركتها الهندسية ناجحة، ولديها عمل أكثر مما تريـد. إنهـا تبلي حسـناً، وكذلـك الأولاد. تقدم تيد للتـو بطلب إلى كلية الحقوق وحصـل على شـقة جديدة مع صـديق له من الجامعة. وفي عمر الخامسـة والعشـرين، حصـلت ليز على وظيفة في مجلة فوغ، بعد العمل ثلاثة أعوام مع مجلة إيل. اختار كل منهم مهنته الخاصة، وأنجزت آني مهمتها. الشـيء الوحيد الذي لا تملكه هو الحياة الخاصـة بها، باسـتثناء العمل. إنهم حياتها، وأصرّت على أن هذا هو كل ما تحتاج إليه.

قالت ويتني بعفوية: «هذا سخيف! بالله عليك، لست في عمر المئة. ولا تملكيـن عـذراً لعدم مواعدة رجل الآن؛ لقد نضـج الأولاد». دبّرت ويتني لآني عدداً من المواعيد مع الرجال، لكن أياً منها لم ينجح، وقالت آني إنها لا تبالي.

قالت بطريقة فلسفية: «إذا كان قد قُدّر لي أن ألتقي رجلاً، فسيحصل ذلك في يوم من الأيام. بالإضافة إلى ذلك، أنا مستقرة الآن هكذا. وأريد تمضـية الأعيـاد والعطـلات مع الأولاد، وسـيعرقل أي رجل هذا. وقد يزعجهم الأمر».

سـألتها آني بحزن: «ألا تريدين في حياتك شـيئاً أكثر من أن تكوني خالة؟». بدا غير عادل لويتني أن تضـحي آني بحياتها الخاصـة من أجل أولاد أختها، لكن بدا لها أنّ آني لا تبالي، وأنها سعيدة هكذا. نفدت ساعتها البيولوجية من البطاريات قبل أعوام، من دون صوت. وهي تملك ثلاثة أولاد تحبهم ولا تريد أكثر.

طمأنتها آني: «أنا سـعيدة». وبدت فعلاً هكذا. تلتقي المرأتان على الغـداء عندمـا تأتـي ويتني إلى المدينة؛ للتسـوق عـادة. وتذهب آني إلى نيوجرسـي لتمضـية عطلة نهاية الأسـبوع معها بين الحين والآخر بعدما غـادر الأولاد المنـزل، لكنهـا تكون في معظم الوقت مشـغولة في العمل

فـي عطلات نهاية الأسـبوع بحيث لا تذهـب إلى أي مكان. وكان عملها ممتعـاً. فثمـة عدد من المنازل الريفية الجميلة التي قامت بترميمها في آبر إيسـت سـايد، وبعض القصـور المذهلة، وعدد من العقارات الجميلة في هامبتـون، وواحد في برونكسـفيل. وحوّلت عـدداً من المنازل الحجرية إلى مكاتب لزبائنها. كان عملها يزدهر واسـتمر بالنمو. رفضـت عرض عمل في لوس أنجلوس، وآخر في لندن، لأنها قالت إنها لا تملك الوقت للسـفر. إنها سـعيدة بالعمل في نيويورك. وهي مبدئياً سـعيدة في حياتها، وظهر ذلك بشكل واضح. فلقد فعلت بالضبط ما أرادته وما وعدت به. فقد رافقت أولاد أختها من الطفولة إلى سـن الرشـد، ولم تكترث بالتضحيات التـي قامـت بها قطّ. وعندما أصـبحت في الثانيـة والأربعين، كانت آني واحـدة مـن أنجـح المهندسـين المعماريين في نيويـورك، وأحبت العمل لحسابها الخاص.

في اليوم السـابق لمناسـبة الشكر، في صباح بارد جداً، دخلت آني ردهة منزل ريفي في الشارع الشرقي التاسع والستين مع ثنائي استخدمها قبل شـهرين. يمثل المنزل اسـتثماراً كبيراً بالنسبة إليهما، وأرادا من آني أن تحوله إلى منزل مذهل. كان من الصـعب تصـور النتيجة فيما كانوا يمشون فوق الركام الذي تركه العمال بعد هدم عدد من الجدران. كانت آنـي تظهر لهما مقاسـات غرفة الجلوس التي تم تكبيرها، وغرفة الطعام التي ستوضع فيها السلالم الكبيرة. فهي تملك موهبة فريدة في الدمج بين التصاميم القديمة والمعاصرة وجعل المنزل يبدو عصرياً ودافئاً في الوقت نفسه، بالرغم من أنه يصعب تخيل النتيجة الآن.

سـألها الزوج عن التكاليف، فيما بدت زوجته متوترة بعد أن رأت الفوضى الكاملة في المنزل. ووعدتهما آني بأن ينتهي العمل خلال سنة.

قالت أليسـيا إيبرشـول بعصـبية: «هل تظنين فعلاً أنه يمكنك تسليمنا المنزل في الخريف المقبل؟».

قالت آني: «هذا المقاول جيد جداً. وهو لا يخذلني أبداً». وابتسمت لهمـا بلطـف. بـدت هادئـة وغيـر مشوشـة، فيما مشـت فـوق عدد من العارضات الخشبية. كانت ترتدي سروالاً رمادياً ومعطفاً سميكاً، وتعتمر قلنسـوة مبطنة بالفرو، وتنتعل جزمة أنيقة من الجلد الأسـود. وكانت لا تزال تبدو أصغر من عمرها الحقيقي.

قال هاري إيبرشول مع نظرة استياء: «ربما سيطلب ضعف السعر. لا أعرف لماذا سنهدم هذا القدر من المنزل».

«نحن نزيد المساحة. ستحتاج إلى هذه الجدران من أجل فنك. بعد ثلاثة أشهر، ستبدأ برؤية جمال المنزل». إنها تعمل عن كثب مع مهندس الديكور، وكان كل شيء تحت السيطرة.

قالـت أليسـيا بهـدوء: «أتمنى ذلك». لكنها لم تكـن واثقة جداً. أحبا منزل أصـدقائهما الذي أنجزته آني، وتوسـلا إليها لقبول هذا العمل، ولم تستطع آني المقاومة بعدما رأت المنزل، بالرغم من أنها تملك أصلاً الكثير من العمل. قالت أليسيا: «أتمنى ألا نكون قد ارتكبنا خطأً في هذا المنزل». وهزّ زوجها رأسه بيأس.

تمتم قائلاً: «تأخر الوقت قليلاً لقول هذا». ثم نزلوا السلالم وتوجهوا نحـو البـاب الأمامـي. عندما فتحـوا الباب، خرجوا إلـى طقس جليدي، فأحكمت آني قلنسوة الفرو فوق شعرها الأشقر. كان آل إيبرشول قد علقا على مدى جمالها، وعلى براعتها في ما تفعله، حسبما سمعا.

قالت آني بعفوية: «ماذا سـتفعلان في مناسـبة الشـكر؟». فيما كانت ترافقهما إلى سيارتهما وهي تحمل الخرائط تحت إبطها.

ابتسـمت أليسـيا قائلة: «سيأتي ولدانا الليلة إلى المنزل». عرفت آني أن ولديهما في الجامعة. أحدهما في برنستون والأخرى في دارتماوث، وهما فتاة وصبي.

«وأنا أيضاً». ابتسمت آني بسعادة وهي تتحرق شوقاً. فقد وعدوها هم الثلاثة بالبقاء معها خلال مناسـبة الشـكر مثلما يفعلون دوماً. أوقاتها

المفضلة هي عندما يأتون إلى المنزل.

«لم أكن أعرف أن لديك أولاداً». بدت أليسيا متفاجئة فيما أومأت آني برأسها. فهي لم تكن تتحدث مطلقاً عن حياتها الشخصية، وإنما فقط عن المهنة. إنها محترفة مثالية في كل شيء، ولهذا السبب طلبا العمل معها. ذهل آل إيبرشول حين علما أنها تملك أولاداً.

«لديّ ثلاثة أولاد. إنهم في الواقع أولاد أختي. توفيت أختي في حادث قبل ستة عشر عاماً، ومنذ ذلك الحين أصبحت مسؤولة عن أولادها. لقد كبروا الآن. الكبرى تعمل محررة في مجلة **فوغ**، فيما ابن أختي في سنته الثانية في كلية الحقوق، والصغيرة في الثانوية. أشتاق إليهم بجنون، ولذلك أشعر بفرح كبير عندما يأتون إلى المنزل». كانت آني تبتسم حين قالت ذلك، وبدا آل إيبرشول مذهولين.

«يا له من شيء رائع! لا يقبل أي كان بهذا. لا بد من أنك كنت صغيرة جداً». بالكاد تبدو الآن في الثلاثين، لكنهم عرفوا عمرها من سيرتها الذاتية على موقع الوب الخاص بها.

ابتسمت آني لهما. «كنت صغيرة جداً. كبرنا كلنا مع بعضنا، وكانت هذه نعمة رائعة بالنسبة إليّ. أنا فخورة بهم جداً». تحدثوا لبضع دقائق إضافية، ثم صعد آل إيبرشول إلى سيارتهما وانطلقا بعيداً. كان هاري لا يزال يبدو قلقاً، لكن آني وعدته بأن يتم إنجاز العمل وفق السعر الذي حددته لهما، وكانت أليسيا تتحدث بحماسة كبيرة عن السلالم الكبيرة عندما غادرا.

ألقت آني نظرة سريعة على ساعتها فيما أوقفت سيارة أجرة. أمامها خمس دقائق للوصول إلى الجادة التاسعة والسبعين وإلى الخامسة للقاء زبون جديد. اشترى جيم واتسون منزلاً للتو، وأراد أن يكون مذهلاً، وأن تضفي آني مسحة من الروعة عليه. وكانت ستلتقيه لتعطيه بعض الأفكار. فقد تطلّق جيم حديثاً، وأراد منزل عزوبية رائعاً؛ إنه تبديل في الأفكار. فيما توجهت آني إلى المدينة، وقبل أن تصل إلى هناك،

رنّ هاتفها الخلوي. إنها ليز. بدت متوترة ومستعجلة. إنها دوماً هكذا. أصبحت أخيراً محررة قسم المجوهرات في مجلة **فوغ**، وعادت من ميلانو للتو. عادت إلى الوطن لتكون مع آني وأخويها في مناسبة الشكر. إنه موعد مهم جداً بالنسبة إليهم هم الأربعة. وستحضر آني الحبش مثلما تفعل كل عام.

سألتها آني: «كيف هي ميلانو؟». وكانت سعيدة بسماع صوتها، فهي تقلق عليها. تعمل ليز بكدّ كبير، وتتوتر دوماً. وهي لا تملك الوقت أبداً لتأكل، وأصبحت نحيلة جداً خلال الأعوام الثلاثة الماضية. إنها الطلة التي يطمح إليها الجميع في **فوغ**.

«كانت رحلة مجنونة وإنما ممتعة. ركضت طوال أربعة أيام. أمضينا عطلة نهاية الأسبوع في مدينة البندقية الكئيبة في فصل الشتاء. وأمضيت يوماً في باريس في طريق العودة. اخترت بعض النماذج الرائعة للتصوير الذي سأنجزه في الأسبوع المقبل». عند الإمكان، تعمل ليز بكدّ أكبر من آني، أو بقدرها تماماً. سألت: «هل أستطيع إحضار جان لوي غداً؟». وعرفت أن آني ستقول نعم. فالسؤال مجرد لياقة؛ بدافع الاحترام. لطالما رحبت آني بأصدقائها وأحبابهم طوال الأعوام التي عاشوها مع بعضهم. «لم أكن أعرف أنه آتٍ. وصل اليوم من السفر. لديه تصوير هنا في عطلة نهاية الأسبوع». التقيا في أثناء العمل في باريس، ويملك جان لوي شقة في نيويورك للمكوث فيها خلال زياراته المتواترة. إنه مصور ناجح ومماثل تقريباً لكل الرجال الآخرين الذين التقتهم ليز في حياتها. إنهم مصورون أو عارضو أزياء في غاية الوسامة، ومن دون أي عمق، ولا تتعلق بهم ليز كثيراً. تساءلت آني غالباً إن كانت خسارتها والديها قد جعلتها حذرة في التقرب كثيراً من أي كان؛ إذ لم تكن علاقاتها العاطفية تدوم إلى وقت طويل مطلقاً. وتفاجأت لأن جان لوي موجود معها منذ مدة. إذ تخرج ليز معه منذ ستة أشهر.

«طبعاً يمكنك إحضاره». التقته آني مرة واحدة فقط. وبدا لطيفاً

جداً، لكنها لم تتأثر به.

«متى يفترض بنا أن نأتي؟».

«كما هي الحال كل سنة. تعاليا عند الظهر، والغداء عند الساعة الواحدة. أو يمكنك المجيء إلى المنزل الليلة إذا أردت. سيمضي تيد وكايت عطلة نهاية الأسبوع».

قالت ليز بنبرة معتذرة: «وعدت جان لوي بأن أبقى معه. سأساعده في التصوير، بطريقة غير رسمية. سأختار له بعض المجوهرات اليوم».

قالت آني: «إنه رجل محظوظ». وقصدت ذلك فعلاً، وليس فقط لأن ليز تساعده في عمله. فطالما أعطت ليز أكثر مما تأخذ. والرجال الذين أقامت علاقات معهم كانوا دوماً أنانيين ومدللين، وخشيت آني أن تضحي ليز بنفسها عبثاً. إنها امرأة شابة، وجميلة، وموهوبة، وذكية. وتشعر آني بالصدمة أحياناً حين تفكر أنه في عمر الثامنة والعشرين، ليز أكبر بسنتين فقط مما كانت هي عليه عندما صارت مسؤولة عنهم جميعاً. وفي بعض النواحي، تبدو ليز صغيرة جداً. ويبدو أنها لا تفكر أبداً في الزواج أو الاستقرار. أدركت آني أنها لم تكن مثالاً جيداً لهم في هذا الصدد، لأنها لم تفعل شيئاً سوى العمل، والاهتمام بهم عندما كانوا صغاراً. نادراً ما رأوها تخرج مع رجل. أبقت الرجال القلائل في حياتها بعيداً عنهم، ولم يكن هناك الكثير من الرجال على كل حال، ولم تهتم بأي منهم بطريقة جدية. الرجل الأخير الذي افتتنت به كان سيث؛ ولقد حصل ذلك قبل ستة عشر عاماً. صادفته مرة واحدة قبل بضعة أعوام. إنه متزوج، ويعيش في كونيكتيكوت، ولديه أربعة أولاد. حاول أن يشرح لها كم شعر بالسوء لأنه لم يتحلّ بالشجاعة الكافية عندما ماتت أختها، لكنها ضحكت وقالت له إنها بخير. إلا أنها شعرت بالقليل من الارتباك عند رؤيته. بدا وسيماً مثلما كان قبلاً، وأخبرت ويتني بالأمر. بدا ذلك مثل تاريخ قديم في الوقت الحاضر.

كانت ليز تعتذر من آني قائلة إن جان لوي لم يحضر ثياباً محترمة

معه لأنه يعمل، وأكدت لها آني أن الأمر غير مهم. لم يملك أي من الرجال في حياة ليز بذلة رسمية. سواء أكانوا مصورين ناجحين أو عارضين مشهورين. فهم يرتدون دوماً ثياباً رثة، ويطيلون شعرهم، ويطلقون لحاهم. يبدو أن هذه هي الطلة التي تحبها، أو الأكثر رواجاً في محيطها. اعتادت آني ذلك مع مرور السنوات، بالرغم من أنها تفضل رؤيتها مع رجل محترم المظهر ذي شعر مرتب، ولو لمرة واحدة فقط.

في المقابل، كانت ليز دوماً أنيقة فوق المعتاد، وتسدي آني نصائح في الموضة، وتحضر لها الثياب بين الحين والآخر. من الممتع دوماً رؤية ما ترتديه ليز. أسلوب آني أكثر بساطة وأكثر عملية منها. وهي تشعر أنها كبيرة جداً الآن على الثياب غريبة المظهر، وعليها ارتداء ملابس تتيح لها الذهاب إلى مواقع عملها من دون التجمد أو الوقوع على وجهها بسبب الكعب العالي. كانت ليز طويلة، مثل المرحومة أمها وخالتها، ولا تنتعل أبداً حذاء ارتفاع كعبه أقل من ستة إنشات. فهذه الأحذية تعتبر بمثابة أحذية رياضية في المجلة حيث تعمل.

قالت ليز: «أراك غداً». فيما وصلت آني إلى العنوان في الجادة الخامسة، واستقلت المصعد إلى الطابق العلوي حيث كان جيم واتسون في انتظارها، وهو يبدو مشوشاً قليلاً. فقد شعر فجأة بالذعر لأن المكان كبير جداً عليه، وقال إنه لا يعرف كيف يزينه من دون مساعدة زوجته السابقة. طمأنته آني بأنها ستهتم بكل شيء، وأخرجت بعض التصاميم الأولية من حقيبتها، فيما نظر إليها وابتسم. تصورت آني منزل العزوبية المثالي له، حتى قبل أن يعرف ما يريده لنفسه. كان متحمساً. رافقته في كل غرفة وهي تشرح له، وتعطي أفكارها الحياة.

قال بسعادة: «أنت مذهلة!». وعلى عكس هاري إيبرشول، لم يكن قلقاً بشأن الكلفة. أراد فقط شيئاً يثير دهشة أصدقائه والنساء اللواتي يريد مواعدتهن. والأفضل من ذلك، ستعطيه آني منزلاً. وعدته بالتسليم بعد تسعة أشهر. وقفا على المصطبة معاً وهما ينظران إلى سنترال بارك فيما

بدأ الثلج يتساقط.

إنه في الخامسة والأربعين من عمره، وأحد أغنى الرجال في نيويورك. نظر إلى آني باهتمام، فيما تحدثت إليه بشأن الشقة. كانت مدركة تماماً للطريقة التي نظر فيها إليها؛ فأي امرأة عازبة أخرى في عمرها كانت لتبذل ما بوسعها لجذبه، لكنها مهنية دوماً مع زبائنها. إنه مجرد عمل بالنسبة إليها. ولا يحدث أي فرق بالنسبة إليها إذا كان يملك يختاً في سان بارتس وطائرة خاصة. إنها مهتمة بالشقة، وليس بالرجل. كانت آني ودودة وإنما مهنية تماماً في تصرفاتها. وشك في أنها تملك زوجاً أو صديقاً، لكنه لم يجرؤ على سؤالها.

غادرت آني بعد ساعة من وصولها، ووعدته بإرسال الخرائط له بعد أسبوعين، وتمنت له مناسبة شكر سعيدة. فهمت تماماً ما الذي يريده وستنفذ له طلباته. أخبرها أنه ذاهب إلى أسبن هذه الليلة لتمضية العطلة مع أصدقاء. ووقف أمام النافذة، وهو يراقب تساقط الثلج فوق سنترال بارك بعدما غادرت.

كانت الشقة صامتة وفارغة عندما عادت آني إلى المنزل؛ كما هي الحال كل ليلة. أصبح الأمر الآن مختلفاً جداً عما كان عليه عندما عاش الأولاد هنا. لم يبقَ أي شيء من ملابس كايت على الأرض؛ مبعثرة في أرجاء غرفة الجلوس. لم يكن تلفاز تيد قيد العمل، ولم تكن ليز تدخل وتخرج مسرعة، وهي تحمل أداة تجعيد الشعر الحارة، متأخرة عن أي شيء تقوم به، من دون وقت للأكل. لم تكن الثلاجة ممتلئة، ولم تكن وجبات كايت النباتية موزعة على كل المجلى، ولم تكن الموسيقى تصدح في المنزل. كما أن أصدقاءهم ليسوا هنا، والهاتف لا يرنّ. المنزل فارغ، ومرتب، ونظيف، ولا تزال آني غير معتادة عليه، حتى بعد مرور ثلاثة أعوام على مغادرة كايت إلى الثانوية. شكت آني في أنه فراغ لن تتمكن أبداً من ملئه. أعطتها أختها أكبر هدية في الحياة، وأخذها الوقت منها

ببطء. عرفت أنه من حقهم أن يكبروا ويغادروا، لكنها كرهت الأمر على كل حال، وما من شيء يجعلها سعيدة أكثر من عودتهم إلى المنزل.

ذهبت إلى المطبخ، وبدأت تحضر الأشياء لليوم التالي. كدّست الأطباق على المجلى؛ مستعدة لتحضير المائدة، عندما سمعت الباب الأمامي يغلق. وبدا وكأن عدداً من الحجارة قد وقع في ردهة منزلها. ذهلت من ذلك الصوت القوي، وأقحمت رأسها من باب المطبخ، فيما وضعت كايت حقيبة ظهرها على الأرض حيث وقعت كتبها. كانت تحمل ملفاً ضخماً في يدها، ووقفت وهي تبتسم ابتسامة عريضة لآني، مرتدية تنورة سوداء قصيرة جداً، وكنزة سوداء، ومعتمرة قلنسوة عليها صورة جمجمة وردية، ومنتعلة جزمة فضية عرفت آني أنها وجدتها في بازار حسومات في مكان ما. كانت ترتدي سروالاً ضيقاً مخططاً بالأسود والأبيض جعلها تبدو مثل راغيدي آن، وانتصب شعرها الأسود القصير فوق كل رأسها. ما أنقذ الطلة الإجمالية كان وجهها الرائع. ركضت عبر غرفة الجلوس، ووضعت ذراعيها حول عنق آني. تعانقت المرأتان فيما ابتسمت آني. فهذا هو ما عاشت من أجله طوال ستة عشر عاماً.

قالت كايت بسعادة: «مرحبا آني». ثم طبعت قبلة على وجنتها وتوجهت نحو الثلاجة. نظرة الفرح على وجه خالتها قالت كل شيء.

مازحتها آني قائلة: «كم أنا مسرورة برؤيتك! هل أنت نباتية هذا الأسبوع؟».

«لا. توقفت. اشتقت إلى اللحم كثيراً». تناولت موزة، وجلست على أحد كراسي المطبخ، وابتسمت لخالتها بحنان. سألت: «أين الجميع؟». فيما قشرت الموزة وقضمتها في فمها. كانت طريقة أكلها الموزة تجعلها تبدو وكأنها في الخامسة وليست في الحادية والعشرين.

«يفترض بتيد أن يصل إلى هنا في أي دقيقة. وستأتي ليز غداً. ستحضر معها جان لوي». بدت كايت غير متأثرة، وذهبت لإحضار قرص موسيقي من حقيبة ظهرها، ووضعته في الجهاز الذي بقي صامتاً

منذ آخر مرة كانت فيها هنا. إنه لفريق كليرز، وبدا مثل بقية الموسيقى بالنسبة إلى آني.

قالت بفخر: «أجريت وشماً جديداً. هل تريدين رؤيته؟». فيما همهمت آني استنكاراً.

سألت آني: «هل ما زال في وسعي توبيخك؟». فيما رفعت كايت كمها للكشف عن تويتي ملون على ساعدها، وقالت ممازحة: «يجدر بك الحصول على واحد». وكانت تعرف كم تكره خالتها هذه الأشياء. «صممته بنفسي. أنجزت بعض التصاميم لمحل الوشم، وقدموا لي هذا الوشم مجاناً».

«كنت لأدفع لك الضعف كي لا تفعلي ذلك. كيف ستشعرين حيال وجود تويتي على ذراعك عندما تصبحين في الخمسين؟».

قالت كايت وهي تنظر إلى المطبخ المألوف، مسرورة بوضوح لوجودها في المنزل: «سأفكر في الأمر حينها. سأحضّر المائدة». وعندما ذهبت آني لإحضار الشرشف من درج في غرفة الطعام، رأت أغراض كايت مبعثرة في كل الردهة الأمامية. بدا هذا جيداً لها. فالمنزل صارم جداً من دونهم. أحبت الفوضى، والضجيج، والموسيقى، والشعر الغريب، والجزمة الفضية. إنه كل ما اشتاقت إليه.

كانتا تحضران المائدة معاً عندما وصل تيد بعد نصف ساعة. كان يرتدي معطفاً سميكاً، وكنزة رمادية، وسروال جينز، وينتعل حذاء رياضياً، وهو عائد للتو من الجامعة. كان شعره قصيراً، وبدا حليق الذقن. إنه شاب طويل ووسيم ذو شعر داكن وعينين رماديتين فاتحتين. بدا مرتباً ومنظماً، ولا رابط ممكن بينه وبين كايت، بملابسها الغريبة، وصفوف الأقراط في أذنيها، ووشم تويتي الجديد. أظهرت له الوشم أيضاً، فكشّر في وجهها. الفتيات اللواتي يخرج معهن تيد شقراوات وعيونهن زرقاء دوماً، ويشبهن أمه وخالته. يصعب التصديق أنه ترعرع هو وكايت في المنزل نفسه.

عانق خالته بحنان، وشغل التلفاز لحضور مباراة هوكي، فهو لا يريد تفويت النهاية. طلبوا البيتزا للعشاء، وضحكوا هم الثلاثة وتحدثوا وهم جالسون إلى طاولة المطبخ. تحدث تيد عن كلية الحقوق، وأظهرت لهما آني بعض الأعمال التي أحضرتها معها إلى المنزل في ملفها، وكانت جيدة جداً. فهي تملك موهبة حقيقية. كان التلفاز وجهاز الموسيقى يعملان في الوقت نفسه. تم تحضير المائدة لمناسبة الشكر، وفيما نظرت آني إلى الشابين في مطبخها، بدا لها كل شيء رائعاً في العالم. كانت أغراض كايت لا تزال مبعثرة في الردهة الأمامية بحلول منتصف الليل عندما رفعتها آني أخيراً، وأخذتها إلى غرفتها. مرّ وقت كانت تتذمر فيه من الفوضى، وتوبخ كايت بسبب ذلك. لكنها تشعر الآن بالحنين إلى رؤية ذلك، وهي مسرورة بوجودهما في المنزل.

الفصل الثالث

فـي اليوم التالي، استيقظت آني قبل الفجـر، وتحركت في المطبخ بصـمت، فيما حضـرت الحشوة ووضـعتها في الحبش، ووضعت الطائر العمـلاق فـي الفـرن. تحققت من غرفـة الطعام، ووجـدت المائدة التي حضـرتها مع كايت في الليلة الفائتة رائعة. عادت إلى السـرير في تمام السـابعة، وقـررت النوم قليلاً قبـل أن ينهض الجميع. فقد عرفت أن تيد وكايت سينامان حتى وقت متأخر.

نجحت آني في النوم سـاعتين إضـافيتين قبل أن تتصـل بها صديقتها ويتني وتوقظها عند الساعة التاسعة.

«هل أيقظتك؟ أنت محظوظة. أصابني الصبيان بالجنون في الساعتين الأخيرتين. فقد تناولوا فطورين لغاية الآن، الأول حضرته لهم والثاني حضـروه بأنفسهم». ابتسمت آني عندما سمعتها، وتمددت على سريرها. إنها تنام بصـورة أفضـل حين يكون الأولاد في المنزل. ولا تسـتطيع أن تتخيل كيـف كانـت حياتها من دونهم. لطالما قالـت ويتني إنه لولا أولاد أختهـا، لتزوجـت آني ربما وأنجبت أولادهـا. غير أن آني لم تكن واثقة جداً. ربما كانت لتركز على مهنتها فقط. بعد سـيث، لم تصـادف الأمير الذي يفتنها. على الأقل ليس لغاية الآن. أقامت علاقات مع عدد قليل من الرجـال، لكنهـا لم تقع في الغرام قطّ. وفي فترة قصـيرة، انهارت تلك العلاقات. لديها الكثير من الأشياء الأخرى لتكرّس نفسها من أجل رجل، ولطالما كان وجود رجل في حياتها معرقلاً لالتزامها الأساسي تجاه أولاد أختها. سألتها ويتني: «هل جاء الثلاثة كلهم؟».

«لا، فقط تيد وكايت. ليز مع صديقها».

«هل هذا جدي؟». كانت تحب أن ترزق بابنة وحسدت آني على الفتاتين. فكل ما يريد أولادها الصبيان فعله هو لعب الرياضة. تودّ إنجاب ابنة لتدليلها، لكنها لم تجرؤ على التجربة مجدداً خشية أن ترزق بولد رابع، وقالت دوماً إن هذا المقدار من التستوستيرون تحت سقف واحد كافٍ لها. ثلاثة أولاد وزوج كافون بالنسبة إليها.

قالت آني وهي تشير إلى جان لوي: «يشبه كل الآخرين. ينتقل بين نيويورك وباريس، وتعمل ليز بكد كبير بحيث لا تراه كثيراً. إنها مركزة على مهنتها».

مازحتها ويتني بالقول: «تحذو حذو من يا ترى؟ أنت نموذج كسول لهؤلاء الأولاد. لقد حان الوقت لتقدمي لهم نموذجاً سليماً وتعثري على رجل».

«ما زلت أكتب اسمي ورقم هاتفي في الحمامات العمومية، لكن ما من أحد يتصل بي».

«هذا مقرف. لدى فريد صديق أريد أن تتعرفي إليه. إنه فعلاً رجل لطيف. طبيب جراح. لمَ لا تأتين إلى هنا لتمضية ليلة رأس السنة؟ سيكون هنا».

«ليست هذه ليلة للمواعيد الغرامية. بالإضافة إلى ذلك، لا أريد ترك الأولاد. إنها معركتها منذ أعوام.

«هل تمزحين؟ ربما سيخرجون مع أصدقائهم. فهم لن يريدوا تمضية ليلة رأس السنة معك. على الأقل، لا آمل ذلك».

قالت آني بغموض: «لا أعرف مشروعاتهم». لكنها لم تكن تريد لقاء شخص غريب ليلة رأس السنة. سيكون الأمر محبطاً جداً. ذهبت آني إلى عدد من المواعيد على مرّ السنوات، ولم ينجح أيّ منها. عرّفها الأصدقاء إلى أشخاص فاشلين طوال أعوام.

«حسناً، فكّري في الأمر لأنهم سيتركونك من أجل أصدقائهم. أعدك. سأتفاجأ إذا لم يفعلوا ذلك. يمكنك تمضية السهرة معنا». يقيم فريد

ويتني حفلة ليلة رأس السنة كل عام، لكنها لم تكن يوماً ممتعة بالنسبة إلى آني. فالجميع متزوجون، باستثناء الحمقى الذين يتم تدبيرهم لها. وبقدر ما تحب ويتني - وهي تحبها منذ أعوام - إلاّ أنها لا تجد أن حياتها الاجتماعية ممتعة كزوجة طبيب في نيوجرسي. تشعر آني دوماً بالغرابة في حفلات ويتني، أو بالشذوذ لكونها عازبة في الثانية والأربعين. لا يفهم الناس ببساطة كم كانت مشغولة طوال كل تلك السنوات. وبعد أن كبر الأولاد الآن، أصبحت مشغولة في عملها، ولا تملك الوقت للبحث عن رجل، ولم تعد تبالي.

«لقد أنجزت ما وعدت به أختك. امنحي نفسك استراحة الآن. تعالي إلى سهرة رأس السنة».

قالت آني بغموض: «سأبلغك بقراري حينها». أحست أن ويتني ستصرّ عليها، فهذا ما تفعله عادة. قالت: «من سيأتي إلى حفلة الشكر؟». وهي تحاول تبديل الموضوع وإلهاء ويتني عن حياتها الشخصية المعدومة.

«الأشخاص أنفسهم. أخت فريد وزوجها وأولادها، ووالداه. سيدمر التوأم منزلي. أنت محظوظة لأن أولاد أختك متحضرون وناضجون».

قالت آني بحنان، مع نبرة حزن في صوتها: «صدقيني، إنني أشتاق إلى المرحلة التي كانوا فيها بعمر أولادك».

«هذا لأنك لا تذكرين كيف كانت الحال. أنقذني يا الله من الصبيان المراهقين». بدت ويتني حزينة، وضحكتا. «سآتي لتناول الغداء في الأسبوع المقبل. وأريد منك أن تفكري في ليلة رأس السنة. إنه رجل رائع».

«أنا واثقة من ذلك. لكنني لا أملك الوقت». أو الرغبة في لقاء واحد جديد من أصدقاء فريد المخيفين. فهم ليسوا ممتعين، وما من سبب للتفكير في أن هذا الرجل سيكون مختلفاً. ليسوا أبداً كذلك. إذا كانت ستغرم برجل، فهي تريد أن يكون رائعاً. وإلا، فلماذا تزعج نفسها؟ قررت قبل أعوام عدة أنها تفضل البقاء في المنزل وحدها بدلاً من الخروج مع أحمق

لمجرد الخروج. والجميع يلحون كثيراً ليلة رأس السنة ويشربون كثيراً، بمن فيهم فريد. رأت ويتني أنه خفيف الظل، وهذا لطيف. النموذج المثالي في العلاقات بالنسبة إلى آني كان المرحومة أختها وزوجها، اللذين بقيا مغرمين ببعضهما حتى النهاية. لا تريد أقل من ذلك لنفسها أو حتى لأولادها. أخبرت أولادهما الكثير عنهما على مرّ السنوات، وكانت صور جاين وبيل في كل مكان. أبقت ذكراهما حية لهم جميعاً.

نهضت آني للتحقق من الحبش، ودخل تيد بعد دقائق قليلة وهو يرتدي سروال البيجاما وقميصاً قطنياً، ويبدو مثل طفل كبير. في الرابعة والعشرين، كان تيد رجلاً وسيماً، مثل والده. وعندما تحققت، وجدت الحبش جيداً ومائلاً إلى الاحمرار.

قال تيد: «هل تحتاجين إلى المساعدة؟». فيما سكب لنفسه كوباً من عصير البرتقال، وأعطى خالته واحداً.

«أظن أنني بخير. يمكنك مساعدتي على تقطيع اللحم إلى شرائح».

«هذا جيد. من الرائع التواجد هنا. سئمت العيش مع ثلاثة شبان في شقتي. كلهم قذرون».

قالت آني مع ابتسامة حزينة: «مثل أختك». فيما جلسا أمام طاولة المطبخ.

ابتسم تيد ابتسامة عريضة وقال: «في الواقع إنهم أسوأ من كايت».

قالت آني: «هذا مخيف». فيما دخلت ابنة أختها الصغرى الغرفة. كان شعرها القصير منتصباً إلى الأعلى، وكانت ترتدي ثوب نوم قطنياً مع رسوم جماجم عليه.

حضرت لهما آني البيض المخفوق، ثم أضافت الصلصة إلى الحبش، فيما شكرها الشابان على الفطور والتهماه.

قالت كايت بسعادة: «التواجد في المنزل أمرٌ جميلٌ». فيما ابتسمت لها آني وانحنت لتقبيلها.

قالت آني بهدوء: «أمر جميل بالنسبة إليّ أيضاً. هذا المكان مثل

القبر من دونكم».

قالت كايت بصرامة: «عليك التعرف إلى رجل». وبرمت آني عينيها.

«تبدين مثل ويتني. بالمناسبة، إنها تلقي التحية عليكما».

قالت كايت بعفوية: «أبلغيها تحياتي». ثم لاحظت آني وجود وشم تينكربل على الساعد الآخر.

قال تيد بنظرة امتعاض باتت أخته معتادة عليها: «ما هذا؟ تحية إلى ديزني؟».

قالت كايت: «أنت غيور. أظن أنه يجدر بآني الحصول على وشم أيضاً. سيمنحها ذلك طلة جديدة بالكامل». ثم وضعت طبقها في غسالة الصحون.

«ما المشكلة في طلتي القديمة؟ بالإضافة إلى ذلك، سيخاف زبائني».

أصرّت كايت: «أنا واثقة بأنهم سيحبونه. لا تصغي إلى السيد نظافة هنا. لن يعرف الموضة إذا وصلت إليه. إنه عالق في طراز الخمسينيات. اتركيه لبيفر».

«هذا أفضل من مهرجان الرسوم المتحركة على ذراعيك. ما التالي؟ سندريلا أو بياض الثلج؟».

قالت آني وهي تفكر: «أظن أنه يجدر بي وضع نسر على صدري». وابتسمت كايت ابتسامة عريضة.

«سأرسمه لك إذا أردت. يمكنك وضع فراشة على ظهرك. رسمت فراشة رائعة لمحلّ الوشوم في الأسبوع الماضي، وقد استخدموها على شخصين».

علّق تيد بطريقة جافة: «إنها مهنة بالنسبة إليك. فنانة وشوم. أراهن على أن ماما وبابا كانا سيحبان ذلك».

بدت كايت منزعجة من التعليق: «وكيف تعرف؟ ربما كانا ليظنان أن كلية الحقوق مضجرة. كانا أكثر حيوية من ذلك».

تدخلت آني في المناقشة، فيما أضافت الصلصة مجدداً إلى الحبش في الفرن: «كانا سيفخران بكما أنتما الاثنين. ربما يجدر بنا ارتداء ملابسنا». وكانت الساعة قد أصبحت الحادية عشرة.

علّقت كايت: «لا داعي للعجلة. ستصل ليز متأخرة ساعة كاملة وتبدو متفاجئة. تفعل هذا دوماً».

دافعت عنها آني قائلة: «لديها الكثير من الأعمال التي يتوجب عليها إنجازها».

قال تيد باهتمام: «إنها لا تعرف الوقت. من ستحضر معها؟».

«المصور الذي تواعده. جان لوي».

«آه! ضفدع. يستطيع مشاهدة كرة القدم معي».

مازحت كايت أخاها قائلة: «رجل محظوظ. كرة القدم رياضة رائعة». بدا تيد منزعجاً قليلاً، ثم ضحك. عرفت كايت كيف تثير غضبه منذ أن كانت صغيرة، ولم يختلف الوضع الآن.

بعد دقائق قليلة، اختفوا جميعاً في غرفهم وخرجوا مجدداً عند الظهر. ارتدى تيد سروالاً رمادياً، وسترة رسمية، ووضع ربطة عنق، وبدا شبيهاً جداً بوالده برأي آني. وكأنه مستنسخ منه. وبدت كايت أكثر أناقة من عادتها. فقد ارتدت تنورة قصيرة جداً من الجلد الأسود ارتدت تحتها سروالاً أسود ضيقاً، وكنزة سوداء مزينة بالفرو اشترتها لها آني، وانتعلت حذاء عالي الكعب، ووضعت مادة هلاميّة على شعرها لجعله أكثر انتصاباً، ووضعت مستحضرات التجميل، علماً أنها لا تفعل ذلك نادراً. بدت جميلة، وإنما في الوقت نفسه وفية لأسلوبها الخاص. وكانت آني مرتدية فستاناً من الكاشمير البني الناعم ومنتعلة حذاء عالي الكعب.

كانت الساعة الواحدة تقريباً عندما وصلت ليز إلى الشقة. وكانت مرتدية سروالاً من الجلد الأسود، وسترة شانيل بيضاء، ومنتعلة حذاء عالي الكعب. وكان شعرها الأشقر مربوطاً إلى الخلف في كعكة مرتبة، ووضعت قرطين ماسيين صغيرين كانا يلمعان بشدة على أذنيها. الرجل

الذي دخل وراءها بدا وكأنه شخص مشرد أحضرته من الشارع. كان ينتعل حذاء رياضياً ممزقاً، ويرتدي سروال جينز مع ثقوب، وكنزة سوداء ذات قلنسوة مليئة بالثقوب أيضاً. شعره غير الممشط مربوط إلى الخلف في جديلة، ولديه لحية. كان يبتسم، وبدا مسترخياً فيما دخل الغرفة، وقد أحضر أزهاراً لآني. كان لبقاً جداً، وبدا مظهره الخارجي غير متناسق أبداً مع مظهر ليز التي بدت مثل واحدة من العارضات في المجلات، وبدا هو وكأنه محطم منذ عام. وأضفت لكنته الفرنسية جمالاً على مظهره. قبّل آني وكايت على الوجنتين، وصافح تيد. كان مهذباً وودوداً، وفي غضون دقائق، نسوا مظهره الخارجي. إنه أحد أنجح المصورين الشباب في باريس، ويتلقى عروضاً كثيرة في نيويورك. بدا أنه لا يهتم أبداً بما يرتديه، ولا ليز. بدا جلياً أنها سعيدة معه، فيما تمنّت آني بصمت لو أن ابنة أختها لا تضعف أمام هذا النوع من الرجال. وقفوا جميعاً في المطبخ فيما قطّع تيد الحبش إلى شرائح، ثم جلسوا في غرفة الطعام، وأشعلت كايت الشموع، وأحضرت ليز وآني الطعام. إنه احتفال. وعندما نهضوا عن المائدة، بالكاد كانوا يستطيعون التحرك.

قال تيد لآني: «أظن أنها أفضل مناسبة شكر على الإطلاق». وابتسمت له. كان الحبش مثالياً. فقد تحسنت مهاراتها في الطهو على مرّ السنوات، خصوصاً بفعل التجربة.

التفت تيد نحو جان لوي حينها ودعاه لمشاهدة مباراة كرة القدم معه. كان المصور الشاب أكبر من تيد بسنوات قليلة لكنه أكثر تكلفاً. تحدث خلال العشاء عن ابنه البالغ من العمر خمس سنوات. لم يتزوج من أم الصبي قطّ، وإنما عاش معها عامين، وبقيا صديقين. وقال إنه يرى الصبي قدر المستطاع، وينوي تمضية عطلة الميلاد معه. وستلاقي ليز جان لوي في باريس في اليوم التالي، إذ إنّ لديها تصويراً مهماً للمجوهرات في اليوم التالي لرأس السنة، وستمضي أسبوعاً مع جان لوي بين الميلاد ورأس السنة. ذهلت آني لدى سماعها أن لديه ابناً، وتساءلت

عن شعور ليز حيال ذلك. لكن بدا لها أنها لا تبالي. بدا نضوجاً كبيراً أن تواعد ليز رجلاً لديه ولد. لكنها كبيرة بما فيه الكفاية لتحمل المسؤولية إذا كان هذا ما تريده. لم تكن آني واثقة تماماً. إذ لا تبدو ليز جدية مع جان لوي أكثر مما كانت مع أمثاله الذين جاءوا قبله. ولم يكن هو جدياً معها، بالرغم من أنه غازلها كثيراً، ووجدتهما آني يقبلان بعضهما بشغف في المطبخ. شكّت في أن العلاقة مقتصرة على الاستمتاع بصحبة بعضهما، وشعرت بأنها كبيرة في السن عند رؤيتها ذلك. وتساءلت قليلاً إذا كانت ويتني محقة. فلقد وضعت آني هذا الجزء من حياتها على الرف ونسيته تماماً. لكن، بدا تذكره مزعجاً جداً. تلك الألعاب تخص الشباب. رؤيتها لجان لوي وليز جعلتها تشعر فجأة بأنها عجوز. لقد قايضت شبابها بالأمومة البديلة لأولاد أختها. حتى الآن، يبدو هذا الشيء الصحيح، ومقايضة عادلة، وهي غير نادمة.

ذهب تيد وجان لوي لمشاهدة التلفاز في غرفة الجلوس، وراح جان لوي يمجد فضائل كرة القدم، لكنه بدا مستمتعاً بالرياضة الأميركية أيضاً. صدر الكثير من الصراخ والهتاف من أمام شاشة التلفاز، فيما نظفت النساء الثلاث الطاولة، وأخبرت ليز خالتها وأختها كم أن جان لوي رجل لطيف. مالت كايت إلى الموافقة وأحبت شكله، واعترفت آني أنه قذرٌ قليلاً بالنسبة إليها، لكنها عرفت أنها الطلة المرغوبة في الوقت الحاضر. فلقد رأت ما يكفي من أصدقاء ليز لتدرك ذلك، ولم يعد الأمر يصدمها، لكنه لا يروق لها أيضاً. فهي تفضل مظهر تيد المرتب على مظهر جان لوي.

وقفت النساء الثلاث في المطبخ وتحدثن في أثناء التنظيف، وعندما أنهين، كانت مباراة كرة القدم قد انتهت. علّق جان لوي على روعة الوجبة التي تناولها، وقال إنها أفضل ما أكله. وفاز بقلب كايت عندما أبدى إعجابه بوشومها. أجمعوا كلهم على أنها مناسبة شكر مثالية، وبدا جان لوي مرتاحاً في الجو الحنون. وتأثرت آني عند قوله إنّ ليز امرأة رائعة. بدا جلياً أنه مفتون بها، ونال إعجاب الجميع. بعدما غادرا، شاهد

تيد وآني وكايت فيلماً على الدي في دي، وكانت الساعة تشير إلى منتصف الليل عندما نهضوا أخيراً للذهاب إلى أسرّتهم.

ذهبت آني إلى غرفة كايت لتتمنى لها ليلة سعيدة بعد دقائق قليلة، وتفاجأت حين رأتها مستلقية على سريرها، وهي لا تزال ترتدي ملابسها، وتتحدث عبر الهاتف. بدت حيوية وسعيدة، فتركت آني الغرفة بهدوء. تمنّت ليلة سعيدة لتيد، فقبّلها وشكرها على مناسبة الشكر الرائعة. بدا ممتناً لوجوده في المنزل. وعندما عادت إلى غرفة كايت، كانت هذه الأخيرة قد أنهت المكالمة، وظهر تعبير غريب على وجهها؛ فقد بدت مثل الهرة الخائفة.

سألتها آني: «علاقة عاطفية جديدة؟». لم تكن تحب التجسس، لكنها تحاول البقاء على اطلاع على ما يحصل في حياتهم. أومأت كايت بغموض ولم تنظر إلى عينيها.

«ربما».

«هل أعرفه؟».

«لا. إنه شخص أعرفه من المدرسة. ليست مسألة مهمة». لكن عينيها قالتا شيئاً مختلفاً. لطالما كانت كايت كتومة وسرية نوعاً ما، وأكثر ميلاً إلى العلاقات الجدية من العلاقات العابرة. فقد خرجت مع الشاب نفسه طوال أيام الثانوية، لكنهما انفصلا عندما ذهب إلى الجامعة في الشاطئ الغربي. لم تملك صديقاً جدياً منذ ثلاثة أعوام، لكن شيئاً ما أنبأ آني بأن هذا الرجل قد يكون جدياً. بدت كايت حالمة فيما قبّلت خالتها وتمنت لها ليلة سعيدة.

قالت آني: «مناسبة شكر سعيدة». فيما قبّلت ابنة أختها، وابتسمت كايت.

الفصل الرابع

كما هي الحال الآن منذ أعوام عدة، يتغير الأمر بالنسبة إلى آني عندما يغادر أولاد أختها بعد عطلة الشكر. عاد تيد إلى شقته، وكايت إلى غرفتها في مساكن الطلاب ليلة الأحد. فبدا المنزل مثل قبر، والشيء الوحيد الذي أفرحها هو أنهم سيأتون لزيارتها مجدداً في الميلاد، أي بعد شهر واحد فقط. بعد سنوات عدة من العيش معهم، إنها تحيا فقط للأوقات التي يجتمعون فيها مع بعضهم. تكره الاعتراف بذلك أمام أي كان، حتى ويتني، لكن هذا صحيح.

شعرت بالارتياح للعودة إلى العمل صباح الاثنين. لديها أربعة اجتماعات مع الزبائن في يوم واحد، وزارت اثنين من مواقع العمل خلال الغداء. ولم تعد إلى الشقة إلا بعد الثامنة مساء. كانت متعبة جداً، فنظرت إلى بعض الخرائط والملاحظات التي كتبتها خلال اجتماعاتها مع الزبائن، ثم استحمت وخلدت إلى السرير. كانت متعبة جداً فلم تفكّر في الأولاد، ولم تزعج نفسها بتناول العشاء، وبالكاد لاحظت الغرف المعتمة والصمت في الشقة. إنه العقار الذي لطالما استخدمته لمعالجة الوحدة والألم؛ ألا وهو الغرق في العمل.

كان يوم الاثنين بعد عطلة الشكر يوماً مزدحماً بالنسبة إلى ليز أيضاً. فلديها تصوير مهم للمجوهرات لعدد شهر مارس، واختارت بعض القطع المهمة من كل أنحاء العالم. الموضوع هو الربيع، والمجوهرات التي تستخدمها على شكل أزهار، وأوراق، وجذور من أبرز مُعلني المجوهرات لديهم، وبعض المصممين الجدد الذين اكتشفتهم ليز بنفسها.

كان هنـاك ثلاثـة حراسـ مسلحيـن في أثنـاء التصوير ، وأربـع من أهم العارضـات في العالم حالياً. وافقت إحداهن على الوقوف عارية، وهي مغطـاة بالمجوهـرات تماماً. والمصوّر الذي تم استخدامه مهم جداً أيضاً. كانـوا يستمتعـون في مكان التصوير ، ويجربون أشياء ويلعبون بها خلال الاستراحات.

مـرّ جـان لوي عندما أنهى تصويره. وكانـت ليز تعمل مع فريقها حتى وقت متأخر.

قال وهو يتأمل من بعيد بإعجاب: «تصوير جميل». فيما وقف قرب ليـز. كانت ترتـدي سروالاً أسود ضيقاً وقميصاً قطنياً وتنتعل حذاء عالي الكعب صنعته دار جيفنشي خصيصاً لها. أمّا شعرها الأشقر الطويل فكان مربوطـاً إلـى الخلف في جديلة، ولم تكن تضع أيّ مستحضرات تجميل. بـدت متعبـة ومتوترة. إنهـم يعملون منذ الثامنة صباحـاً، وتواجدت في استوديـو المصـور في تمام الساعـة السادسة لترتيب الأشياء. يكون لديها عادة مساعد للقيام بذلك، لكن القطع التي يستخدمونها ذات قيمة نفيسة جداً بحيث شعرت أنّ عليها التواجد هناك بنفسها.

وضـع جـان لوي ذراعيه حولها وقبّلها. إنهما يتواعدان منذ أشهر ، مـع تقطعـات متواترة لأنهمـا يعيشان في مدينتيـن منفصلتين، ويسافران كثيـراً بدافـع العمل. وهما يحاولان لقاء بعضهما في باريس أو نيويورك مرة أو مرتين شهرياً. بدا الأمر ناجحاً، ولم يملك أي منهما الوقت لأكثر من ذلك في العلاقة. إنهما نجمان صاعدان في مجاليهما.

حلـم ليـز السـري هـو أن تصبـح محررة في مجلة **فـوغ** يوماً ما، وعرفـت أن الوصـول إلـى ذلك يتطلب سنوات عدة من العمل. عليها أن تترك بصمتها كمحررة مميزة أولاً. وما تفعله الآن أساسيّ. وكان جان لـوي ناجحـاً وإنمـا أكثر ارتياحاً في عمله. أخبرهـا أنها تأخذ الحياة على محمل الجد كثيراً، لكن لطالما فعلت ليز ذلك. أصبحت الحياة جدية كثيراً بالنسبة إليها في يوم أحد من شهر سبتمبر عندما كانت في الثانية عشرة من

عمرها. وهي تتوتر بشأن كل شيء منذ ذلك الحين. الشيء الوحيد الذي لا تفعله أبداً هو الاسترخاء. فهي لا تسلّم جدلاً بأي شيء على الإطلاق، ولا تتعلـق بـأيّ شيء أو بـأيّ كان كثيراً. الأشخاص الوحيدون الذين لا تستطيع العيش من دونهم هم أخوها، وأختها، وخالتها. الرجال في حياتها يأتـون ويذهبـون. اتهمهـا جان لوي مرات عدة بأنها بـاردة ولامبالية. وسمّاهـا أميـرة الجليد. لم تكن كذلك، لكنهـا حذرة مع الرجال، ويسهل فهـم السبـب. أخبرته أنها خسرت والديهـا عندما كانت صغيرة، لكنها لم تدخل في التفاصيل قطّ. فرعبها الليلي بعد ذلك، والكوابيس التي عرفتها ولا تزال تعرفها أحياناً، وسنوات العلاج لتخطي الخسارة، ليست أبداً من شأنه. كل ما أرادته من جان لوي هو المتعة، وأحبت كونهما يعملان في المجال نفسه. الرجال الذين تخرج معهم يعملون دوماً في مجال الموضة. وبقيـة الأشخاصـ لا يفهمـون العالم المجنون الـذي تعيش فيه، وكم هي شغوفـة بعملهـا. شعرت خالتها آني مثلها تماماً، وكانت نموذجاً مثالياً لليز فيمـا كبـرت. توجيهاتهـا لليز كانت بأن تلحق بحلمها وتبذل ما في وسعها لتحقيقه جيداً. حاولت ليز دوماً الالتزام بهذه القواعد وكانت محترمة جداً في عالم الموضة نتيجة لذلك. فأفكارها مبتكرة، وجريئة، وجديدة.

حـلّ منتصـف الليل تقريباً عندما التقطوا الصورة النهائية. عاد جان لوي إلى شقته حينها، ووعدته ليز بالذهاب عندما ينتهون. علا الهتاف في الاستوديـو عندمـا التقط المصور المجموعة الأخيرة من الصور وأعطاهم علامة الرضى عن اللقطة الأخيرة. ستكون الصور رائعة.

احتاجـت ليـز ومساعداها إلى ساعة أخرى لترتيب كل المجوهرات وترقيـم العلـب. ورافقها الحراسـ الثلاثة المسلحون إلـى مكتبها، حيث وضعـت كل شـيء فـي الخزنة. وصلت إلى منزل جان لوي عند الساعة الثانيـة مـن بعد منتصف الليل. كان يصغي إلـى الموسيقى ويحتسي كأساً مـن الشـراب الفرنسـي في أثناء انتظـاره إيّاها. وقف فـي غرفة جلوسه بجسمـه الطويـل النحيل الرائع، عندما دخلت ليـز الشقة مستعملة المفتاح

الذي يخبئه وراء مطفأة الحريق خارج بابه. كان يضع المفتاح هناك لأنه يضيعه دوماً. نصف العارضات في المدينة يعرفن أين يجدن هذا المفتاح. لكن، في الوقت الحاضر، المفتاح لها فقط. لم تبالِ بالوقت الضئيل الذي يمضيانه معاً، لكن الشيء الوحيد الذي تهتم به هو أنهما لبعضهما ولا يخون أحدهما الآخر. ووافقها جان لوي على ذلك. فهو لا يحتاج إلى التزام طويل الأمد. وعندما يريد امرأة مختلفة، يترك حبيبته ويجد واحدة. لكنّ أياً منهما لا يرغب الآن في الذهاب إلى أي مكان آخر. كانت ليز راضية، مهما رأت آني أنه غير ملائم لها. جان لوي مناسب تماماً لعالمها كثير الأسفار وسريع التحرك، وهو مرتاح معها.

ابتسم عندما دخلت، وفيما أصبحت بين ذراعيه، شعرا فوراً بنيران بركانيهما. أخفضها برفق على الأريكة، وعندما خمدت نيرانهما كانا منقطعي الأنفاس.

قال بسعادة: «أنت تصيبينني بالجنون». وأرجع رأسه إلى الخلف، فيما مررت إصبعها برشاقة فوق لحيته، نزولاً على عنقه، ومن ثم حركت أصابعها ببطء إلى الأسفل. قال: «لا .... ليس مجدداً سوف أموت».

همست له: «لا، لن تموت». وقبّلته، وكان الأمر رائعاً، لأنهما ليسا معاً طوال الوقت. لا تزال هناك حماسة وغموض وتوق بينهما، مما يغذي نار شغفهما. لم يخبرها قطّ أنه يحبها، ولم تتساءل يوماً إذا كان يحبها. فهي ليست مستعدة لذلك، مع أي كان، ولم تكن يوماً كذلك. إنها تهتم به وتستلطفه وتستمتع برفقته، لكن في الثامنة والعشرين من عمرها عرفت أنها لم تغرم قطّ؛ إذ ثمة شيء يكبحها. ربما الخوف من الخسارة. هكذا، لن تخسر أي شيء إذا تركها؛ باستثناء الوقت الرائع. ستشتاق إليه، لكنها لا تريد أبداً أن تشعر بالألم المبرح نتيجة خسارة حقيقية مجدداً، وهي تفعل كل ما هو ممكن لتفادي ذلك. تطلق على نوع العلاقة التي تريدها اسم حميمية من دون ألم، لكن معالجها قال إنه لا يوجد مثل هذا الشيء. ليس حميمية حقيقية، أو حباً. قالت إنه لا يوجد حب من دون مجازفة،

ولهذا السبب تحديداً، لم تحب ليز أي رجل. إنها تلتزم لكنها لا تتملك أبداً. وعندما تشعر بأن الوضع لم يعد ملائماً، أو بأنها أصبحت قريبة جداً من الرجل، تتركه. تحفظها كان تحدياً بالنسبة إلى معظم الرجال، وبالنسبة إلى جان لوي أيضاً. فقد أرادوا تملكها وجعلها تقع في الغرام. لكنها لم تفعل ذلك قطّ، أو ليس بعد. تساءلت إذا كانت ستقع في الغرام يوماً ما، أو إذا كان هذا الجزء منها قد مات عندما تحطمت طائرة والديها وهي في الثانية عشرة من عمرها؛ الجزء الذي يرغب في أن يكون ضعيفاً ويجازف.

قال جان لوي: «أنا مجنون بك، ليز». فيما أعادا الأمر مجدداً تحت ضوء الشموع في شقته.

قالت بهدوء: «وأنا أيضاً». وانسدل شعرها الأشقر الطويل مثل الستارة على وجهها، وظهرت عين زرقاء كبيرة تحدق إليه. إنها مسرورة لأنه لم يقل إنه يحبها. إنها خطوة لا تريد اتخاذها. فهو ليس مغرماً بها أيضاً، وإنما يستلطفها ويتمناها، وهذا كل ما تريده منه. وضعت شفتيها على شفتيه وقبّلا بعضهما. بعد ذلك، خلدا إلى النوم بين ذراعي بعضهما، على الأريكة، فيما ذابت الشموع وانطفأت بهدوء، واستلقت ليز قرب جان لوي وتنهدت بسلام في أثناء نومها.

يوم الاثنين بعد عطلة الشكر لم يكن يوماً سعيداً بالنسبة إلى تيد. فقد كان واحداً من تلك الأيام التي لا يسير فيها أي شيء على ما يرام. فقد تم قطع المياه عن مبناه لإصلاح عطل طارئ، ولم يستطع الاستحمام عندما نهض. وأنهى رفاقه في الشقة القهوة. وفوّت حافلتين ومن ثم القطار عندما حاول الذهاب إلى الجامعة، وتأخر عن الصف. وعندما أعطتهم الأستاذة نتائج امتحان أنجزوه في الأسبوع الماضي، حصل على أجوبة عدة غير صحيحة ونال علامة سيئة. وفاحت رائحة كريهة من الشاب الجالس قربه، وعندما انتهى الصف، كان في مزاج سيئ نتيجة العلامة

السيئة التي نالها في الامتحان والرائحة الكريهة.

كان يغادر الصف بوجه متجهم عندما أشارت إليه الأستاذة. فالأستاذ الذي يدرّسهم هذه المادة عادة في إجازة ليؤلف كتاباً، واستلمت هي المهمة عنه لمدة سنة. اسمها باتي سيرز، وهي امرأة جذابة، ذات شعر طويل مجعد، وارتدت سروال جينز وقميصاً قطنياً كشف عن صدرها، وانتعلت حذاء بيركنستوك مع زوج من الجوارب. لاحظ ذلك عندما كان ضجراً في الصف. بدت وكأنها في بداية العقد الثالث، وهي جذابة بطريقة شاملة وطبيعية.

قالت بنبرة متعاطفة: «أنا آسفة بشأن الامتحان. العقود مثل المرأة الساقطة». ابتسم تيد مما قالته. «رسبت أنا في الامتحان في أول صف لي. بعض القواعد غير منطقية».

قال تيد بحذر: «أظن ذلك. لقد درست جيداً. عليّ قراءة تلك الفصول مجدداً». طوال سنواته المدرسية والجامعية، نال علامات جيدة. وباستثناء الامتحان الأخير، كان يبلي حسناً. إنه في السنة الثانية في كلية الحقوق في جامعة نيويورك.

«هل تريد بعض المساعدة؟ من المفيد أحياناً أن تستعد للامتحان مع شخص يعطيك بعض النصائح. أنا لا أمانع». كانت قد أخبرتهم أنهم سيخضعون لامتحان آخر في الأسبوع المقبل، وهو لا يريد علامة أخرى سيئة.

قال وهو يبدو محرجاً: «لا أريد إزعاجك». ارتدت سترة سميكة، واعتمرت قبعة صوفية. ثمة شيء مألوف وودود فيها. تخيلها بسهولة وهي تقطع الخشب وتشعل النار في فيرمونت، أو تحضر الحساء. «سأقرأ الفصول، وإذا شعرت بأنني لا أفهمها، سأسألك بعد الصف التالي».

قالت: «لمَ لا تأتي إلى منزلي الليلة؟». وكانت عيناها دافئتين ولطيفتين. تردد تيد، وشعر أنه سيكون فظاً إذا رفض طلبها. إنها تعرض عليه المساعدة، وهو لا يريد أن يُشعرَها بأنه لا يقدّر المبادرة. لكن، بدا

الذهاب إلى منزلها غريباً. لم يتحدثا إلى بعضهما قطّ خارج الصف. «ينام ولداي عند الساعة الثامنة. لماذا لا تأتي عند التاسعة؟ يمكننا المراجعة للامتحان خلال ساعة. سأعطيك بعض المؤشرات الأساسية بشأن العقود، وأشرح لك الأشياء المهمة».

قال بتردد: «حسناً». لأنه لا يرغب في التطفل على حياتها الخاصة. دوّنت عنوانها على ورقة صغيرة وأعطته إيّاه. لاحظ أنها تعيش في إيست فيلاج، في مكان غير بعيد عن الجامعة؛ في منطقة قديمة. سألها وهو يشعر بأنه ولد: «هل أنت واثقة من أنك لا تمانعين؟ لن أبقى لوقت طويل». بدت له مثل أم حنون، بالرغم من أنها ليست أكبر سناً منه بكثير.

«لا تكن سخيفاً. عندما يخلد الولدان إلى السرير، يصبح لديّ الكثير من الوقت». أومأ برأسه وشكرها مجدداً، وأصبح يومه أفضل بعد ذلك. شعر بالارتياح لأنها عرضت عليه المساعدة، وعرف أنه يحتاج إلى المساعدة في هذه المادة. كان لديه صف آخر بعد ذلك، ثم ذهب إلى المكتبة للدراسة قليلاً، وتوقف لتناول العشاء في مطعم، قبل موعده في منزل الأستاذة عند الساعة التاسعة. وصل إلى مبناها قبل خمس دقائق، وكان الطقس بارداً جداً في الخارج فدخل. فاحت من المبنى رائحة البول والنفايات والهررة، فرنّ الجرس، وصعد الدرج مسرعاً للوصول إلى الطابق الثالث. رؤية المبنى جعلته يدرك أنها تجني القليل من المال من مهنتها، وتساءل إن كان يجدر به عرض بعض المال عليها مقابل مساعدتها إيّاه، لكنه لم يشأ إهانتها. ضغط على جرس الباب، واستطاع سماع ولديها وهما يضحكان في الداخل. يبدو أنهما لم يخلدا إلى السرير في الوقت المحدد، وبدت باتي مرتبكة عندما فتحت له الباب. كانت حافية القدمين، وترتدي كنزة وردية اللون، وسروال جينز. وجعلها شعرها الأشقر الطويل المجعد تبدو أصغر من عمرها الحقيقي. والفتاة الصغيرة الواقفة خلفها مباشرة بدت مثل نسخة مصغرة عنها، مع خصل مجعّدة وعينين زرقاوين.

قالت باتي بطريقة رسمية فيما ابتسمت له: «هذه جيسيكا، وهي لا تريد الذهاب إلى السرير. تناولت الكيك بعد العشاء، ويبدو أن مستوى السكر قد ارتفع في دمها». إنها في السابعة وهي أجمل فتاة رآها تيد، وفيما كان يتحدث إليها لبضع دقائق، مرّ أخوها جاستن أمامهم أسرع من الصوت، مثلما قال وهو يركض. وضع رداء سوبرمان فوق البيجاما، وكانت جيسيكا ترتدي ثوب نوم ورديًا بدا مهترئاً.

شرحت الفتاة الصغيرة: «إنه المفضل لديّ». ثم لحقت بأمها وتيد إلى غرفة الجلوس، حيث طار جاستن فوق الأريكة وهبط على الأرض مصدراً دويًا كبيراً.

«حسناً، يكفي. علينا أنا وتيد دراسة بعض الأمور، ولا أبالي بعدد قطع الكيك التي أكلتماها، فقد حان وقت الذهاب إلى السرير». لقد مرت ساعة كاملة على موعد نومهما، وبدت غرفة الجلوس فوضوية مع الألعاب المبعثرة في كل مكان.

هناك غرفتان للنوم بالإضافة إلى غرفة الجلوس والمطبخ، وقالت باتي إن المنزل مستأجر. وجده لها مكتب الإسكان في الجامعة، وهي ممتنة لحصولها عليه. قالت إن المربية التي تستخدمها تعيش في الأسفل، وبعد الطلاق، بات الأمر مثالياً. وعدته بالعودة بعد خمس دقائق، بعد وضع الولدين في سريريهما. في النهاية، احتاجت إلى نصف ساعة، فيما قرأ تيد كتاب العقود وحضّر لها لائحة من الأسئلة.

عندما أنهى لائحته، ظهرت باتي مجدداً، وقد انسدل شعرها حول وجهها في تموجات ناعمة، وكانت وجنتاها متوردتين نتيجة اللعب مع الولدين. شرحت له قائلة: «في بعض الأحيان، لا يرغبان في الذهاب إلى السرير. كانا مع والدهما لتمضية مناسبة الشكر. نشترك في حق الحضانة، ولا توجد قواعد في منزله، ولذلك يكونان مجنونين قليلاً عندما يعودان إلى هنا. وفي الوقت الذي يهدآن فيه ويعودان إلى رشدهما مجدداً، يزورانه مجدداً. الطلاق صعب على الأولاد». جلست على الأريكة قرب

تيد وأخذت منه اللائحة. كانت الأسئلة ذكية ومنطقية، وكانت تملك جواباً واضحاً عن كلّ منها. عرضت عليه أمثلة، وقلّبت صفحات الكتاب لتظهر له ما يحتاج إلى دراسته وحفظه غيباً، وأوضحت له بعض النقاط المهمة. وبعد ساعة، جلس تيد على الأريكة وهو يبدو مرتاحاً جداً.

قال بإعجاب: «تجعلين الأمور تبدو بسيطة جداً». إنها أستاذة جيدة، وهو يحب أسلوبها. إنها إنسانة ودود وحنون، وامرأة ذكية، وأم جيدة حسب ما رآه. بدت مثل الأم الطبيعة فيما شبكت ساقيها تحتها، وابتسمت له. كانت تملك جسماً جذاباً، وبدت رشيقة فيما شرحت له أنها مارست اليوغا طوال سنوات. وهي تعطي دروساً في اليوغا أحياناً، وقالت إنها تفعل كل شيء ممكن لجني المال. زوجها السابق فنان ولا يستطيع دفع مصاريف الولدين. إنها تتحمل كل شيء بمفردها. أعجب تيد بصراحتها وشجاعتها. لم تقل أي شيء مزعج بشأن زوجها السابق، وبدا أنها تقبل حياتها كما هي، وكان لطفاً منها أن تعرض عليه المساعدة. شعر أنه يجدر به دفع شيء لها مقابل المساعدة، لكنه لم يعرف ماذا، ولم يشأ إهانتها.

كان على وشك النهوض والمغادرة، كي لا يتطفل عليها أكثر، عندما عرضت عليه كأساً من الشراب. تردد قليلاً، وهو غير واثق مما يجدر به فعله. لقد جعلته نوعاً ما يشعر بأنه صبي صغير أحمق، وشعر بالغرابة عند وقوفه قربها. وقبل باحتساء كأس من الشراب كي لا يهينها. سكبت له القليل من الشراب الإسباني زهيد الثمن، وسكبت كأساً لنفسها.

قالت: «طعمه لذيذ بالنسبة إلى شراب رخيص». فأومأ لها برأسه. إنه جيد، وكان الجلوس هناك معها ممتعاً. مدد ساقيه الطويلتين تحت طاولة القهوة، واستدارت نحوه فيما وضعت كأسها على الطاولة وابتسمت له. قالت بحنان: «أنت صغير جداً لتكون في كلية الحقوق. هل جئت إلى هنا مباشرة بعد الثانوية؟». عرفا أن هذا نادر، لأن معظم طلاب الحقوق يعملون لبضع سنوات قبل دخول كلية الحقوق.

«لست صغيراً جداً. أنا في الرابعة والعشرين. عملت في الشؤون

القانونية لمدة سنتين. أمضيت وقتاً رائعاً، واقتنعت بأنني أريد الذهاب إلى كلية الحقوق».

«عملت مدرّسة لأولاد عائلة قاض خلال أيام الثانوية، واقتنعت بأنني أريد التدريس. لم أرغب قطّ في ذلك النوع من المسؤوليات؛ أي إفساد حياة الناس واتخاذ القرارات لهم».

قال تيد، نصف ممازح ونصف جدي: «أفضل أن أكون مدعياً عاماً حين أكبر».

قالت: «هذا عمل صعب جداً. أنا في السادسة والثلاثين وكل ما أريده حين أكبر هو أن أكون سعيدة وأتوقف عن القلق بشأن كيفية دفع الإيجار. سيكون هذا رائعاً». وارتشفت القليل من الشراب. التقت أعينهما، وبرز شيء متقد في عينيها. لم يعرف ما هو، لكنه كان آسراً، كما لو أنها تملك سرّ العصور وتريد مشاركته إيّاه. وفيما نظر إليها، اختفى فارق العمر بينهما مثل الضباب.

لم يتفوها بأي كلمة لوقت طويل، وكان تيد على وشك شكرها مجدداً على مساعدته في دراسة مادة العقود، عندما انحنت نحوه من دون أن تتفوّه بأي كلمة، ووضعت ذراعها حول عنقه، وشدّته بالقرب منها. قبّلته حينها، وحين فعلت، شعر أن النار تشتعل في شفتيه وجسمه. لم يشعر بمثل هذا الشيء من قبل قطّ. بدأ يبتعد عنها ووجد أنه لا يستطيع التوقف. شعر وكأنه مخدّر، وأنها المخدر، وبأنه يريد المزيد. شعر وكأنه قد أصبح مجنوناً فجأة. كانت باتي تبتسم له، وشدّته بالقرب منها وقبلته مجدداً.

سألها: «ماذا عن الوالدين؟». القلق بشأن والديها كان آخر فكرة منطقية خطرت له.

همست قائلة: «لقد ناما». وكان مدركاً تماماً للصمت في غرفة النوم الثانية. أخيراً، استسلم لها. فباتي كانت تصدر شيئاً أقرب وصف له هو التيار الكهربائي الصاعق. وكان هذا التيار يشدهما إلى بعض. لم يستطع

إبعاد عينيه عنها. فهمست له: «فلنذهب إلى السرير». ومن دون تردد، لحق بها إلى غرفة نومها. إنه المكان الوحيد الذي يريد أن يكون فيه، أقفلت باتي الباب وراءهما، وشعر تيد وكأنه تم امتصاصه إلى عالم آخر، وانقلب عالمه رأساً على عقب. لم يعرف قطّ مثل هذا الشعور في حياته. وشعر بالقليل من الدوار بعدما أنهيا واستلقيا على الأرض.

قال تيد: «آه...». شعر بإثارة كبيرة لدرجة الغثيان، وكل ما أراده هو المزيد. إنها مخدر. «ماذا حصل؟». بدا تائهاً، وشعر كذلك وهو ينظر إليها في الظلام، وصعدا إلى سريرها. كان جسمه الطويل الرياضي يتصبب عرقاً، وكذلك جسمها. كان جسمها ممتلئاً وجذاباً، وكل إنش منها يخبر بألف قصة، مثل نوع من الإكسير الذي لا يستطيع العيش من دونه.

قالت باتي في العتمة بهدوء: «أظن أنهم يسمونه الحب». حاولا عدم إصدار الكثير من الضجيج كي لا يوقظا والديها، وكانا يتهامسان الآن. ليس واثقاً من أنه يوافقها الرأي في اختيار الكلمات. فهو لا يعرفها جيداً لكي يحبها، لا بل إنه لا يعرفها على الإطلاق، لكنه نوع من العلاقات الذي عرف أنه لن ينساه أبداً.

قال بصراحة: «لست واثقاً من أنه الحب، لكنه أفضل شيء عرفته في حياتي».

«هل هذا كل شيء بالنسبة إليك؟». بدت خائبة الأمل، فضحك بنعومة في الظلمة.

حاول وصف الأمر: «إنه نوع من انفجار عالمي. هيروشيما الحب، أو جبل فيسوفيو أو ما شابه». لم يحدث له شيء مثل هذا من قبل. تخيل أن هذا هو ما يشعر به الأشخاص الذين يتعاطون المخدرات التي لم يجربها قطّ.

همست باتي: «أردتك منذ أول يوم دخلت فيه صفي». نظر إليها عبر ضوء القمر المتسلل من نافذة غرفة نومها. بدت فجأة مثل فتاة صغيرة

مع كتل من الشعر الأشقر الناعم المتموج وعينين كبيرتين. بدت بريئة وحلوة، وليست مثل المرأة التي أخذته إلى أعلى القمم قبل لحظات. بدا له أنها تملك أوجهاً متعددة، ما جعله يشعر بحيرة أكبر. تفاجأ عندما سمعها تقول إنها انتبهت إليه في الصف.

«لم أكن أظن أنك تعرفين من أكون». هناك مئتا طالب في الصف، وكان تيد يجلس غالباً في الخلف.

قالت له: «أعرف تماماً من تكون». وقبّلت عنقه. وبعد لحظات قليلة، كانا يجربان كل ما طلبته باتي، بحيث لم يعد في وسعه التحمل أكثر فانفجرا بعنف في الوقت نفسه. بعد ذلك، بالكاد استطاع التكلم.

قال بصوت ضعيف: «باتي... ما هذا؟ ماذا تفعلين بي؟ أظن أنني وقعت تحت تأثيرك الساحر».

«أخبرتك... إنه الحب...». امتلكت ضحكتها رنيناً جميلاً مثل الأجراس الصغيرة.

«أظن أنني سأموت إذا لم نتوقف قليلاً». لكنها لم تعرف الراحة، فجننته مجدداً، وداعبته، وعذبته، وأرضته مراراً وتكراراً. لم يتوقفا إلا عند بزوغ الفجر، إلى أن نام أخيراً ورأسه على صدرها، فيما داعبت شعره بلطف، كما لو أنها تداعب طفلاً. غطته بالبطانيات وقبلت أعلى رأسه بلطف. إنها أروع ليلة أمضاها في حياته.

الفصل الخامس

عندما استيقظ تيد في اليوم التالي عند الظهر، كانت باتي قد غادرت. وكان ثمة إبريق من القهوة له، وبعض قطع البسكويت، وورقة كتب عليها: «أراك في الصف. أحبك. ب». أدرك باستياء أنه فوّت صفين باكرين هذا الصباح. وعندما توجه إلى المطبخ، بالكاد استطاع المشي. لا يعرف أبداً ما الذي حصل له في الليلة الماضية. بدت حنوناً وودوداً، وبقبلة واحدة تحوّلت إلى نمرة، وبعدها إلى طفلة. قال لنفسه إن هذا لا يمكن أن يحصل مجدداً؛ فمن المبتذل جداً أن يفعل ذلك مع أستاذته، غير أنه عندما شرب القهوة، لم يستطع التفكير إلا في ما فعلته في الليلة الماضية، وشعر بالجنون مؤقتاً.

استحم ثم ارتدى ثيابه، ورتب ملاءة السرير، وأمسك بمعطفه ونزل السلالم في المبنى الذي فاحت منه روائح كريهة. غير أنه لم يكن يبالي. لقد تأخر على صفها تقريباً، وكان آخر شخص يدخل مسرعاً ويجلس على مقعده، ووجد نفسه يحدق إليها في أثناء المحاضرة، متذكراً الليلة الماضية. كانت ترتدي الكنزة الوردية نفسها التي ارتدتها في الليلة الماضية، واستدارت مرات عدة للنظر إليه، بطريقة حركت مشاعره. شعر بالرغبة فيها طوال صفها، وانتظر حتى يهدأ قبل أن ينهض للمغادرة. عندما انتهى الصف، توجهت إليه مع ابتسامة ونظرت إليه. شعر بأن كل شيء يضيق حوله عندما تحدثت. كانا الوحيدين الباقيين في الغرفة، وللحظة مجنونة أراد تكرار الأمر الآن. بين ليلة وضحاها، حوّلته إلى شخص لا يعرفه. كان غريباً على نفسه بقدر ما كان غريباً عليها.

همس: «لا بد من أنك تمارسين السحر». فيما نظر إليها وهزّت رأسها.

«لا. أنا لك فقط. أنت تملكني الآن تيد». قالت ذلك ببساطة كبيرة.

قال بصراحة، محاولاً الحفاظ على شيء من المنطق قبل أن يفقده معها مجدداً: «لا أريد امتلاك أحد. أريد فقط أن أكون معك مجدداً». شعر معها بأنه تحول إلى الرجل الذي لم يحلم يوماً بأن يكونه. هذا جزء من الحياة اتخذ منحى بعيداً جداً جداً عن التجارب العادية التي عاشها لغاية الآن. لقد انفصل عن صديقته قبل ستة أشهر، لأنه لم يشأ التورط في علاقة جدية معها. والآن، هذا عالم جديد تماماً، مع امرأة أكثر خبرة منه بكثير. إنه إحساس قوي. وقف واضعاً ذراعيه حولها، ومتشبثاً بها؛ مثل طفل تائه في عاصفة.

«أحبك تيد». قالت ذلك بطريقة جعلته يشعر بالتوتر، وبدأ يتساءل فعلاً إذا كان هذا هو الحب. إنها تعرف ربما.

«لا تقولي هذا. أنت لا تعرفينني بعد. دعينا نتعرف إلى بعضنا لنرى ما هذا». حاول أن يكون منطقياً معها. لكن، ما من شيء حصل وكان منطقياً.

همست في أذنه: «إنه الحب». وأراد تصديقها إذا كان هذا يقوده إلى حضنها مجدداً. قالت فيما خرجا من الغرفة: «دعنا نذهب إلى المنزل».

«ماذا عن ولديك؟». كان قلقاً بشأنهما. فهو لا يريد أن يدركا ماذا يفعل مع أمهما، وشعر بالتوتر لدى معرفته أنهما هناك. لقد نسي الأمر تماماً في الليلة الماضية، لكنه لا يريد فعل ذلك مجدداً. إذ لا يبدو هذا تصرفاً جيداً بالنسبة إليه.

قالت باتي مع ابتسامة طفولية: «إنهما مع والدهما الليلة. أخذهما من المدرسة. سيبقيان معه ليومين». نظر إليها تيد وابتسم. إنه خبر جيد لهما معاً، ذهبت وتيد إلى منزلها بسرعة كبيرة وسيراً على الأقدام، وصعدا السلالم مسرعين إلى شقتها. كان يثبتها إلى الباب فيما فتحته، ثم ركلته

برجلها لإغلاقه، وركضا إلى غرفة الجلوس واستلقيا على الأريكة. كانت الليلة التي أمضياها معاً أهم بكثير من الليلة السابقة. وفي اليوم التالي، لم يشأ أي منهما الذهاب إلى الجامعة. اتصلا للقول إنهما مريضان، ولم يفارقا بعضهما طوال الليل والنهار. قالت باتي إنه يجب أن يكون الشخص في عمر تيد للقيام بهذا الأمر بهذه الوتيرة، لكنها كانت معه في كل مرة. فيما التصق بها وذابا في بعضهما. لم يفكر أي منهما في العمر، أو يهتمّ بذلك. فكل ما أراده تيد الآن هو باتي.

عندما عاد ولدا باتي من عند والدهما، ذهب تيد إلى شقته للمرة الأولى بعد ثلاثة أيام. كانت الليالي التي أمضاها معها مثل موجة كبيرة دفعته منهكاً إلى الشاطئ. بدا وكأنه بقي ثملاً لثلاثة أسابيع عندما عاد أخيراً إلى المنزل. شعر بالامتنان لأن أياً من رفاقه لم يكن موجوداً. لم يذهب إلى الجامعة طوال ثلاثة أيام. وعدته باتي بأن تعطيه علامة ممتازة في صفها مهما فعل في الامتحان، لكنه لم يشعر بأن هذا جيد. عليه أن يعود إلى الجامعة. وعادت هي أيضاً إلى العمل أخيراً بعد ظهر ذلك اليوم.

اتصلت به بعد ساعة من وصوله إلى المنزل، وكان مستلقياً على سريره وهو مغمض العينين.

«لا أستطيع التحمل. أريد أن أراك». بدا صوت باتي مرحاً على الهاتف، وابتسم وهو يفكر فيها.

«يجدر بنا الذهاب إلى كل مكان مع بعضنا مثل التوأم السيامي». في اليوم السابق، حملها إلى المطبخ، وأطعمها العنب والفراولة، وجعلها تجلس على المجلى. ما من شيء لم يجرباه خلال الأيام الثلاثة الماضية. فبفضل باتي، أصبحت ثقافته الآن مكتملة، أو ربما كانت مجرد البداية.

بدت يائسة: «هل أستطيع المجيء إليك؟».

«أين الولدان؟». إنه قلق دوماً بشأنهما. فهو لا يريد إزعاجهما أبداً بسبب علاقته المجنونة بها.

«أستطيع تركهما مع السيدة باشيسو في الأسفل لساعتين. ماذا تفعل؟».

«أنا مستلق على سريري. يفترض أن يعود رفاقي إلى الشقة قريباً، لكنك تستطيعين المجيء إذا أردت». كان يملك غرفته الخاصة، بالرغم من أن الجدران رقيقة جداً. ولم يخطر له قطّ أنهم قد يذهلون من عمرها. توقف عن التفكير في فارق العمر بينهما بعد الليلة الأولى. فقد جعلته متعة الأمر ينجح في إلغاء فارق العمر بينهما.

وصلت إلى هناك بعد نصف ساعة، بعدما أوصلت الولدين إلى المنزل، واستقلت سيارة أجرة إلى منزله. حين وصلت، لم يكن رفاقه في السكن موجودين، وجنا ببعضهما لمدة ساعتين قبل أن تضطر إلى المغادرة. لم يتركا بعضهما قطّ، وبالكاد تحدثا، إلا عندما كانا مرهقين جداً. لكن باتي قالت إن روحيهما من أصل واحد، وصدقها. فأيّ تفسير يمكن أن يكون لما يحصل بينهما؟ لا يستطيع التفكير في شيء آخر.

قالت له قبل أن تغادر: «أراك غداً». وقبّلها. كان مرهقاً جداً بحيث نام بعد خمس دقائق، ولم ينجز مطلقاً كل الدروس المطلوبة منه، ووعد نفسه بأن يفعل ذلك الليلة. فعليه التعويض عن اليوم التالي. إذ لديه الكثير من الأمور الواجب التعويض عنها الآن.

نجح تيد في التعويض عن بعض دروسه في اليومين التاليين، وكانا تعيسين. لكن، عليها تصحيح الامتحانات أيضاً. أرادت المجيء لساعتين، ولم يسمح لها. فقد عرف أنهما لن يبتعدا عن بعضهما مجدداً، وأنه ينبغي له أن يدرس للامتحانات النهائية المحددة بعد أسبوعين. وعدها باصطحابها إلى العشاء في مطعم وايفرلي إين يوم الجمعة، وكانا متشوقين إلى ذلك. أراد تمضية أمسية عادية معها، والتحدث إليها عبر طاولة العشاء، والتعرف إليها، وليس فقط ممارسة تلك الأمور المجنونة أينما كان، وفي كل زاوية من شقتها. أراد أن تكون لديه علاقة معها، وحاول

تصور طبيعتها. هل هو مجرد انجذاب حيواني لا يستطيعان السيطرة عليه، أم أنه الحب الذي تتحدث عنه باتي باستمرار؟ أراد تيد أن يعرف. لذا قرر اصطحابها لتناول العشاء والتصرف مثل شخص متحضر معها، وليس فقط مثل مهووس. تأثرت باتي لأنه أراد دعوتها إلى العشاء، وعاد الولدان إلى والدهما لتمضية عطلة نهاية الأسبوع. فوفقاً لترتيبات الرعاية المشتركة، ينتقل الولدان ذهاباً وإياباً كل يومين، مما يمنح تيد وباتي الوقت للبقاء معاً، والقليل من المجال للتنفس.

بدأ العشاء في وايفرلي إين بشكل رائع، فقد جلسا إلى طاولة جميلة، وتناولا عشاء لذيذاً. طلب تيد الشراب، وكان متبجحاً قليلاً، وأراد أن يظهر لها كم هو متكلف، لكن باتي لم تبالِ، ولم ترفع عينيها عنه طوال السهرة، وقرّرا العودة إلى المنزل قبل تناول الحلوى.

قال تيد فيما أسرعا إلى المنزل: «ربما لسنا مستعدين للخروج». كانت الفكرة جيدة. لكن، من الناحية العملية، لم يكونا قادرين على البقاء بعيدين عن بعضهما لفترة طويلة لتناول وجبة محترمة أو للتعرف إلى بعضهما. لم يتركا الشقة مجدداً إلا بعد يومين؛ حين عاد ولداها إلى المنزل. كان تيد قد غادر الشقة قبل خمس دقائق من إيصال زوج باتي السابق الولدين، وعاد إلى شقته منهكاً وسعيداً ومشتاقاً إليها.

اتصلت آني بتيد مرات عدة خلال عطلة نهاية الأسبوع، لكن هاتفه كان محولاً دوماً إلى المجيب الصوتي. اتصلت أخيراً بليز وكايت اللتين كانتا مع أصدقائهما.

طرحت عليهما السؤال نفسه: «هل تعرفان شيئاً عن أخيكما؟ أتمنى أن يكون بخير». كان يتصل بها عادة كل بضعة أيام، لكنه لم يفعل ذلك هذا الأسبوع، ورأت أنّ الأمر غريب. ربما هو مريض. لكنه لا يكون أبداً مشغولاً جداً بحيث لا يتصل بها، ولم تسمع منه أي كلمة منذ أن غادر يوم الأحد الذي تلا الشكر. قالت كايت إنه لم يتصل بها، وقالت ليز الشيء

نفسه، واعترفت أنها عاشت أسبوعاً مزدحماً. كانوا جميعاً مشغولين جداً، وستزداد الأمور سوءاً قبل الميلاد والعطلات.

طمأنتها ليز: «أنا واثقة من أنه بخير. ربما كان مشغولاً في الجامعة. كان يشكو من هذا الأمر في ذلك اليوم. كلية الحقوق صعبة جداً».

اقترحت آني: «ربما يملك صديقة جديدة». وبدت شاردة، فضحكت ليز.

«لا أظن ذلك. بعدما انفصل عن ميغ، أصبح حريصاً على عدم التورط مع غيرها كثيراً. أظن أنها الجامعة فقط».

«أظن أنك محقة». تحدثت المرأتان لبضع دقائق، وقالت ليز إن جان لوي سيعود إلى باريس خلال عطلة نهاية الأسبوع، وإنها ستسافر للقائه في اليوم التالي للميلاد، وستمضي أسبوعاً معه، ثم ستعود إلى العمل. وكانت تحاول توظيفه في جلسة التصوير التي تعدّها. فسيكون العمل معه ممتعاً إذا أمكن. سألتها آني: «هل أصبحت العلاقة جدية؟». فضحكت ليز.

«لا أعرف ماذا تسمينها. لا يخرج أي منا مع شخص آخر، وبالتالي فإن العلاقة حصرية، لكننا لا نضع الخطط للمستقبل. ما زلنا صغيرين جداً على ذلك». لم تكن آني واثقة إلى هذه الدرجة. بعض النساء مستعدات للاستقرار في الثامنة والعشرين، وثمة نساء أخريات غير مستعدات. ليز ليست مستعدة. ولا يبدو أن جان لوي يريد الاستقرار أيضاً. إنهما يستمتعان كثيراً في حياتهما. ويبدو أن جان لوي لم يشعر بأنه صغير جداً على إنجاب ولد، لأن عمر ابنه خمس سنوات فيما هو في التاسعة والعشرين. شعرت آني بالتوتر عندما أدركت أنه كان في مثل عمر تيد حين أنجب ولداً. لم تستطع تخيل ذلك، إذ لا يزال تيد يبدو مثل ولد بالنسبة إليها. وكذلك كايت التي كانت في الحادية والعشرين من عمرها. ولا تتخيل آني أن تبقى ليز مع جان لوي لفترة طويلة. فهو لا يبدو الرجل الملائم لها، وليس أفضل أو أسوأ من بقية الرجال الذين خرجت ليز

معهم. فهي تخرج دوماً مع شخص لا يريد الالتزام؛ تماماً مثلها. امتلكت آني أحلاماً أخرى لها؛ مثل وجود رجل جدي يهتم بها. ولا تتخيل آني أن يكون جان لوي والد أي كان، أو الزوج الذي تستحقه ليز. في عمر الثامنة والعشرين، من غير المنطقي ألا تفكر في مستقبلها. ولا تريدها آني أن تنتهي وحيدة مثلها. لا بأس بالنسبة إليها، لكنها تريد شيئاً أكثر لليز، وليس جان لوي الشخص المناسب. لا يزال تيد وكايت صغيرين جداً لتقلق بشأن شريكيهما للمدى الطويل. فهما لا يزالان صغيرين وفي الجامعة، لكن ليز راشدة.

أخيراً، نجحت آني في الاتصال بتيد ليلة الأحد، عندما عاد إلى شقته، وارتاحت لدى سماعها صوته، بالرغم من أنه بدا مريضاً قليلاً.

«هل أنت بخير؟ هل تعاني من الزكام؟».

«أنا بخير». ابتسم عندما أدرك قلقها، ولم يكف عن التساؤل عن رد فعلها تجاه باتي، لكنه غير مستعد بعد لمشاركة خبر دخولها حياته، ولذلك احتفظ بالأمر لنفسه. «أنا متعب فقط. عملت بكد كبير طوال الأسبوع». لا شك في أنه فعل ذلك، ولكن ليس بالطريقة التي ظنتها آني.

قالت آني بلطف: «ستحظى على الأقل بإجازة جميلة خلال عطلة الميلاد». فتذكر تيد أنه تحدث إلى باتي خلال الأسبوع بشأن الذهاب للتزلج معه بعد الميلاد. وقالت إنّ عليها مراجعة زوجها للتأكد من إمكانية أخذه الولدين، وكان تيد متشوّقاً للقيام برحلة معها؛ إذا استطاعا الابتعاد عن السرير لوقت كافٍ لممارسة التزلج.

ذكّرت آني تيد بإمكانية المجيء إلى المنزل لتناول العشاء في أي وقت يريده، واقترحت عليه المجيء في عطلة نهاية الأسبوع المقبل، لكنه كان غامضاً. لم تعرف لماذا، لكنها أحست أن هناك شيئاً لم يخبرها به، وتساءلت فجأة مجدداً عن وجود فتاة جديدة في حياته. ابتسمت آني للفكرة، وتساءلت إن كانت الفتاة معه في كلية الحقوق.

عندما فكر تيد في الأمر لاحقاً، عرف جيداً أن آني لن تشك مطلقاً

في أنه متورط في علاقة مع أستاذة قانون، عمرها ستة وثلاثون عاماً، ولديها ولدان. وعرف أيضاً أنه لن يستطيع إخبارها قبل وقت طويل. فعليه الاعتياد على الفكرة أولاً.

الفصل السادس

كانت الأيام السابقة للميلاد كالعادة مليئة بالجنون. إذ كانت آني تعمل في خمسة مواقع قيد الإنشاء في الوقت نفسه، مع وجود اثنين يجب تسليمهما مباشرة بعد رأس السنة. لذا، كانت تزور المواقع الخمسة كل يوم. تساقط الثلج مرتين في الأسبوع السابق للميلاد، ممّا جعل التنقل مستحيلاً تقريباً. وتوجّب عليها شراء بعض الأغراض لأولاد أختها، ومساعديها، وويتني وأولادها. وأصرّ زبونان جديدان على لقائها، وعليها التوصل إلى مجموعة من الخرائط الأولية لأحدهما. إنها فوضى متوقعة قبل عطلة الميلاد، وخشيت دوماً من ألا تتمكن من إنجاز كل شيء. ولتعقيد الأمور أكثر، أعلن زبوناها المفضلان، آل إيبرشول، أنهما قررا الطلاق وينويان بيع المنزل الجديد. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تحصل فيها مثل هذه الأمور، لأن بناء منزل أو إعادة ترميمه تبرز الأسوأ في أي كان. إنها عملية مؤلمة، يكون المنزل خلالها مسرحاً مثالياً للجدالات التي لا تنتهي. اتصلت بها أليسيا إيبرشول باكية لتقول لها إن هاري قد باشر في معاملات الطلاق. المنزل في الشارع التاسع والستين مهدم تماماً، ممّا يجعل بيعه صعباً. خاب أمل آني لدى سماعها ذلك، وحزنت عليهما.

كانت ليز مشغولة بالقدر نفسه في المجلة. وبحلول الميلاد، كانت تنهي عملها لعدد شهر مارس، وتبدأ بالتحضير لعدد شهر أبريل. حاولت إنجاز كل شيء قبل أن تغادر إلى باريس. وكانت مشتاقة إلى جان لوي الذي كان لطيفاً جداً بعد رحلته الأخيرة إلى نيويورك، واتصل بها مرات عدة يومياً. قال إنه يتحرق شوقاً إلى قدومها، وكانت متحمسة

لذلك أيضاً. فبعد تمضية الميلاد مع العائلة، تنوي ليز المغادرة في اليوم التالي. ووعدها جان لوي بأن يكون مع ابنه في انتظارها. أحضرت للولد قطاراً قديماً جميلاً تمت عصرنته بحيث صار يعمل على البطاريات. واشترت ساعة جميلة جداً لجان لوي.

أمضى تيد كل لحظة ممكنة مع باتي قبل العطلة. وفشل مشروع رحلة التزلج التي خططا لها، لأن زوجها السابق ذاهب في إجازة ولا يريد اصطحاب الولدين، و بالتالي سيبقيان في نيويورك. قرر تيد تمضية بعض الوقت معهم، لكنه تردد كثيراً بشأن مكوثه في شقتها فيما الولدان معها، ووافقته باتي الرأي؛ بالرغم من أن هذه تضحية كبيرة بالنسبة إليهما معاً.

خضع تيد للامتحانات النهائية ونال علامات جيدة؛ بالرغم من أنها كانت أدنى من المعتاد. وشعر بالإحراج عندما اكتشف أن باتي قد أعطته علامة ممتازة في صفها بالرغم من أنه لا يستحقها.

سألها بصراحة: «هل هذا لأنني أستحق العلامة أم لأنّ هناك علاقة بيننا؟».

أجابته بهدوء: «نحن لا نقيم علاقة. أنا مغرمة بك. لكن اطمئن، أنت تستحق العلامة أيضاً».

«لست أكيداً من أنني أصدق ذلك». لكنه لن يعرف أبداً. كانت باتي حريصة دوماً على التصحيح له عندما يتحدث عن قصتهما أو علاقتهما لتقول إنهما مغرمان. لم ينطق تيد بالكلمة بعد، وعرف أنه عندما يفعل ذلك، فستصبح المرأة التي يقول لها ذلك امرأة حياته إلى الأبد. وحتى ذلك الحين، إنهما برأيه يقيمان علاقة فقط. في الآونة الأخيرة، كانت باتي تبكي كلما قال لها ذلك، وبدت مجروحة كثيراً من كلماته. غير أنه لم يكن يريد تضليلها، ولم يكن واثقاً من مشاعره؛ إن كانت شهوة أو حبّاً.

بالكاد تحدث إلى آني وأختيه بعد مناسبة الشكر. إذ لم يملك الوقت، وأصبح الآن دوماً مع باتي؛ إذا لم يكن نائماً أو في الجامعة. أرادت أن

تعرف متى ستلتقي عائلته، وأخبرها تيد بلطف وإنما بصرامة أن الوقت لا يزال مبكراً. عرف أنه يهتم بباتي، لكنه لم يعرف بعد ما الذي يحصل بينهما. وعرف من دون شك أن خالته وأختيه سيصدمن كثيراً من عمرها ومن كونها أمّاً لولدين. لم يكن تيد مستعداً لمواجهة آرائهن بعد. وتألمت باتي من ذلك أيضاً. وقالت إنها لا تريد أن تكون السر في حياته، وذكرته مباشرة قبل الميلاد بأن هذا غير عادل بالنسبة إليها. أرادت أن تكون في واجهة حياته وصلبها، وألاّ تكون مخبأة في خزانة. وقالت إنها تستحق ما هو أفضل من ذلك، وانزعجت كثيراً عندما أخبرها أنه لن يتمكن من رؤيتها في الميلاد. فسوف يكون في المنزل مع آني وأختيه، ولا مجال أبداً لدعوة باتي للمجيء مع ولديها. فستصاب آني بالجنون، وهو ليس مستعداً لمواجهة ذلك بعد، إذ لا تعرف آني أبداً أنها موجودة، أو أنها أكبر منه سناً وتملك ولدين.

سألته باتي بتذمر عندما مرّ لرؤيتها ليلة الميلاد: «ماذا يفترض بي أن أفعل؟ ماذا تتوقع مني أن أفعل؟ أأجلس هنا بمفردي مع ولديّ؟». كانت تبكي طوال الساعة الماضية بسبب تخليه عنها.

«ماذا كنت تفعلين في السابق قبل أن نلتقي؟ ماذا فعلت في العام الماضي؟».

«أخذ هانك الولدين، وبكيت إلى أن نمت». بدا تيد منزعجاً، لكنه لا يستطيع أبداً تمضية الميلاد معها. على الأقل، لن يأخذ زوجها الولدين هذه السنة، وعرف تيد أنها لن تكون بمفردها.

«سأحاول أن آتي في اليوم التالي للميلاد».

سألت باتي وهي تمسح عينيها: «وماذا عن الليلة؟».

«لا أستطيع. أخبرتك. سنتناول العشاء في المنزل وسنذهب إلى الاحتفال الديني عند منتصف الليل».

«كم هذا مؤثر! وإنّه أمرٌ غير ديني أن تترك المرأة التي تحبها جالسة في المنزل بمفردها».

قال برفق: «ستكونين مع جيسيكا وجاستن. ولا أستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. لن تتفهم خالتي الأمر إذا خرجت من المنزل الليلة. إنه تقليد لدينا». جعلته يشعر وكأنه شرير جداً.

تذمرت باتي قائلة: «تبدو وكأن عمرك اثنا عشر عاماً». ثم بدت خائبة الأمل عندما أعطاها كنزة جميلة من الكشمير الأبيض كلفته مبلغاً باهظاً. لم تقل ذلك بالكلمات، لكن الرسالة وصلت بوضوح بأنها كانت تأمل أن تحصل على شيء آخر مثل خاتم، أو محبس من نوع ما. تحدثت عن الأمر طوال أيام، وأعطته تلميحات قوية، لكن تيد شعر بأن الوقت لا يزال مبكراً. إنهما يتواعدان فقط منذ أربعة أسابيع، وبقدر ما قالت باتي إنهما مغرمان، إلا أنّ الأمر بدا جديداً بالنسبة إلى تيد. هناك الكثير من الوقت لتقديم خاتم من نوع ما لاحقاً. فهو لا يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً مثلها، وإنما هو في الرابعة والعشرين فقط، وهذه هي العلاقة الجدية الثانية التي يقيمها.

التسوية التي وصلا إليها أخيراً قضت بأن يحاول المرور قليلاً ليلة الميلاد، لكنه حذرها مسبقاً من أنه لن يتمكن من تمضية الليلة برفقتها، سواء أكان الولدان معها أم لا. وتحدثت باتي عن الطلب من السيدة باشيسو بأن تسمح للولدين بالنوم في شقتها إذا جاء إلى منزلها، لكنه قال إنه مضطر إلى العودة إلى منزل آني بعد ساعات قليلة، فهي ستشك في ما يقوم به إذا لم يعد إلى المنزل.

قالت باتي بنبرة غير لطيفة: «ربما حان الوقت لكي تنضج. أنت تشبه الرجل، وعليك التصرف مثل رجل أيضاً». تألم مما قالته، وبدت رديئة الطبع عندما قبّلها وغادر. قالت إنها ستعطيه هديته عندما يعود ليلة الميلاد. وكان هناك تهديد في صوتها حين قالت ذلك. استقلّ سيارة أجرة إلى منزل آني، وكانت كايت موجودة في الشقة عندما وصل إلى هناك. عندما رأته يدخل، نظرت إليه عمداً وقالت له:

«واو! لماذا أنت منزعج هكذا؟ لا تبدو وكأنك في أجواء الميلاد.

ماذا أحضرت لآني؟».

«أحضرت شالاً من الكشمير، وخوذة. إنها هدية ظريفة وأعتقد أنها ستحبها». لم يجب عن سؤال أخته عن سبب غضبه. فقد كان منزعجاً من باتي، ومما قالته عندما غادر، لكنه لا يستطيع تمضية ليلة الميلاد معها. رفضت أن تفهم أنه غير قادر، واستاء من تركها منزعجة، لكنها بقيت عابسة وباردة معه عندما غادر. أزعجه ذلك كثيراً، خصوصاً عندما طلبت منه التصرف مثل رجل. «بالمناسبة، لست منزعجاً. تجادلت فقط مع أحد رفاقي في الشقة قبل أن آتي إلى هنا. إنه أحمق».

لم تقل له كايت أي شيء حول الموضوع، فقد أحست بأن هناك شيئاً آخر يزعجه لذا ابتسمت لأخيها بحنان وقالت: «ستحب آني الخوذة، ويبدو الشال ظريفاً أيضاً».

«ماذا اشتريت لها؟». لبرهة عادا مثل ولدين صغيرين مجدداً، وقالت كايت بتعبير جدي: «لم أشترِ لها أي شيء».

«حقاً؟». بدا تيد مذهولاً، فليس هذا التصرف من عاداتها. إذ لطالما كانت كايت كريمة معهم جميعاً، بالرغم من أن مصروفها محدود. لكنها مبدعة دوماً في طريقة إنفاقها للمال.

قالت: «حضّرت لها شيئاً ما». وابتسم تيد مستعيداً ذكرى الأيام الغابرة، عندما حضّر لآني طاولة في منشرة، وخاطت لها ليز كنزة بكمين طويلين جداً، فارتدتها آني يوم الميلاد، ووضعت أيضاً قلادات المعكرونة وكل ما قدموه لها.

ذهبت كايت لإحضار ملفها، وأخرجت منه بعناية ثلاث لوحات مائية. أدارتها نحو أخيها الواحدة تلو الأخرى، فقطع تيد أنفاسه مذهولاً. فهو ينسى أحياناً مدى موهبة أخته الصغرى، فهي تماماً مثل أمهم. لقد رسمت كلاً منهم على لوحة لتقديمها إلى آني، وكان الشبه في كل صورة مثالياً تماماً، حتى صورتها الشخصية التي رسمتها.

قال تيد: «إنها رائعة كايت». وتأملها عن كثب. إنها خالية من

العيـوب، لكنهـا كلها تملك نعومة اللوحـات الفنية، ولا تبدو وكأنه جرى رسمها نقلاً عن صور فوتوغرافية. فلقد رسمتها من الذاكرة، وعرف أن خالتهم ستعتبر كل لوحة بمثابة كنز. «إنها رائعة فعلاً».

قالت كايت بتواضع: «أتمنى أن تحبها». ثم أعادتها إلى ملفها بعناية. ستلفها بورق الهدايا الليلة وستعرض على آني بعد ذلك وضعها في إطارات مناسبة.

سألته كايت بعفوية بعدما وضعت اللوحات بعيداً وجلسا على الأريكة: «ما هي أخبارك؟». حضرت لهم آني شجرة، مع كل الزينة المفضلة التي يحبونهـا. وقـد أمضـت يوماً وليلة كاملة في إعداد الشجرة في عطلة نهاية الأسبوع الماضي.

قـال: «لا شـيء مهم. فقط امتحانـات». نظرت إليه كايت وعرفت أنه يكذب. ثمة أمر ما، وهو لا يقوله. أخبرها حدس الأنثى بأنها امرأة. وتحرقت شوقاً لإخبار ليز وآني. وقد أجمعن كلهن على أنه بالكاد تحدث إلى أي منهن بعد مناسبة الشكر.

سألها تيد، محاولاً صرف الانتباه عن نفسه: «ماذا عنك أنت؟ أهناك وشم جديد؟ أم أقراط جديدة، أم رجال جدد؟».

قالـت كايت بغموض: «ربما». كانت تملـك أسرارها الخاصة هي الأخرى.

بدا مذهولاً: « آه! أي من هذه الاحتمالات؟».

أجابت: «ربمـا الثلاثـة». ثم ضحكـت فيما بدل تيـد بين محطات التلفـاز. كانـا يشاهدان برنامج **الأعجوبة في الشـارع** 34 عندما وصلت آني إلـى المنـزل وهي تحمل حقيبتها وكيسين مـن الأغراض التي نسيت شراءهـا فـي الصباح. كانوا يتناولون دومـاً عشاء بسيطاً ليلة الميلاد، ثم تحضر الحبش يوم الميلاد؛ مثلما تفعل في مناسبة الشكر. حاولت تحضير بطة ذات عام وكان المذاق مريعاً، ولذلك فهم يكتفون بالحبش.

نهض تيـد وأخذ الكيسين إلى المطبـخ، وذهبت كايت لتقبيل خالتها

وإلقـاء التحيـة عليهـا. بدت آني مرهقة ومنقطعـة الأنفاس. كانت في أحد مواقع البناء قبل ساعة؛ لحلّ مشكلة بين المتعهد وزبائنها. وكانت لا تزال تحمـل الخرائـط الملفوفة تحـت إبطها، فوضعتها على مكتبها قبل أن تخلع معطفها.

قالت لهما آني معاً: «ميلاد مجيد للجميع». وخلعت معطفها، وشغلت موسيقـى الميـلاد. هنأتها كايت علـى الشجرة، وسكب تيد لكل منهم كأساً مـن شـراب البيضـ المخفوق؛ وهذا تقليد عائلي آخـر. كانت آني تضيف عـادة القليـل من الشراب الفرنسـي إليه، لكن كايت وتيد يحبانه من دون إضافـات، مثلمـا كانا يشربانه عندما كانا صغيرين. كانوا يتحدثون جميعاً بحيويـة عندمـا وصلت ليـز وهي تحمل ثلاثة أكياس مليئـة بالهدايا. فهي تحضـر دومـاً الهدايا الأكثر غرابـة على الإطلاق، والتي تلقى إعجابهم. كانـت معنويـات ليـز جيدة فيمـا تمنوا لبعضهم ميلاداً مجيـداً، وبعد تأمل الشجـرة، والغنـاء مـع الموسيقـى، حضروا العشاء معـاً. إنها ليلة ميلاد مثاليـة. ووعدتهـم ليز بالبقاء برفقتهم إلى أن تغادر إلى باريس، وأحبت آني فكرة وجودهم معاً في المنزل.

جلسـوا إلـى طاولـة المطبخ وهـم يتحدثـون حتى الساعـة الحادية عشـرة تقريبـاً، ثـم استعـدوا للذهاب إلـى الاحتفال الديني عند منتصف الليـل. لاحظـت كايـت أن تيد يجري اتصالاً عندما مرّت أمام باب غرفة نومه. وبدا منزعجاً وقلقاً عندما انضم إليهنّ في الردهة الأمامية. أجرت اتصالاً هي أيضاً عندما ذهبت لإحضار معطفها، لكنه كان اتصالاً ودوداً وقصيراً، ووعدت بالاتصال في صباح اليوم التالي. فالليلة موعد عائلي مهم بالنسبة إليهم جميعاً.

استقلوا سيارة أجرة إلى دار العبادة، حيث يحتفلون كل عام. ومثلما تفعل كل سنة، أشعلت آني الشموع عن روح بيل وجاين بعد ذلك. ركعت أمـام أحـد المذابح الصغيرة، وأخفضت رأسها، ودعت، وكانت الدموع تنهمـر علـى وجنتيها عندمـا وقفت. تتلألأ الدموع دومـاً في عيني كايت

عندما تراها هكذا. لم تكن تسأل قطّ، لكنها تعرف الهدف من الشموع. لم يتم نسيان والديها، وكانت آني رائعة مع أولادهما بعد وفاتهما. عانق تيد آني فيما عادت إلى مقعدها، وأمسكت كايت يدها برفق. كانت ليز تبدو أنيقة جداً مثل المعتاد، وهي تعتمر قبعة كبيرة بيضاء من فرو الثعلب، وترتدي معطفاً أسود أنيقاً وتنتعل جزمة عالية من الجلد الأسود. وذكّرت آني بجاين عندما كانت في العمر نفسه. إنها أكثر أناقة مما كانت عليه أمها، لكن وجهها هو نفسه تقريباً. تشعر آني بالألم أحياناً عند رؤيتها. فهي لا تزال تشتاق إلى أختها.

أنشدوا جميعاً ليلة صامتة في نهاية الاحتفال الديني، وذهبوا بعد ذلك إلى الجادة الخامسة، واستقلوا سيارة أجرة للعودة إلى المنزل. وهناك، حضرت لهم آني الشوكولاته الساخنة مع المارشمالو. وأخيراً، خلد الجميع إلى النوم. وبعدما ذهبوا إلى غرفهم، ملأت آني علبهم بهدايا صغيرة وكتبت لهم رسائل مضحكة من سانتا، مذكرة كلاً منهم بضرورة تنظيف غرفته وغسل المساحة وراء الأذنين، وأضافت إلى رسالة كايت أنها ستجد الفحم المشتعل في علبتها في السنة المقبلة إذا أجرت المزيد من الوشوم. وخلدت آني إلى النوم في الشقة الهادئة، وهي ممتنة لأن أكثر الأشخاص الذين تحبهم في هذا العالم موجودون معها ونائمون في غرفهم. إنها الليلة المفضلة لديها في كل السنة، وما من شيء أفضل من هذا.

الفصل السابع

صباح يوم الميلاد، نهضت آني باكراً لوضع الحبش في الفرن، واتصلت بصديقتها ويتني، مثلما تفعل منذ أعوام. تمنتا لبعضهما ميلاداً مجيداً، وتحدثتا لبضع دقائق، وذكّرتها ويتني مجدداً بأن تأتي ليلة رأس السنة، لكن آني بقيت مصرّة على أنها لا تريد الذهاب إلى نيوجرسي إذا كان أحد الأولاد سيبقى في المنزل بمفرده. وقالت إنها لا تمانع أبداً أن تبقى في المنزل ليلة رأس السنة، إذ لا تعني لها هذه الليلة الكثير، وهي تكره التواجد مع أشخاص ثملين، من دون أن يكون هناك أحد لتقبيله عند منتصف الليل، ممّا يجعلها تشعر بوحدة أكبر مما لو بقيت في المنزل.

وعدت آني ويتني بالقول: «سأرى ماذا سأفعل. عليّ معرفة مشروعات الأولاد أولاً. ستذهب ليز إلى باريس غداً، لكن الاثنين الآخرين سيبقيان هنا. وحسب معلوماتي، لا يملك أي منهما أي مشروعات».

قالت ويتني بحنان: «حسناً، تعالي إذا استطعت. نحب وجودك معنا... وأتمنى لك ميلاداً مجيداً آني. بلغي الأولاد حبي».

«وأنت أيضاً بلغي فريد والأولاد تحياتي».

أضاءت مصابيح الشجرة حينها، كي يبدو الجو احتفالياً ومشرقاً عندما ينهض الآخرون. بعد قليل، خرجت كايت من غرفتها، وهي تبدو نعسانة، وشعرها القصير منتصب إلى الأعلى. لاحظت آني حينها أنها تضع ماسة صغيرة في أنفها، وهذا جديد. لم تقل أي شيء لكايت بشأن ذلك، لكنها لن تعتاد أبداً على الوشوم والأقراط في كل مكان.

قالت كايت حينها لخالتها وهي تبتسم وتتثاءب: «ترك لي سانتا رسالة جميلة».

«حقاً؟ وماذا تقول؟». تظاهرت آني بالبراءة مثلما تفعل دوماً، لا سيّما عندما كانوا لا يزالون يعتقدون بسانتا. فقد سعت جاهدة لإبقاء الخرافة لديهم، أرادت أن يعرفوا في حياتهم كل الفرح الذي يستحقونه.

«ذكر سانتا أنه أحب وشمي الجديد، وأجرى وشماً لنفسه. فقد وضع وشماً كبيراً لرودولف على ظهره. ووعدني بأن يترك لي صورة له في السنة المقبلة». وابتسمت كايت ابتسامة عريضة.

فقالت آني بنظرة غير موافقة: «لا أعتقد أن هذا نص رسالة سانتا! قرأت الرسالة بنفسي عندما نهضت!».

أصرّت كايت: «بلى!». وذهبت لإحضار الرسالة. وكانت قد كتبت واحدة بنفسها ورسمت عليها رسماً مضحكاً؛ فقد رسمت سانتا مع وشم لرودولف على ظهره العاري. انفجرت آني في الضحك عندما أعطتها كايت الرسالة، ثم ألصقتها فوق الموقد، فيما دخلت ليز وهي ترتدي قميص بيجاما للرجال. بدت جذابة جداً بساقيها الطويلتين الجميلتين. وكانت آني ترتدي ثوب نوم قديماً من قماش الفلانيلة ورداء من الكشمير الوردي. وظهر تيد بعد دقائق قليلة وهو يرتدي سروالاً داخلياً قصيراً وقميصاً قطنياً. الراحة ضرورية صباح الميلاد، وليس الأناقة. وبعد دقائق قليلة، تبادلوا جميعاً الهدايا أمام الشجرة المضاءة.

لقيت لوحات كايت التي رسمتها لهم هم الثلاثة رواجاً كبيراً، وقدمت لكل من أختها وأخيها لوحة لصورة آني. وكانت قد رسمت لوحات لوالديها أيضاً، نقلاً عن صور فوتوغرافية، لكنها تركتها معلقة على الجدار في غرفة نومها في مسكن الطلاب. فهي لا تريد إزعاج أحد بإحضارها إلى المنزل. أحبت آني اللوحات الثلاث التي تمثل الأولاد، ووعدتها كايت بأن تضعها في أطر مناسبة. قالت آني إنها ستعلقها في غرفة الجلوس، وتلألأت الدموع في عينيها فيما كانت تعانق كايت. وأحب تيد وليز لوحة آني.

لقيت هدايا تيد للجميع رواجاً كبيراً أيضاً، واعتمرت آني خوذتها على الفور. وقدمت ليز لكل من آني وكايت أساور ذهبية كبيرة، وساعة كارتييه أنيقة لتيد، مع سوار مطاطي رياضي.

بعد ذلك، ذهبوا جميعاً لتناول الفطور في المطبخ. تناولت ليز نصف حبة غريب فروت كالمعتاد وكانت نحيلة أكثر من أي وقت مضى. فيما تناولت كايت الغرانولا، وحضر تيد البيض المخفوق مع اللحم له ولآني. كانت رائحة اللحم لذيذة، وأصبح الحبش في الفرن شبه ناضج. خطر لآني فيما كانت تراقبهم وهم يتحدثون ويضحكون مع بعضهم أنهم عاشوا حياة عجيبة. فقد نجحت نوعاً ما في تربية ثلاثة أولاد، ليسوا أولادها، من دون أن تعرف ماذا تفعل، وكبروا على نحو رائع، وهم يحبون بعضهم كثيراً، وأغنوا حياتها بطرائق لم تكن تحلم بها. شعرت بأنها محظوظة جداً فيما وضعت أطباق الفطور في غسالة الصحون، وشكرت أختها بصمت على الأولاد الثلاثة المذهلين الذين صارت مسؤولة عنهم بعد وفاة والدتهم. لقد ملأوا حياتها بالحب والفرح منذ ذلك الحين.

بعد انتهاء وجبة الفطور بقليل، ذهب كل واحد منهم إلى غرفته. فقد أرادوا جميعاً الاتصال بأصدقائهم. أغلق تيد باب غرفته فيما اتصل بباتي، فأجابت هذه الأخيرة على اتصاله هذه المرة، بالرغم من أنها بدت منزعجة كثيراً، وتمنى لها ميلاداً مجيداً.

قالت بحزن: «يجدر بك التواجد هنا معي ومع الولدين». وانفجرت في البكاء مجدداً.

شرح مجدداً: «عليّ التواجد مع عائلتي اليوم». لم تكن تستوعب الأمر، أو لا تريد ذلك. لا مجال أبداً لأن يكون اليوم في أي مكان سوى هنا. وبعد أربعة أسابيع فقط، من غير العادل أن تتوقع منه باتي التخلي عن عائلته من أجلها. كان منزعجاً لأنها أحدثت جلبة كبيرة، لكنه عرض عليها أن يأتي لرؤيتها في وقت متأخر من بعد الظهر. فثمة هدايا يريد تقديمها لهم. ووعد بالاتصال بها ما إن يستطيع المغادرة.

قالت له: «طاب يومك». وكانت لا تزال تبدو متألمة وخائبة الأمل، ولم يعتذر منها مجدداً، فعليها أن تدرك أن عائلته مهمة بالنسبة إليه. قالت باتي بحزن: «أحبك تيد». وبدت وكأنها خسرت أفضل صديقة لديها.

أجاب تيد: «أراك لاحقاً». ما زال غير مستعد ليقول لها إنه يحبها، ولن يقول هذا حتماً للاعتذار عن تمضية الميلاد مع خالته وأخته. كان منزعجاً لكنه لم يشعر بالذنب، وانزعج لأن باتي كانت متملكة جداً.

بدا تيد أكثر ارتياحاً عندما خرج من غرفته مجدداً. على الأقل، تحدثت إليه باتي هذه المرة.

سألته ليز وقد رفعت حاجبها: «أهي مشاكل في الحب؟». وهزّ رأسه متفاجئاً لأنها فكرت في ذلك ولم يكن تواقاً إلى إخبارها.

قال تيد لأخته الكبرى: «لماذا تقولين هذا؟».

«لأنك لا تغلق بابك أبداً حين تتحدث عبر الهاتف، إلا إذا كنت تتشاجر مع فتاة. أهي واحدة جديدة؟». لكنه هزّ رأسه.

«لا. إنها مجرد واحدة خرجت معها بضع مرات». وتخيل ملامح وجهها إذا أخبرها أن عمرها ستة وثلاثون عاماً، ولديها ولدان. أضاف: «قد أذهب لرؤيتها بعد ظهر اليوم». وأومأت ليز برأسها. لا يبدو الأمر غريباً بالنسبة إليها. وهي أيضاً عليها الذهاب إلى منزلها لإحضار بعض الأشياء لرحلتها.

وفيما كانا يتحدثان، دخلت آني غرفة كايت لتشكرها على اللوحات الجميلة مجدداً، فقد أحبتها فعلاً. لاحظت كتاباً على مكتب كايت، عن الثقافة والعادات الشرقية. ليس هذا نوع الكتب الذي تقرأه كايت عادة. وهي لم تكن يوماً قارئة نهمة، ويميل ذوقها إلى السير الذاتية للفنانين المعاصرين ونجوم الروك. ولم تهتم قبلاً بهذا النوع من الكتب.

قالت آني وهي ترفع الكتاب: «يبدو هذا مثيراً. هل تأخذين مادة عن الثقافة الشرقية؟ قد يساعدنا ذلك على فهم بعض النزاعات في العالم اليوم».

قالت كايت: «استعرته من صديقة». واستدارت. عادت آني إلى غرفة الجلوس للانضمام إلى الآخرين. ارتدوا جميعاً ثياباً جميلة لتناول الغداء، فكان تيد يرتدي معطفاً ويضع ربطة عنق مثلما يفعل دوماً في المناسبات العائلية. إذ أصرّت آني دوماً على أن يرتدوا ثياباً لائقة في العطلات عندما كانوا صغاراً.

وكانت ليز ترتدي فستاناً بسيطاً من الصوف الأسود، بالرغم من أنه وصل بالكاد إلى فخذيها. أما آني فارتدت فستانها الأحمر المفضل للميلاد، وظهرت كايت بعد قليل مرتدية تنورة من الجلد الأحمر، وزوجاً من الجوارب المهترئة، وكنزة بيضاء غريبة، وتدلت كرات الميلاد من أذنيها كقرطين للأذنين، وانتعلت جزمة حمراء. تلك حتماً شخصيتها المتفرّدة، لكنها أثبتت للتو لهم جميعاً كم هي فنانة موهوبة. وتأثرت آني بالكتاب الذي رأته في غرفتها. وأحبت فكرة أن كايت مهتمة بأمور وثقافات مختلفة. كايت صاحبة تفكير حر ولا تقتبس أبداً أفكار أي كان من دون التحقق منها بنفسها أولاً. إنها شخص مستقل تماماً. حاولت آني قدر المستطاع فتح العديد من الأبواب لهم، إذ لم ترغب قطّ في أن يعيشوا في عالم ضيق ومحدود. وأحبت أن يكون كل واحد منهم مختلفاً عن الآخر. بين الثلاثة، كان تيد الأكثر تقليدية، وكايت الأقل تقليدية. رأت آني أن جاين وبيل سيفخران بهم أيضاً.

كان الحديث بينهم حيوياً حول مائدة غداء الميلاد، وسكبت آني الشراب لكل منهم. كانوا جميعاً راشدين كفاية لاحتساء الشراب، ونادراً ما يفعلون ذلك بإفراط، بالرغم من أن تيد عرف لحظاته الغريبة خلال أول سنتين له في الجامعة. لكنهم أصبحوا الآن راشدين جميعاً، ومنطقيين في كمية الشراب التي يحتسونها.

قالت ليز إنها متحمسة للذهاب إلى باريس وتمضية الوقت مع جان لوي. فالتصوير الذي ستنجزه في الأسبوع الأول من شهر يناير مهم، وسيتولاه مصور فرنسي مشهور، مع مجوهرات مهمة من كل أنحاء

أوروبا. وقد أعارتهم ملكة إنكلترا قطعة من مجوهراتها، وتنوي ليز وضعها على غلاف المجلة. تحدثت بحماسة عن الموضوع. وحده تيد كان أكثر هدوءاً من المعتاد، وأحست آني أن هناك شيئاً يزعجه، لكن مهما يكن، لم يشأ مشاركتهم إيّاه.

شاهد القليل من كرة القدم بعد الغداء، ثم وقف وقال بغموض إنه خارج لرؤية بعض الأصدقاء. انتظر لمعرفة إن كانت إحداهن ستعارض، وعندما لم يفعلن، ذهب إلى غرفته وأخذ الهديتين اللتين ابتاعهما لولدي باتي. اشترى لعبة لكل منهما، غير أنه لم يكن يعرف ما يحبه الأولاد في مثل هذا العمر. لقد أعطى باتي هديتها مسبقاً خوفاً من ألاّ يتمكن من الخروج يوم الميلاد.

ارتدى معطفه، وانحنى لتقبيل آني فيما كانت تتحدث إلى كايت وليز، وبدا جدياً جداً. ترك هدايا جيسيكا وجاستن أمام الباب الأمامي كي لا يلفت الانتباه إليها.

وعد قائلاً: «سأعود بعد ساعتين». وأخذ مفاتيحه عن الطاولة، والهديتين الخاصتين بولدي باتي، ثم غادر.

سألت ليز الأخريين: «ما خطبه؟». وقالت كايت إنها لا تملك أيّ فكرة. فهو لم يقل لها أي شيء، بالرغم من أنها سمعته يتجادل مع شخص ما عبر الهاتف حين كان في غرفته.

اقترحت آني بهدوء: «يبدو لي أنها فتاة. إنه متكتم جداً حول الموضوع».

قالت ليز: «إنه دوماً كذلك». وأجمعن كلهن على أنه يبدو غريباً جداً هذه المرة.

قالت كايت: «إذا استمر برؤيتها، فستظهر في النهاية. إنها مضحكة المظهر ربما، أو غريبة، أو ما شابه».

مازحتها ليز قائلة: «نعم، مع الكثير من الأقراط والوشوم»، وضحكن جميعاً. مهما تكن الحال مع تيد، فقد افترضن جميعاً أنه سيخبرهن

في النهاية عندما يصبح مستعداً. إنه لغز في الوقت الحاضر، وأراد إبقاءه هكذا. واحترمتهما آني بشدة لمحاولتهما سحب الخبر منه.

صعد تيد الدرج في مبنى باتي بأسرع ما يمكن. فقد وعدها بأن يحاول المجيء عند الساعة الخامسة، وأصبحت الساعة الآن قرابة السادسة. لكنه لم يتمكن من المغادرة قبل ذلك. لفترة لم يشأ التخلي عن آني وأخته يوم الميلاد. فتقاليدهم مهمة لهم جميعاً.

ضغط على جرس الباب، ولم تجب لفترة طويلة، وخشي تيد ألا تسمح له بالدخول. قالت إنها ستكون موجودة، وشعر فجأة مثل صبي صغير جداً واقع في ورطة. إنه إحساس غريب بالنسبة إليه. فلطالما كان مسؤولاً وحسن السلوك، ونادراً ما غضبت منه آني. وعندما تغضب، يكون ذلك واضحاً ومباشراً. فهي تصاب بنوبة غضب قصيرة، وينتهي الأمر. إذ إنها لا تدع الأمر أبداً يستمر طويلاً، ولا تحتفظ بالضغينة، ولم تتصرف بعدائية مع أي منهم. بدا الأمر بالنسبة إليه وكأنّ باتي تعاقبه لأنه أمضى الميلاد مع عائلته. وأخيراً، فتحت له الباب مع نظرة متألمة، وبدا جلياً أنها كانت تبكي، وانفجرت في البكاء ورمت نفسها بين ذراعيه ما إن دخل الشقة. كان تيد مذهولاً.

قالت بنبرة اتهامية: «كيف أمكنك تركي اليوم؟». ونظر حوله ولم يرَ ولديها.

سأل مرتبكاً: «أين جيسيكا وجاستن؟».

«أرسلتهما إلى السينما مع السيدة باشيسو. أردت أن أكون معك بمفردي حين تأتي».

قال وهو يضع العلبتين على الطاولة: «أحضرت لهما هديتين. ولم أتركك بمفردك باتي. كنت مع ولديك، وأنا كنت مع عائلتي. لا أستطيع التخلي عنها». بدا هادئاً ومنطقياً، لكن هستيريتها وطلباتها منه أقلقته. فلا يزال الوقت مبكراً جداً في العلاقة لتتوقع منه الكثير.

قالت بهدوء: «تخليت عني بدلاً من ذلك».

صحح بصرامة: «لم أتخلّ عنك. ونحن نتواعد فقط منذ أربعة أسابيع».

«أنا مغرمة بك تيد». كان الأمر سيكون مقنعاً أكثر لو لم تقل له ذلك في الليلة الأولى. بالنسبة إليه، الحب شيء يكبر ببطء مع الوقت، وليس شيئاً ينفجر بكل قوته في الليلة الأولى. أصبح متعلقاً بها أكثر وأكثر، لكنه لا يزال يريد التأكد من أنه الحب وليس فقط علاقة مذهلة.

سُرّ حين رأى أنها ترتدي الكنزة التي أحضرها لها، بالرغم من أنها لم تكن متحمسة لهديته، وأرادت منه شيئاً آخر. نسيت أنه في الرابعة والعشرين من عمره، وطالب في الجامعة، وكنزة الكشمير البيضاء هدية باهظة الثمن بالنسبة إليه. تحمست آني كثيراً لشال الكشمير الذي اشتراه لها من المكان نفسه. لكن باتي أوضحت له أنها تريد خاتم خطوبة. ومجرد التفكير في ذلك أصابه بالذهول. ليس الأمر ملائماً بعد أربعة أسابيع فقط. إنها سريعة جداً بالنسبة إليه، وشعر بالانزعاج من ذلك. حتى إنّ رجلاً في مثل عمرها لن يكون مستعداً للتحرك بهذه السرعة.

وفيما كان ينظر إليها بحنان، أعطته هديته. نزع الورقة، وشعر بالانزعاج حين رأى أنها علبة مجوهرات. وشهق بصوت عالٍ عندما فتحها. فقد كانت تحتوي على ساعة ذهبية جميلة وقديمة، وليست على الإطلاق من النوع الذي يضعه. كان يضع ساعة الكارتييه الرياضية التي قدمتها له أخته، والتي تناسب عمره أكثر. وشعر بانزعاج أكبر لدى معرفته أن هدية باتي باهظة.

سألته باتي بتفاؤل: «هل أحببتها؟ إنها ساعة والدي».

قال بهدوء «إنها جميلة». وأغلق العلبة من دون أن يضع الساعة حول معصمه. «لكنني لا أستطيع قبولها. إنها فعلاً هدية قيّمة، وكانت لوالدك. لا يمكنك أن تعطيها لشخص مثلي».

بدت متألمة وهي تقول: «لمَ لا؟ ماذا تقصد؟».

«أنتِ بالكاد تعرفينني. ماذا لو انفصلنا؟ أنت لا تريدين أن أغادر مع ساعة والدك أليس كذلك؟ يجدر بك منحها لجاستن في يوم من الأيام». تماماً مثلما تنتظره ساعة والده، لكنه لم يضعها حول معصمه بعد. وقد احتفظت بها آني في خزنة من أجله.

قالت باتي وهي تبدو مشمئزة: «إذاً، لا تنفصل عني. أريدك أن تحصل عليها تيد».

قال برفق: «ليس الآن». وقبّلها. وبعد برهة، حصل ما كان متوقعاً، فقد تبعثرت ملابسهما على الأرض، واختفى توتر اليومين الماضيين. تغلب عليهما شغفهما، واستلقيا منقطعي الأنفاس، أولاً على الأريكة ومن ثم على سريرها، وهما متشبثان ببعضهما بشدة.

كانت الساعة العاشرة عندما اتصلت بها السيدة باشيسو، وسألتها إن كان بإمكانها إعادة الولدين إلى المنزل لأنها تريد الخلود إلى النوم. لقد نسيا الوقت تماماً، ولم يغادر تيد بعد. ارتديا ملابسهما بسرعة، وبعد دقائق قليلة، رنّ جاستن وجيسيكا جرس الباب، وأعطاهما تيد هديتيهما ما إن دخلا. أحبا اللعبتين، وبدت باتي سعيدة ومسترخية مجدداً. فلقد أقنعتها الساعات القليلة الماضية أن تيد لا يزال متعلقاً بها. خافت كثيراً أن تخسره، وجعلته تعيساً نتيجة لذلك، وعاقبته لأنه ذهب إلى منزله.

همس لها: «يجب عليّ أن أذهب». وهزّت رأسها. أرادت منه أن يبقى، لكنّ ولديها في المنزل، وهو لا يريد شيئاً مجنوناً في وجودهما. تمنى لهم جميعاً ميلاداً مجيداً، وقبّلها، وارتدى معطفه، ونزل الدرج مسرعاً. أراد العودة إلى المنزل. لا يعرف لماذا، لكن هذه الليلة جعلته حزيناً. فقد بدت تعيسة جداً، وكانت ساعة والدها هدية قيّمة. لم تؤثر فيه، بل أخافته. ترك الساعة الذهبية على المنضدة في غرفة نومها. فهما ليسا متزوجين أو مخطوبين، ولا يعرف حتى إذا كان مغرماً بها. فقد استلطفها كثيراً وأحب التواجد معها، وكانت العلاقة بينهما مذهلة، لكنه لا يريد أن يصبح سجينها أيضاً، وهناك تلميح إلى ذلك أحياناً. تنشق كمية

كبيرة من الهواء فيما أوقف سيارة أجرة ودخل إليها. كانت أكثر جاذبية مـن أي وقـت مضى. لكن، للمرة الأولى منذ شهر، شعر بالارتياح عند مغادرته. لا يعرف لماذا شعر هكذا، لكنه أحس فجأة بأن باتي تخنقه.

كانـت النسـاء نائمات عندمـا وصل إلى المنـزل. كان يوماً طويلاً بالنسبـة إليهـنّ. فعندمـا غادر تيد، شاهدن فيلمـاً، ولعبت بعد ذلك كايت وآنـي لعبـة السكرابـل، فيما أنهت ليز توضيب أغراضهـا استعداداً للسفر إلى باريس، ثم خلدن جميعاً إلى النوم.

مشـى تيـد على رؤوس أصابعه عندما دخل المنزل. وكانت آني قد تركـت الشجـرة مضاءة من أجله. جلس على الأريكة، ونظر إليها مفكراً فـي المـكان الـذي كان فيه للتـو. من المثير جداً التواجـد مع باتي، لكن الحـرارة القويـة لشغفها تخيفـه أحياناً. كل ما استطاع التفكير فيه الآن هو أنه شعر بالارتياح لوجوده في المنزل، في الشقة التي ترعرع فيها، ومع النسـاء اللواتـي يحبّهـن. باتي مثل وهم جامـح لا يشبع منه، لكنه حقيقة. جلـس فـي غرفـة الجلوس، وهو يشعر بأنه ولدٌ مجـدداً. ابتسم للشجرة، وشعر بالسرور لوجوده في المنزل.

الفصل الثامن

فـي اليـوم التالي للميلاد، نام تيد حتى الظهر تقريباً. وغادرت ليز المنزل عند الساعة العاشرة صباحاً للحاق برحلة الساعة الواحدة ظهراً إلى باريـس، وكانـت آني تقـف أمام مكتبها، وهي تعمل على بعض الخرائط لشقة جيم واتسون، عندما دخلت كايت وسألتها إذا كان في وسعها دعوة صديق لها لتناول البيتزا هذه الليلة. كانت تحرص دوماً على السؤال إذا كان فـي وسعهـا إحضار رفاقها، وكانت آني تفـرح باستقبال أصدقائها، ولطالما رحبت بهم جميعاً.

«طبعـاً يمكنـك. لا داعي للسؤال، لكن شكـراً لك على كل حال».

ثـم نظـرت إليهـا وابتسمت. «هل هذا هو الحـب الجديد الذي لم تخبريني عنه بعد؟».

«لا، إنـه مجـرد صديق». لكن آني عرفت الحقيقة نظراً إلى كونها أماً بديلة طوال هذه السنوات. إذ يتم دوماً الإعلان عن الأصدقاء الأحباب بأنهم مجرد أصدقاء. «قد نذهب لحضور السينما أو نبقى هنا».

«افعلـي مـا تريدينه. عليّ إنجاز بعض العمـل، وأستطيع البقاء في غرفتي».

ابتسمـت لهـا كايت: «لست بحاجة إلـى الاختباء. لست في الخامسة عشرة، وأنا لا أخجل بك».

«حسناً، هذا لطف منك. كان الأمر محرجاً فعلاً لبعض الوقت».

قالت كايت مع ابتسامة عريضة: «لقد تحسنت».

«ما اسمه؟».

«بول. إنه يذهب إلى مدرستي. وهو موهوب فعلاً. يريد أن يكون

رساماً هندسياً في يوم ما، لكنه بارع في الفنون الراقية. يريد منه والداه أن يتعلم شيئاً عملياً، مثل التصميم».

«كم عمره؟».

«ثلاثة وعشرون عاماً». بدا هذا العمر منطقياً بالنسبة إلى آني، وأومأت برأسها.

«سأكون مسرورة بلقائه. أحب أن تحضري أصدقاءك إلى المنزل». أومأت كايت برأسها، وعادت إلى غرفتها واتصلت ببول الذي قال إنه سيأتي قرابة الخامسة. وبعدما تحدثت إلى بول، خرج تيد من غرفته وهو يبدو مرهقاً. إذ إن مغامراته مع باتي تنهكه. فقد اتصلت به للتو ودعته لتناول الغداء مع ولديها. وبما أنه لا يزال هناك ثلج على الأرض في الحديقة العامة فقد اقترحت عليه اللعب بكرات الثلج أو التزلج على الجليد بعد الظهر. فأحب الفكرة ووافق.

غادر المنزل بعد ساعة من دون أن يخبر خالته أو أخته عن المكان الذي سيذهب إليه. وقال فقط إنه سيلتقي بعض الأصدقاء، ولم يقل متى سيعود. لم تتفاجأ آني حين قال ذلك، ولم تنزعج. فهي لا تتعقب حركات كل واحد منهم. وفي الرابعة والعشرين من عمره، من حقه أن يتمتع بحرية الذهاب والمجيء حين يقيم عندها.

خرجت كايت لبعض الوقت أيضاً. فقد أرادت التحقق من الحسومات في متاجرها المفضلة، وعادت إلى الشقة قبل الساعة الخامسة بقليل، ووجدت آني لا تزال تعمل في مكتبها، وقد فعلت ذلك طوال فترة بعد الظهر. رنّ جرس الباب بعد دقائق قليلة من وصول كايت إلى المنزل، فذهبت لاستقبال صديقها، واستطاعت آني سماعهما وهما يتكلمان ويضحكان في غرفة الجلوس، وشغلت كايت الموسيقى. إنها موسيقى الكلاش التي تحبها آني فعلاً.

مضت ساعة على وجودهما معاً عندما دخلت آني الغرفة. كانت في طريقها لإعداد فنجان من الشاي، وأرادت إلقاء التحية بطريقة عفوية،

وابتسمت للشاب الوسيم الذي وقف ومدّ يده لمصافحتها. كان مهذباً ورزيناً أكثر من أصدقاء كايت المعتادين. عرّف عن نفسه بطريقة لائقة، وكان يرتدي سترة رسمية ويضع ربطة عنق، وهذا غريب بالنسبة إلى أصدقاء كايت. كان شاباً وسيماً ذا شعر أسود، وبشرة عسلية، وعينين بلون العقيق. أدركت آني أنه من الشرق الأوسط ربما، أو من الهند، وتذكرت فجأة الكتاب عن الثقافة الشرقية الذي رأته في غرفة كايت. لقد استعارته منه حتماً. ولم تخبر آني أي شيء عنه قبل أن يأتي. كان مهذباً جداً عندما صافح آني، وبدا ناضجاً بالنسبة إلى عمره، وبعيداً جداً عن أصدقاء كايت الذين تغطي الوشوم والأقراط أجسامهم، والذين تعرفت إليهم في كلية الفنون ويرتدون سراويل جينز منخفضة الخصر وقمصاناً قطنية ممزقة، ويبقون شعرهم غير ممشط.

في محاولة للترحيب به، عرضت عليه آني كأساً من الشراب الفرنسي، فابتسم وقال إنه يفضل فنجاناً من الشاي. إنه تغيير مرحب به وبديل عن كميات شراب الشعير الكبيرة التي يستهلكها دوماً أصدقاء كايت عندما يأتون لزيارتها.

لحق الشابان بآني إلى المطبخ فيما كانت تحضر الشاي. سكبت كايت لنفسها كوباً من الكولا، وتحدث بول بعفوية إلى آني. وعندما قدمت له الشاي، شرح لها بول أن والديه إيرانيان، من طهران، لكنهم يعيشون في الولايات المتحدة منذ أن أصبح في الرابعة عشرة من عمره. وقال إنه يملك عائلة هناك لكنه لم يذهب إلى بلده الأم للزيارة منذ تسعة أعوام، أي منذ أن غادروا، وأضاف أنه مواطن أميركي، تماماً مثل والديه. تحدث من دون أي لكنة غريبة، وبدا مهذباً جداً وراشداً ومحترماً جداً في طريقة حديثه إلى آني. أشرقت عينا كايت بقوة كلما نظرت إليه، وخفق قلب آني قليلاً عندما رأتهما.

كانا شابين ولطيفين جداً، وبدا جلياً أن بول شاب رائع، لكن آني خشيت من اختلاف الثقافتين. بدت كايت وكأنها مغرمة به. وفي هذه

الحالــة، تساءلــت آني عن رأي والديه بكايت، مع كل الوشوم والأقراط وأساليبهــا الليبراليــة جــداً. إنها صغيرة جــداً لتأخذ أي علاقة عاطفية على محمل الجد. لكن، ربما كانت جدية فعلاً في هذه العلاقة. وتساءلت آني عــن قلــق والدي بول. من ناحية الأصول، تأتي كايت وبول من عالمين مختلفين تماماً. وبدت كايت أكثر غرابة مما هي عليه فعلاً. أصبحت آني معتــادة علــى ذلــك، وتعرف كم هي فتاة طيبة. لكن، بالنسبة إلى الغرباء الذين لا يعرفونها، يمكن أن يشكل مظهر كايت الخارجي صدمة؛ خصوصاً لوالدي شاب مهذب ومحافظ مثل بول.

كل ما تمنته آني هو أن تكون هذه العلاقة العاطفية سعيدة وألاّ تكون علاقة طويلة الأمد تفرض عليهما الكثير من التحديات. إلا أن النظرة التي رأتها في عيني ابنة أختها قالت شيئاً مختلفاً جداً. لم ترها آني قطّ وهي تنظر إلى شاب هكذا. وبول لم يكن شاباً، وإنما رجلاً. عرفت آني بسهولة كل ما تحبه كايت فيه، لكن هذا لا يعني أن علاقة جدية بينهما وفي مثل عمرهما ستكــون سهلــة. وعرفــت آنــي أن العلاقات تكون صعبــة كفاية من دون إضافــة تناقضــات مفرطة إلى الخليط، وخلفيــات مختلفة كثيراً في التقاليد والثقافــات. إنّــه أمر صعب بما فيــه الكفاية جعل العلاقة تنجح مع شخص ترعرع بالطريقة نفسها، فكيف الحال إن كان من بيئة مختلفة كلياً؟!

كانــت آنــي لا تزال تفكر في ذلك عندمــا عادت إلى غرفتها وبدأت تحــدق إلــى الخرائط على مكتبها. لم تعــرف بماذا تفكر. فهذه هي المرة الأولى التي ترى كايت فيها مغرمة، وشعرت بالقلق عليها. كلاهما شابّان رائعان، وهي لا تريد أن يتألما.

شاهد بول وكايت فيلم دي في دي في غرفة الجلوس وطلبا البيتزا. ولــم تلمــح آنــي بول مجدداً قبل أن يغادر. فقد أغلقت بابها بهدوء لمنحهما الخصوصية، لكنها شعرت بالقلق طوال الليل، واتصلت بويتني لإخبارها.

وبختها ويتني قائلة: «ما الذي تخشينه؟ لن تتزوج به، بالله عليك». التحدث إليها بشأن الأولاد كان دوماً حقيقة واقعية بالنسبة إلى آني. فطالما

كانت ويتني عملية ومنطقية.

«لكن، ماذا لو تزوجت به؟ إنه إيراني. وهي فتاة أميركية متمردة جــداً، وليبراليــة كثيراً. أنا واثقة من أن والديــه سيقلقان بشأن ذلك أيضاً إذا تعرفــا إليهــا. الزواج صعب كفاية من دون إضافة الاختلافات الثقافية إليه».

«آه باللــه عليــك، لا تكونــي قديمة الطراز هكــذا. يتزوج أشخاص من ثقافات مختلفة على الدوام. ومن يقول إنهما سيتزوجان؟». ضحكت ويتني، وحاولت منحها بعض المنطق. تخيلتهما آني متزوجين. إنها أول قصة عاطفية جدية بالنسبة إلى كايت. «أولاً، يبدو وكأنه أميركي تماماً. ثانيــاً، لــن تتزوجه. إنهما ولدان، ويذهبان إلــى الكلية نفسها. هذا موعد غرامي وليس زواجاً. إنها في الحادية والعشرين، ويبدو أنه ذكي. قلتِ إنه وسيم، ولائق المظهر، ويملك أسلوباً ودوداً. يبدو شاباً رائعاً. لكن، لا تعتبريــه عريســاً. وإذا أردت الضحــك، فكري في النوبــة القلبية التي سيصــاب بهــا والداه عندما يريان وشــم تويتي أو تينكربل على ذراعيها، من دون ذكر الأقراط العشرة في أذنيها. لا أظن أنهم سيتصلون بك غداً لترتيب موعد الزواج. لماذا لا تسترخين قليلاً؟».

«أنا قلقة بشأن هذا أيضاً. أقصد بشأن أهله. ماذا لو لم يقدرا كم هي فتــاة لطيفــة وحكمــا عليها من مظهرها الذي أعتــرف بأنه يخيفني شخصياً أحياناً. أكره وشومها. وهي جدية في هذا. أشعر بذلك. فأنا أعرفها. إنها تقرأ كتباً عن ثقافته. لا مشكلة في هذا، ولكن ليس إذا كان ما تفعله بهدف الــزواج». كانــت آني تستبق الأمور. وكل ما استطاعت التفكير فيه الآن هو المستقبل والصعوبة المحتملة الناجمة عن دمج عالميهما.

قالــت ويتنــي بهدوء: «حسناً، عندمــا كنت في الرابعة عشرة أردت التعفــف عــن الــزواج، وأراد أخــي أن يغيّر دينه لكــي يحصل على حفلة كبيرة. لم يحصل أي منا على أي من هذين الأمرين، ولا أظن أن كايت ستذهب إلى إيران. بالإضافة إلى ذلك، إنه أميركي. وربما لا يريد العيش في إيران

أيضاً، لأي سبب كان. هذا بلده الآن».

«قال إنه لا يزال يملك أقارب هناك. فلديه خال وعمّ والكثير من الأقرباء. ماذا لو عاد إلى هناك وذهبت معه؟». لم تكن آني تريد خسارتها، في أي بلد. فكايت لا تزال صغيرتها.

أضافت ويتني: «أملك قريباً في آيسلندا، لكنني لن أذهب إلى هناك. آني، هوني الأمر عليك. أنجزت عملاً رائعاً معهم. إنهم رائعون، وأختك فخورة بك، لكنهم كبروا. وعليهم أن يعيشوا حياتهم ويرتكبوا أخطاءهم. قد يتزوج أحدهم يوماً ما بشخص تكرهينه، لكنني لا أظن أن أياً منهم مستعد للزواج بعد، ولا حتى ليز، بالرغم من أنها كبيرة كفاية. وإذا ارتكبوا خطأً فظيعاً، الأمر الذي قد يحصل مع أي كان، من أي ثقافة، فما عليك إلا الجلوس والمراقبة من وراء الكواليس. إنها حياتهم. وما تحتاجين إليه هو حياة خاصة بك. لا يمكنك التشبث بهم إلى الأبد وعيش حياة كل منهم أو منعهم من ارتكاب الأخطاء. هذا هو الرهان. بعدما يكبرون، يصبحون ملكاً لأنفسهم وليس لنا. هذا مريع، وسأكره ذلك مع أولادي عندما يأتي كل واحد منهم إلى المنزل مع ساقطة، لكنها ستكون حياتهم، وليست حياتي. آني، عليك أن تحصلي على حياة. منحتهم ستة عشر عاماً من حياتك، ووفيت بوعدك لجاين. عليك الآن أن تنهضي عن المقعد، وتعودي إلى حياتك الخاصة. أريد منك أن تجدي رجلاً».

«لا أريد رجلاً. أنا سعيدة هكذا. أريدهم أن يكونوا سعداء، ولن أجلس هنا وفمي مغلق إذا أفسدوا حياتهم أو ارتكبوا خطأً فظيعاً».

قالت ويتني بصرامة: «لا يمكنك منعهم». واستاءت آني عند سماعها ذلك، وعند إدراكها أن صديقتها محقة.

«لمَ لا؟».

«لأنّه لا يحق لنا ذلك. ليس هذا جيداً لك، أو لهم. لقد نضجوا، سواء أأعجبك ذلك أم لا. أنت ارتكبت أخطاءك، فدعيهم يرتكبون أخطاءهم».

سألت آني، وهي تبدو متفاجئة: «ما هي الأخطاء التي ارتكبتها؟».

قالت ويتني بهدوء: «تخليت عن حياتك من أجلهم». ولم تجب آني، فهذا صحيح، لكنه كان الشيء المناسب في ذلك الوقت، وليست نادمة على ذلك. الأعوام الستة عشر الماضية كانت الأفضل في حياتها. وأصعب شيء بالنسبة إليها هو التكيف مع فكرة انتهاء ذلك الآن. لقد أنجزت مهمتها، وقد حان الوقت الآن لكي تفتح لهم باب القفص وتسمح لهم بالطيران، حتى لو انتهى الأمر بكايت بالعيش بعيداً أو في ثقافة مختلفة. إذا كان هذا هو خيارها، فلن يستطيع أحد منعها، ولا يملك أحد الحق في ذلك. ولا حتى آني.

قالت آني بصراحة: «لا أعرف إذا كان في وسعي الاكتفاء بالجلوس والمراقبة».

قالت ويتني ببساطة: «لا تملكين خياراً آخر. لقد انتهت مهمتك. سيعيشون حياتهم كيفما كان». هذا أمر يصعب استيعابه. من الصعب كفاية العيش في منزل فارغ. ومراقبتهم وهم يتخذون قرارات قد تسبب لهم التعاسة لاحقاً أمر أصعب. «كنت محظوظة لغاية الآن، وأنجزت عملاً جيداً. ولا أظن أنهم سيفسدونه الآن. وإذا فعلوا، فلا يمكنك منعهم، بل كل ما يمكنك فعله هو مساعدتهم على لملمة الأجزاء لاحقاً، إذا سمحوا لك. ولا تنسي أن كايت يمكن أن تكون تعيسة إذا تزوجت رجلاً من باريس أو لندن أو نيوجرسي».

قالت آني بتعاسة: «أكره هذا الجزء حيث يؤثر ما يفعلونه الآن في مستقبلهم. تصبح المخاطر أكبر كلما تقدموا في العمر. كان الأمر أسهل عندما كانوا صغاراً».

«لا، ليس صحيحاً. كنت خائفة جداً من أن ترتكبي الأخطاء مع أولاد ليسوا أولادك. لقد نسيت ذلك فقط».

قالت آني بحزن: «ربما. إنه شاب لطيف، وأنا أستلطفه. لكنني لا أريد أن يأخذها إلى النصف الآخر من العالم ويجعلها تعيش في بلده. لا أريد أن أخسرها».

«ثقي بكايت قليلاً. لن ترغب في ذلك هي الأخرى. إنها قريبة منكم جميعاً، وستعيش على الأرجح في نيويورك. بالإضافة إلى ذلك، يعيش بول في نيويورك، وكذلك عائلته. توقفي عن تخيّل أنها ستتزوج به وستنتقل إلى الطرف الآخر من العالم. فأنت تدفعين نفسك إلى الجنون من دون سبب». حاولت ويتني تهدئتها، وعرفت آني أن ما قالته صحيح. فبقدر ما هو مؤلم، عليها أن تتعلم التخلي عنهم في يوم من الأيام، وقد حان الوقت ربما، سواء أعجبها الأمر أم لم يعجبها.

كانت جالسة على سريرها تفكر في الأمر عندما دخلت كايت الغرفة. لقد غادر بول. كشفت عن نظرة حالمة ظهرت على وجهها، وابتسمت بخجل لخالتها. خفق قلب آني عندما رأتها. لم ترَ أحداً مغرماً هكذا. وكونها مغرمة إلى هذا الحد يعرضها لخطر تحطم القلب إذا لم تجرِ الأمور مثلما تأمل. في سن الحادية والعشرين، ما من قصة عاطفية يحتمل أن تدوم إلى الأبد. وآخر ما تريده آني هو رؤيتها متألمة أو حتى خائبة الأمل. فهي تفضل إبقاءها في شرنقة وحمايتها لبقية حياتها.

قالت آني بحذر: «إنه شاب لطيف، ويملك يملك أساليب مهذبة. وهو ذكي ووسيم جداً، ويبدو شخصاً لطيفاً». كانت غير واثقة مما يجب قوله لفتاة تبدو وكأنها تطفو على غيمة.

فقالت كايت مدافعة عنه فوراً، كما لو أنها مضطرة إلى ذلك.: «إنه شخص رائع».

فأجابت آني بهدوء: «أنا واثقة من ذلك. لكنه يأتي من ثقافة مختلفة تماماً. عليك التفكير في هذا الأمر». حدّقت إليها كايت بعدائية فورية، وهي مستعدة لخوض حرب، وهذا ما خافت منه آني. لا تريد أن تخسرها الآن، بسبب هذا الشاب أو أي شاب آخر. فما من شيء يستحق هذا.

«وما الفرق؟ إنه أميركي. وهو يعيش في نيويورك، ولن يذهب إلى إيران إلا للزيارة. حياته هنا؛ تماماً مثل حياتي».

«هذا جيد. لكنه قد يملك آراء مختلفة عن آرائك. وعائلته ليست

أميركية، وأقرباؤه في إيران. أعرف أنك لا تظنين ذلك، لكن هذا يحدث فرقاً. إذا تزوجت به، فكيف ستربين أولادك؟ ماذا سيتوقع هو أو عائلته منك؟ ستشعرين دوماً أنك غريبة. كايت، إذا كنت جدية بشأنه، فعليك التفكير في ذلك. أنتما تأتيان من خلفيتين مختلفتين. وهذا يقلقني». كانت آني صريحة جداً معها وهي تبلغها بمخاوفها.

«لا أصدق كم أنت متعصبة. ما الذي يزعجك؟ أيزعجك أن بشرته داكنة أكثر من بشرتي؟ ومن يهتم بذلك؟».

«طبعاً لا. لكنني أخشى أن تكون أفكاره مختلفة عن أفكارنا، وربما هي مختلفة جداً. قد يكون هذا رأي عائلته فيك أيضاً».

قالت كايت بازدراء الشباب: «أنت سخيفة. فليس لديك أي رجل في حياتك. ولم يحصل ذلك يوماً. تعيشين مثل الناسكة. بالله عليك، ماذا تعرفين عن حب شخص وتأسيس حياة معه؟».

أصابتها كايت بقوة في الصميم. اعترفت آني والدموع تتلألأ في عينيها: «ليس كثيراً. أريدك فقط أن تفهمي ما قد تصلين إليه. ينطبق ذلك على أي علاقة. الخلفيات، الأعراف العائلية، والتقاليد مهمة جداً بين شخصين، حتى لو كانا يحبان بعضهما. أريد فقط الأفضل لك». لم تجب على بقية ما قالته كايت، ولم تقل لها إنها عاشت مثل الناسكة لأنها ربّت ثلاثة أولاد وهي تبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، ولأن الرجل الذي كانت مغرمة به في ذلك الوقت تخلى عنها لأنها استلمت مسؤولية ثلاثة أولاد ليسوا أولادها، ولأنها لم تملك الوقت لأخذ أي كان على محمل الجد منذ ذلك الوقت، ولأنها كانت مشغولة جداً في إيصال الأولاد إلى مدارسهم، والذهاب إلى طبيب تقويم الأسنان ومباريات كرة القدم. لم تقل شيئاً من هذا وركزت المحادثة على كايت وبول.

قالت كايت وهي تحدق إليها بغضب: «سأفعل ما هو مناسب لي».

فأومأت آني برأسها، متذكرة تحذيرات ويتني لها قبل ساعة، هذه حياتهم ولديهم الحق في ارتكاب أخطائهم، ولذلك عليها الابتعاد. إنها تحاول،

لكن هذا صعب. ومن يعرف إذا كانت علاقتها ببول خطأ؟ ربما ليست كذلك.

أجابت آني ببساطة: «أحبك كايت». ثم خرجت كايت من الغرفة مسرعة، وأغلقت الباب وراءها بقوة. كل ما أرادته لها آني حياة جيدة.

استلقت آني على سريرها في تلك الليلة، وهي تفكر في كايت وفي ما قالتاه. وتساءلت إذا كانت مخطئة. لم يكن لديها الحق ربما في قول أي شيء. بدا بول شخصاً جيداً، وهذا كافٍ ربما. قد لا يكون التحدر من ثقافتين مختلفتين أمراً مهماً، وربما تكون مخطئة. أي حق تملكه لتخبر كايت من يجب أن تحب وكيف تعيش؟ قد تكون كايت سعيدة معه. فمن هي لتحكم؟ وكانت كايت محقة في جزء من كلامها. فهي تعيش فعلاً مثل الناسكة. مهما كانت النوايا والأهداف، فقد انتهت حياتها كامرأة حين كانت في السادسة والعشرين. وفي عمر الثانية والأربعين، يبدو الوقت متأخراً جداً لتبدأ مجدداً. قايضت حياتها مع رجل من أجلهم، وليست نادمة على المقايضة. لا تملك تاريخاً في العلاقات لتستمد منه الخبرة. وكل ما تعرفه عن الثقافة الإيرانية هو ما قرأته عنها. ليست الحياة التي كانت لتختارها لكايت، لكنها تملك الحق في اختيار حياتها بنفسها.

فيما استلقت آني على السرير، فكرت في تيد أيضاً، وتساءلت عن المرأة الغامضة التي تلهيه. بدا تائهاً طوال الميلاد واختفى ليلة الميلاد. لم تره هكذا قطّ. وكانت مقتنعة أن ليز تضيع وقتها مع رجال مثل جان لوي. ليز تمرح وتستمتع بمهنتها، لكن رجالاً مثل جان لوي لن يهتموا بها أبداً، لأنهم مهووسون جداً بأنفسهم. من الصعب مراقبتهم وهم يكبرون.

عانت آني من الصداع عندما استيقظت في اليوم التالي. كان تيد وكايت قد خرجا من المنزل، ولم يترك أي منهما ملاحظة عن مشروعاتهما. عرفت أنهما لا يدينان لها بأي شرح عن المكان الذي يذهبان إليه. فهما ناضجان، وهي لا تملك الحق لتسأل. كانت تفكر فيهما فيما كانت تحضّر لنفسها كوباً من الشاي، ثم خرجت للقيام بنزهة. اتصلت

بها ويتني على هاتفها الخلوي، فأخبرتها عن الجدل الذي دار بينها وبين كايت في الليلة الماضية.

«عليها أن تدافع عن العلاقة مهما كان رأيها فعلاً. وهي لا تستطيع الاعتراف لك بأنك محقة أو بأن الأسئلة تراودها هي أيضاً. إذ لا يريد أي منا الاعتراف بأنه غير واثق بما يفعله. فمن الأسهل بالنسبة إليها أن تهاجمك. وتعبيرك عن رأيك ليس أمراً سيئاً. وتعرف كايت أن قلبك في المكان الصحيح. وما عليك الآن إلا التراجع ومراقبة ما تفعله. واستمتعي أنت بالتغيير. هل ستأتين ليلة رأس السنة؟ ربما من المفيد لك الخروج من المنزل ليلة واحدة على الأقلّ».

«لا أريد التخلي عن كايت وتيد ليلة رأس السنة».

«مرحبا؟ هل تمزحين؟ لقد تحدثنا عن هذا من قبل. فهما اللذان سيتخليان عنك. لقد نضجا، ولديهما مشروعاتهما الخاصة. وأريد أن أعرّفك إلى صديق فريد. إنه رجل مذهل». فيما قالت ويتني ذلك، تذكرت آني تعليق كايت في الليلة الماضية، بأنها تعيش مثل الناسكة. إنها في الثانية والأربعين، وليست في الخامسة والتسعين. كايت وويتني محقتان ربما. وعليها المحاولة على الأقل، فهي لا تريد أن تموت وهي بمفردها. وإذا كانت ستعيش أربعين أو خمسين عاماً إضافية، فمن الجميل ربما أن تكون لديها صحبة.

قالت آني: «حسناً سآتي». وبدت كما لو أنها قد وافقت للتو على سحب كبدها من أنفها.

بدت ويتني متحمسة: «رائع! يمكنك تمضية الليلة عندي. إذ لا يجدر بك العودة إلى المنزل بمفردك. فكري في ذلك. قد تكون هذه بداية قصة عاطفية رائعة، وحياة جديدة لك. ستحبين هذا الرجل». مضت أعوام عدة على موافقة آني على الذهاب إلى موعد غرامي مدبّر، بحيث نسيت كم كانت تلك المواعيد مخيبة للآمال. لكن، سيكون هناك على الأقل شيء تفعله ليلة رأس السنة. وويتني محقة. يملك الولدان على الأرجح

مشروعاتهما الخاصة.

لم ترَ آني كلاً من تيد وكايت إلا في اليوم التالي. وذكرت لهما أنها ذاهبة إلى منزل ويتني وفريد ليلة رأس السنة. وكانت قد قررت سابقاً أنهما في حال عارضا فستلغي المشروع. ولكن، مثلما توقعت ويتني، قالا إنّ لديهما مشروعاتهما الخاصة مع أصدقائهما. لم تتفوه آني بأي كلمة أخرى عن بول أمام كايت. فقد قالت ما يكفي، وكانت كايت لا تزال غاضبة منها عندما غادرت آني إلى نيوجرسي بعد ظهر ليلة رأس السنة.

الفصل التاسع

وصلت آني إلى منزل ويتني وفريد في فار هيلز في تمام الساعة السادسة. كانت زحمة السير خفيفة فوصلت في وقت مناسب. أخذت معها فستان سهرة أسود بسيطاً، وعلقته قرب المقعد الخلفي. كان أولادهما الثلاثة يلعبون كرة السلة في الفناء الخلفي عندما وصلت. إنهم في الرابعة عشرة، والسادسة عشرة، والسابعة عشرة. وهم جميعاً يشبهون فريد مع نمش يغطي وجوههم وشعر أحمر. كانوا جميعاً مولعين بالرياضة مثل والدهم، ويتقدم الكبير حالياً بطلباته إلى الجامعات. فقد أراد الذهاب إلى جامعة ديوك ودراسة الطب مثل والده. لوّح لها الأولاد عندما وصلت.

فريد جرّاح عظام مشهور. ليس رجلاً تختاره آني، لكن ويتني سعيدة معه وتعيش حياة جيدة. فهو أناني جداً، ولطالما كان مزهواً بنفسه، لكنه والد وزوج جيد، ويجني مالاً وفيراً، وهو شخص مسؤول؛ ولطالما احترمته آني من أجل ذلك.

فيما دخلت منزلهم بعدما عانقتها ويتني، لاحظت آني أن مائدة الطعام مزينة بالفضة والكريستال، وكانت هناك أزهار بيضاء ورايات فضية في كل مكان. بدت السهرة أكثر تكلفاً مما توقعت.

سألت آني وهي تشعر بالتوتر: «كم عدد المدعوين؟». فهي تعرف أن معظم أصدقائهما متزوجون، وهم جزء من دائرة ضيقة من الأشخاص الذين يعيشون في فار هيلز، والعديد منهم أطباء مثل فريد. ولطالما شعرت بالقليل من الغرابة في وسطهم، وكأنها غريبة أو شاذة. حاولت عدم التفكير في ذلك الآن.

قالت ويتني فيما كانت تساعد آني على حمل أغراضها إلى غرفتها:

«سـوف نستقبـل أربعة وعشريـن شخصاً». إنها غرفـة ضيوف جميلة، وفكرت ويتني في كل التفاصيل. «كيف كانت كايت عندما غادرت؟».

«لا تزال منزعجة. بالكاد رأيتها خلال الأيام القليلة الماضية. قالت إن لديها مشروعات مع أصدقاء. لم أسأل، لكنه بول على الأرجح».

قالـت ويتنـي: «ستكون بخير. خذي إجازة. استمتعي الليلة. سيأتي الضيوف عند الساعة السابعة، وسنجلس لتناول العشاء عند الساعة الثامنة أو الثامنة والنصف». لا يعطي ذلك آني الكثير من الوقت لتحضير نفسها. وبعد دقائق قليلة من مغادرة ويتني الغرفة. استحمّت آني، ووعدت نفسها بأنها ستبذل جهداً، وستنخرط في أجواء السهرة.

جففت آني شعرها وربطته في جديلة فرنسية، ووضعت مستحضرات التجميل بعناية، ثم ارتدت الفستان الأسود، وانتعلت صندلاً عالي الكعب ومزيناً بالريش أحضرته لها ليـز من باريس. ووضعت قرطين ماسيّين اشترتهما بنفسها، وحملت حقيبة صغيرة من الساتان الأسود. تحققت من نفسهـا فـي المرآة قبل أن تغادر الغرفة، ورأت أن ابنة أختها ليز ستوافق علـى طلتهـا. بدت آني نحيلة ومتكلفـة عندما غادرت غرفتها، فيما وصل أول ثنائي من الضيوف ودخل غرفة الجلوس. إنه ثنائي سبق لها لقاؤه. كان الرجل جرّاح عظام مثل فريد، وزوجته صديقة ويتني ولديها أولاد بالعمر نفسه، وتذكرت آني أنهما يسرفان دوماً في الشرب.

تأمـل الثنائـي آنـي فيما دخلـت، وكشفت الزوجة عـن تلك النظرة الفوقيـة التي توجههـا بعض النساء المتزوجات إلى النساء العازبات، كما لـو أنهـن يشعـرن بالأسف عليهن. ما كانت آني لتقايض حياتها بحياة تلك المرأة، لكنها تحدثت إليهما بحيوية، فيما استمر بقية الضيوف بالوصول. وعند الساعة الثامنة، وصل الجميع. يصل الناس في الوقت المناسب في الضواحي، على عكس المدن الكبيرة حيث يتأخر الجميع. ولم تعرف بعد من هو الرجل الذي أرادت ويتني أن تعرفها إليه. فكل الرجال في الغرفة بـدوا فـي خريـف العمر، ومعظـم النساء كنّ بدينات قليـلاً. كانت ويتني

بدينـة أيضـاً، بالرغم من أنها طويلة مثـل آني، وناسبها الوزن. ولطالما شكت آني في أن فائض الوزن يعزى إلى إسراف النساء قليلاً في احتساء الشـراب الفرنسـي. تملـك آني جسماً أفضل مـن كل النساء الأخريات في الغرفة. ودهشت حين اكتشفت أن النساء تجاهلنها، فيما وقف الرجال في مجموعـات مـع بعضهم، وهم يناقشون العمل أو الطب. تصرف الرجال كمـا لـو أن النسـاء غير موجودات، وبـدا أن النساء لم يعترضن وتحدثن عن التسوق، أو التنس، أو أولادهن.

قالـت ويتنـي: «هل رأيتـه؟». فيما توقفت للتحدث إلـى آني قليلاً، ثـم ابتعـدت مجـدداً. إنهـا مشغولـة مع ضيوفهـا. عرّفت آنـي إلى عدد مـن الأشخـاص، وجميعهـم أزواج. وتصورت آنـي أنها هي والشخص المفترض أن تتعـرف إليه العازبان الوحيدان في الغرفة. لكنها لم تلمحه بعد. وعرفت من ويتني أنه طبيب جراح في الثانية والخمسين من عمره، ويقود سيارة بورش، وهو مطلق. يصعب التعرف إليه من هذا الوصف إلا إذا رأته يخرج من سيارته بمفرده.

ارتدت النساء في الغرفة فساتين قصيرة أو طويلة، وارتدى الرجال بـذلات رسميـة. لكن، لم يكـن أي منهم أنيقاً فعلاً، وبدا الجميع مفرطين قليـلاً فـي اختيـار الملابس. قبل خمـس دقائق فقط مـن جلوسهم لتناول العشـاء، أحضرتـه ويتني للقائها وعرّفتها إلى بوب غراهام؛ الرجل الذي تشوّقـت إلـى تعريفـه إلى آنـي. وعندما رأته آني غاص قلبهـا. بدا أسوأ رجل تعرفت إليه لغاية الآن، ونظر إليها كما لو أنها قطعة لحم. أخبرها فوراً أنه طبيب جراح ومتخصص في زرع أنسجة القلب والرئتين، وبدا وكأنـه يتوقـع سماع تصفيق. بدا رياضيـاً معتدلاً، وإنما مع كرش وذقن مترهـل. وبـدا شعـره المزروع في العام الماضي قبـل طلاقه سيئاً جداً. كانـت آنـي تفضـل لو أنه أصلع، وحاولت تذكير نفسها بضرورة التحلي بـروح رياضية، ومنح الرجـل المسكين فرصة. فربما كان ألطف رجل فـي العالـم لكن شعره المزروع سيئ المظهر. من المجدي تحمل شعره

إذا كان شخصاً رائعاً، وربما هو كذلك. وربما كان مذهلاً، أو مرحاً، أو ذكياً جداً. أي شيء ممكن. رأته يحدق إلى قرطيها الماسيّين، وتطرق مباشرة إلى الموضوع.

«هل أنت مطلقة؟». فبما أنها وحيدة وفي عمرها هذا، فقد افترض أنها مطلقة.

قالت وهي تبتسم له: «لا، لم أتزوج قطّ». وتساءلت إذا كان هذا يجعلها تبدو غير محتشمة أو فاشلة.

«قرطاك جميلان. لا بد أن صديقك السابق كان شخصاً كريماً». ذهلت حين سمعت تعليقه، فهي لم تتعرف يوماً إلى صديق اشترى لها أي شيء غير الطعام أو وشاح.

فقالت وهي تبتسم له: «اشتريتهما بنفسي». وطلبت ويتني من المدعوين التوجه إلى غرفة الطعام وكأنهم قطيع من الغنم، وجلس جراح القلب والرئتين قربها. تجاهلها تماماً في النصف الأول من العشاء، فيما ناقش أحدث أساليبه في الجراحة مع رجلين يجلسان قبالته. وأدار الرجل الذي جلس إلى يسارها لها ظهره، وكان مهتماً بالحديث إلى المرأة الجالسة إلى طرفه الآخر. كانوا قد وصلوا إلى طبق الحلوى عندما استدار جرّاح القلب والرئتين إليها مجدداً، كما لو أنه تذكر أنها موجودة. توقعت منه أن يسألها عمّا تفعله في الحياة، لأنها أصغت إليه وهو يناقش عمله طوال الليل، غير أنه قال: «أنا أبني منزلاً في جزر كايمان. ولديّ مزرعة في مونتانا، احتجت إلى شيء في مكان معفى من الضرائب. أضع يختي الآن هناك. هل ذهبت يوماً إلى سان بارتس؟».

أجابته وهي تبتسم له: «لا، لم أذهب. هل هي جميلة؟».

«بعت للتو منزلاً هناك. تضاعف مالي خلال عامين». لم تكن واثقة مما يجدر بها قوله، وذهلت لأنه لم يسألها بعد عمّا تفعله أو أي شيء آخر عنها. كان كل شيء يتمحور حوله. «عدت للتو من سافاري في كينيا مع أولادي. ذهبنا إلى هناك لتمضية الميلاد. ذهبنا إلى زيمبابواي في العام

الماضي. أحببت كينيا أكثر». تحدث بمفرده، ولكن من دون محادثة. لم يطرح أسئلة، ولم يكترث لآرائها، وتجربتها في الحياة، وعطلاتها، أو وظيفتها. «التقطت بعض الصور الفوتوغرافية الرائعة فيما كنا هناك». لم يكن مهتماً أيضاً بالأحداث العالمية، وإنما فقط بنفسه، واستمعت إليه آني بذهول.

ابتسمت لها ويتني ابتسامة عريضة عبر الطاولة. بدت وكأنها شربت كثيراً، مثلما فعل الباقون. كان العشاء ممتازاً، وقد حضّره أفضل مطعم في فار هيلز، لكن بدا وكأن أحداً لا يبالي. كل ما تحدثوا عنه هو الشراب الفرنسي. قدم فريد أفضل شراب لديه، وهو يعرف الكثير عن الشراب الفرنسي، وكذلك بوب. أخبر آني عن أقبية الشراب الموجودة في منزله، وكيف أنها مليئة بأفضل أنواعه. ثم أخبرها عن يخته ومدى ضخامته. قال إنه يملك بعض التحف الفنية الرائعة في يخته، ثم قال إنه أعطى زوجته السابقة بعضها. وعندما غادروا المائدة بعد العشاء، لم تكن آني قد فتحت فمها قطّ. اعتذر الرجل الجالس إلى يسارها عن عدم التكلم معها عندما وقفوا، وانسحب بوب للتحدث إلى فريد وعدد من زملائهما من دون أن يقول أي كلمة لها.

شعرت وكأنها الشخص غير المنظور في الغرفة. خافت النساء منها لأنها أكثر نحافة، وأكثر أناقة، وأكثر جمالاً منهن جميعاً، ولم يكترث الرجال. بوسع بوب غراهام التحدث إلى نفسه أمام المرآة طوال الليل والاستمتاع بالقدر نفسه. شكت في أنه يواعد نساء أصغر سناً يتأثرن بماله، ويخته، أو سيارة البورش. أمّا هي فلم تتأثر بأي شيء، وكل ما أرادته هو العودة إلى المنزل. وقد علقت هنا الليلة. أسفت على مجيئها. فالجلوس وحدها في المنزل كان أفضل، لكنها واجهت الأمر الآن، على الأقل بالنسبة إلى ويتني.

همست لها ويتني فيما مرّت أمامها للتحدث إلى النساء اللواتي تلعب معهن التنس كل يوم: «أليس رائعاً؟». إنها وويتني صديقتان منذ أعوام،

وأحبت أنـي التحدث إليها. لكـن، عندما رأتها هنا، أدركت أنهما تملكان القليل من الأمور المشتركة، وأنّ حياتيهما مختلفتان. لم تعمل ويتني قطّ منـذ زواجهـا بفريد قبل عشريـن عاماً؛ مباشرة بعد تخرجها من الجامعة. وكانـت قـد أنجبت ولديـن عندما صارت آني مسؤولـة عن عائلة جاين، وقدمت لها ويتني الكثير من الدعم والنصائح. ما تتشاركانه تاريخ وليس شيئـاً آخـر. وكرهت آني أصدقاءها. تنسَى ذلك دوماً إلى أن تزورها في نيوجرسي، وهي لا تفعل ذلك غالباً. ففي معظم الأوقات، كانتا تتقابلان في المدينة عندما تأتي ويتني للتسوق، وتكون حينها مقبولة. لكن هنا، في موطنهـا الطبيعي، مع هـؤلاء الأشخاص المغرورين والأنانيين، أرادت آنـي الصـراخ والهروب من الغرفـة. أفضل شيء في السهرة لغاية الآن كان الطعام.

استمـر الجميـع بالشـرب حتـى منتصف الليـل، ثم عـدّ فريد العد العكسـي، وصـرخ الجميع بعدها ونفخوا في الأبواق التي وزعتها ويتني مباشـرة قبـل منتصف الليل. ثم قبل الجميع بعضهم، وتمنوا لبعضهم سنة سعيدة، وبعد عشرين دقيقة ذهب الجميع إلى منازلهم. كانت ويتني ثملة تماماً حينها، وذهب فريد إلى السرير من دون أن يتمنى ليلة سعيدة لأي منهما.

طمأنتها ويتني: «قال بوب إنك رائعة». وكانت تتلعثم في كلماتها، وكرهـت آنـي رؤيتهـا هكذا. أرادتها أن تكـون أفضل من هذا؛ أن تكون مختلفـة، لكنها ليست كذلـك. إنها واحدة منهم. والموعد الغرامي الشهير كان مزحة سيئة أخرى. لقد نسيت آني، منذ الموعد الأخير، كيف يمكن أن تكـون المواعيـد المدبـرة سيئـة. فهـي تقسم دوماً علـى ألا تفعل ذلك مجـدداً، لكـن ويتنـي أصرت عليها، وبعد ما قالتـه كايت، فكرت في أنه يجدر بها المحاولة مجدداً على الأقل.

عندمـا ذهبـت ويتني إلـى المطبخ للدفع لمعدّ الطعـام، صعدت آني إلى غرفتها بهدوء، وخلعت ملابسها، وأزالت مستحضرات التجميل عن

وجههـا، واستلقـت على السرير، وأطفـأت الضوء. كل ما أرادته، ليس رجـلاً، وإنمـا أن تعود عقارب الساعة إلى الخلف؛ إلى الوقت الذي كان فيـه أولاد أختهـا صغـاراً. فقـد كانوا يمضون أوقاتـاً سعيدة مع بعضهم، ويشربـون شـراب الزنجبيل ليلـة رأس السنة، ويبقـون مستيقظين حتى منتصف الليل، ثم ينامون هم الثلاثة معها على سريرها. تشتاق إلى تلك السهرات في رأس السنة، وليس إلى المواعيد الغرامية مع أشخاص مثل بـوب غراهـام. شعرت هنا، مع ويتني وأصدقائهـا، بوحدة أكبر مما لو كانت بمفردها.

ليلة رأس السنة التي أمضاها تيد مع باتي كانت حلوة وممتعة. فقد حضّرا العشاء في شقتها، وأوصلت الولدين إلى منزل والدهما الذي عاد للتو إلى المدينة. احتسيا الشراب معاً، وعند منتصف الليل، شغلا التلفاز، وشاهدا الكرة وهي تنزل في تايمز سكواير. إنها سهرة سخيفة ومضحكة، ومليئـة بالشغـف الـذي اكتشفه معها خلال الشهـر الماضي. وذهل عندما سألته إذا كان يريد الانتقال للعيش معها.

سألها وهو يبدو متفاجئاً: «ماذا سيكون رأي ولديك؟». لم يعش مع امـرأة قـطّ، وإنمـا مع رفاق له في الشقـة، وخالته وأختيه. لم يكن واثقاً بأنه مستعد للانتقال والعيش مع امرأة، وشعر بالغرابة بسبب ولديها.

قالت باتي إجابة عن سؤاله: «سيظنان أننا نحب بعضنا». لكنه كان مدركاً تماماً أنها مسؤولية كبيرة لكي يتحملها. فماذا سيحصل لو لم ينجح الأمر؟ ماذا سيحصل لولديها؟ لقد شهدا طلاقاً للتو. وهو لا يريد تعريضهما للخطر، وقال لها ذلك، لكنها لم تصغِ إليه، وسخرت من مخاوفه. «لماذا لن ينجح الأمر؟».

قـال بمنطـق: «نحتاج إلـى المزيد من الوقـت». وابتسمت؛ كما لو أنهـا تعـرف كل أسـرار العالم. أخبرتـه أنها تحبه ألف مـرة تلك الليلة، وأقامـا علاقـة حميمـة مراراً وتكراراً. إنها ليلة رأس السنة الأكثر إثارة

التـي أمضاهـا في حياته. وناما أخيراً بيـن ذراعي بعضهما، فيما أشرقت شمس السنة الجديدة.

أمضـى بـول وكايـت ليلة رأس السنة في شقة آني. وكانت كايت قد أمضت الليلة السابقة في غرفته. فصديقه في الغرفة لديه صديقة تملك شقتها الخاصـة، ولذلـك يكون معها طبعاً في معظـم الوقت. لكن، هذه المرة، بقي بول مع كايت. حضّرا العشاء في المطبخ المريح، وشاهدا الأفلام، وقبلا بعضهما عند منتصف الليل، ثم أقاما علاقة حميمة في سريرها. كان حنوناً، ورقيقاً، ومهذباً، وعرفت أن كل ما قلقت منه آني بشأن اختلاف الثقافتيـن لا ينطبـق عليه. إنه أميركي مثلها، أينما ولد. وهو ألطف رجل في العالم، وكانت كايت مغرمة تماماً للمرة الأولى في حياتها.

خـاف بـول من عودة آني إلى البيت عند منتصف الليل، لكن كايت طمأنته باستمرار بأنها لن تعود قبل اليوم التالي. غير أنه طلب من كايت أن تقفل باب غرفة نومها على كل حال. فهو لا يريد أن يدخل أحد عليهما. واستلقت كايت بسلام بين ذراعيه، فيما تحدثا حتى وقت متأخر من الليل عن كل الأشياء التي يهتمان بها، وعن آمالهما ومخاوفهما وأحلامهما. قال إنـه يريـد أخذهـا إلى طهران في يوم من الأيام لزيارة عائلته هناك. فهو يريد العودة إلى هناك لرؤية البلد مجدداً. فهو يملك الكثير من الذكريات هنـاك، وعائلتـه، لكنـه يريد العيش في الولايات المتحـدة. أراد فقط أن يُريهـا بلـده فـي يوم من الأيـام، وأرادت كايت ذلك أيضـاً. أرادت أن تعرف كل شيء عنه، وأن ترى المكان الذي عاش فيه عندما كان ولداً.

عرّفهـا بـول إلـى والديه اللذين كانا مهذبين جـداً معها، بالرغم من أنهما أجفلا قليلاً في البداية. شرح لها بول أنهما أملا دوماً في أن يتزوج فتاة فارسية. لكن كايت افترضت أنهما سيحبانها في النهاية، عندما يتعرفان إليها بصورة أفضل. إنه الشيء نفسه الذي قالته كايت عن آني. فهي تحتاج إلى الاعتياد على علاقتهما، وخصوصاً على نضوج كايت.

لكن كايت لم تفكر في خالتها قطّ تلك الليلة، بل كان قلبها وعقلها مع بـول، والحيـاة التي سيتشاركانهـا. إنها سنة جديدة، وعالم جديد، وحياة جديدة معه. والاختلافات التي أقلقت عائلتيهما غير موجودة بالنسبة إليهما. العالم الوحيد الذي يهتمان به هو عالمهما.

الفصل العاشر

تحرقت آني شوقاً لمغادرة فار هيلز في اليوم التالي. غير أنها لم تشأ أن تكون فظة وتغادر قبل أن يستيقظ فريد وويتني. نهضت وارتدت ملابسها عند الساعة التاسعة صباحاً، وظهر فريد وويتني عند الساعة العاشرة. انضمت إليهما في المطبخ لتناول الفطور، وتقييم الليلة الماضية. كانا يشعران بالصّداع، أما آني فقد احتست القليل من الشراب لذا كانت تشعر بأنها بخير.

سألت ويتني بتفاؤل فيما قرأ فريد الصحيفة: «ما رأيك في بوب؟». بدا أنه غير مبالٍ بالموعد الغرامي أبداً. إنها صفقة ويتني، وليست صفقته.

قالت آني بطريقة دبلوماسية: «إنه رجل ممتع جداً». لأنها لم تشأ أن تجرح مشاعر ويتني بقولها رأيها الحقيقي؛ إنه أناني ومتعجرف ومضجر جداً. «أخبرني عن رحلة السافاري التي قام بها في كينيا خلال الميلاد، وعن المزرعة في مونتانا، ويخته، والمنزل الذي يبنيه في جزر الكايمان، والمنزل الذي باعه في سان بارتس. لديه الكثير لقوله». ولكن فقط عن نفسه.

فهمت ويتني الفكرة، ونظرت بحذر إلى صديقتها. أدركت أن هناك الكثير من الأمور التي لا تقولها آني وأنها تتصرف بتهذيب. بعدما أصغى إلى حديثهما، نهض فريد ودخل الغرفة الأخرى، فقد بدا له حديثهما حديث فتيات. «أعترف أنه معتدّ قليلاً بنفسه، لكنه فعلاً رجل رائع. أعطى زوجته ثروة بعد الطلاق». لم تكن آني واثقة إن كان هذا الأمر يجعله رجلاً رائعاً، إلا إذا كانت المرأة تريد المال والطلاق. أمّا إذا أرادت التحدث إلى كائن حقيقي، فلن يكون خياراً.

قالت آني بغموض فيما ارتشفت قهوتها: «هذا جيد لها».

«تركته بسبب مدرب الغولف في النادي. كانت هذه ضربة موجعة لأنانيته، وهو يخرج مع الكثير من النساء الشابات منذ ذلك الحين. إنهن يسعين فقط وراء ماله. لكنه يحتاج إلى امرأة حقيقية».

قالت آني بطريقة منطقية: «هل هذا تقييمك أم تقييمه؟ فربما كان يستمتع مع أولئك النساء الشابات». لم تكن تبالي فعلاً.

«إنهن يسعين جميعاً وراء المال. التقيتهن جميعاً. هو يستحق امرأة أفضل». أرادت آني إخبارها أنه لا يستحق ذلك. فهو يستحق ما ناله، وإذا استمر بالتبجّح بماله، فسيجد نساء يسعين وراء ذلك. كل ما يريده الآن ربما هو شراء امرأة. لكنه لا يهمها أبداً. بدا ذلك جلياً من كل شيء لم تقله؛ فقد وجدته مقززاً جداً. عرفت ويتني رأي آني فيه من تعابير وجهها، وقالت: «أنا آسفة. لا أظن أنه مثال الشخص الذي تفضّلينه. أملت أن يكون كذلك. إنه الرجل العازب الوحيد الذي أعرفه، فالجميع هنا متزوجون». ولا تريد آني أياً منهم أيضاً، حسبما رأته في الليلة الماضية. لم ترَ في حياتها قطّ مثل هذه المجموعة من الرجال غير الجذابين، ولم تكن زوجاتهم أفضل حالاً. كل ما تحدثن عنه طوال الليل هو المال.

سألتها ويتني: «هل أخبرته أنك مهندسة معمارية؟». فضحكت آني، وقالت لويتني بنظرة تسامح: «لم يسأل قطّ. تحدث عن كل منازله وممتلكاته. تركته يتحدث. لم يكن مهتماً بي، ولم أكن مهتمة به. من الصعب جداً جمع الأشخاص مع بعضهم. أظن أنه عندما يحصل ذلك، يهبط الأمر عليك. لم ينجح معي قطّ أي موعد مدبّر». عرفت أن نواياها كانت جيدة، حتى لو كانت مضللة بشأن بوب.

قالت ويتني بيأس: «ربما يجدر بك تجربة المواعدة عبر الإنترنت». أرادت فعلاً المساعدة. فهي لا تحب أن ترى آني وحيدة، خصوصاً بعد مغادرة الأولاد. عرفت كم الأمر صعب بالنسبة إليها، وأن الفراغ كبير.

قالت آني: «لا أبحث عن موعد غرامي، أو عن رجل، أو زوج.

أنا جيدة هكذا. ولا أملك الوقت على كل حال. لديّ عشرة مشروعات أساسية في الوقت الحاضر. بصراحة، ويتني، أنا بخير. ليست هذه أولوية بالنسبة إليّ في الوقت الحاضر». وعرفت ويتني أنها لم تكن أولوية منذ وقت طويل.

اعترفت لها ويتني: «لم تكن أولوية بالنسبة إليك طوال ستة عشر عاماً. عليك أن تفكري في مستقبلك. لن تبقي شابة وجميلة إلى الأبد، ولا تريدين أن تبقي بمفردك بالتأكيد». لا يبدو الأمر سيئاً بالنسبة إلى آني، إذا كان البديل بوب غراهام.

ابتسمت لها آني: «الوحدة ليست سيئة جداً. لست تعيسة. أفتقد إلى الأولاد فقط. لكن هذا سيحصل معك أيضاً في يوم من الأيام. فسيكبرون ويغادرون عاجلاً أم آجلاً».

اعترفت ويتني: «أخشى ذلك». فيما عاد فريد إلى المطبخ وسمع ما قالته.

وقال مع ابتسامة عريضة: «أنا لا أخشاه. فما إن يغادر الأخير حتى نستطيع أن نسافر ونفعل كل شيء لم نستطع فعله خلال الأعوام العشرين الماضية. سنتمكن من الذهاب بعيداً من دون القلق عليهم، والتساؤل إن كانوا قد وضعوا الوقود في السيارة، أو تسمموا نتيجة الإفراط في احتساء شراب الشعير، أو أحرقوا المنزل. أتحرق شوقاً حتى يحصل ذلك».

أخبرته آني: «لا أظن أن النساء يفكرن بهذه الطريقة. إنها خسارة كبيرة لنا عندما يغادرون. كان الأولاد أفضل شيء في حياتي طوال كل هذه الأعوام. وفجأة أصبحت وحيدة. حمداً لله أنني لم أترك عملي يوماً، وإلا لكنت تهت فعلاً الآن». فهمت ويتني ذلك تماماً، ولذلك السبب كانت تحاول العثور على رجل لها.

نهضت آني حينها، وذهبت لإحضار أغراضها. ودعت فريد، وشكرت ويتني على الوقت الممتع، ودخلت سيارتها مع تنهيدة ارتياح. فقد كانت تتحرق شوقاً للعودة إلى المنزل. شعرت بالغباء لأنها جاءت

أصلاً، ولأنها ظنت أن هذا الموعد الغرامي سيكون مختلفاً. ذكرت نفسها، مثلما فعلت قبلاً، ألا تعيد الكرّة مجدداً. لكن بعد سنتين، ستنسى ذلك، وسيدفعها شخص ما للذهاب إلى موعد مدبّر. أملت أن تذكر في المرة المقبلة كم كان الموعد سيئاً.

فيما غادرت آني نيوجرسي، كان بول وكايت يحضران الفطور في مطبخ آني. نهضا باكراً وارتديا ملابسهما. أراد بول المغادرة قبل أن تعود خالة كايت إلى المنزل. فهو لا يعرف كيف سيكون رد فعلها على تمضيته الليلة هنا، وأحس بتحفظاتها تجاهه، بالرغم من أن كايت كانت لطيفة في مناقشة الأمر معه. خاب أملهما من تحفظات عائلتيهما، لكنهما لم يتفاجآ.

قال بحزن: «تظن أننا من عالمين مختلفين». رأى ذلك في عينيها، بالرغم من أنها كانت لطيفة معه واستلطفها.

قالت كايت بهدوء: «ستعتاد على الأمر. المشكلة الحقيقية مع آني هي أنها تظن أنني لا أزال صغيرة. فهي تقلق عليّ كثيراً. كنت صغيرة جداً عندما مات والداي، واهتمت بنا وكأنها أمنا. أظن أنه يصعب عليها الآن التخلي عن ذلك والإدراك أننا كبرنا».

قال بول قبل أن ينحني لتقبيل كايت: «تبدو امرأة جيدة. أحبك. أنت امرأة جيدة أيضاً». ابتسم لها، واقترح العودة بعد الظهر. فهو لا يريد أن تعرف آني أنه أمضى الليلة هنا، ولا يريد توريط كايت في المشاكل أيضاً. وكان توقيته مثالياً. فقد غادر الشقة قبل عشر دقائق من وصول آني إلى المنزل. غسلت كايت الأطباق ورتبتها، وكانت ترتب سريرها عندما وصلت آني، وتمنت لها سنة طيبة.

سألت آني كايت: «ماذا فعلت في الليلة الماضية؟». وتساءلت إن كانت كايت قد سمحت لبول بتمضية الليلة في المنزل، لكنها لاحظت أن هذا لم يحصل. فقد كانت غرفتها مرتبة تماماً، ولا يوجد أثر لبول.

قالت كايت: «خرجنا مع أصدقاء. لا شيء مهم. عدت إلى المنزل باكراً». وأنهت ترتيب سريرها، ودخلتا معاً غرفة الجلوس. «ماذا عنك؟ هل استمتعت؟». يبدو أن كايت لم تعد غاضبة منها، وضحكت آني وأخبرتها عن الموعد الغرامي المدبّر.

قالت آني: «أظن أنه الأسوأ لغاية الآن؟ أفضل أن أبقى ناسكة إلى الأبد بدلاً من الخروج مع مثل هؤلاء الرجال». وبدت كايت محرجة من تعليقها.

«آسفة لأنني قلت ذلك. كنت منزعجة». إذ لم تعجبها مخاوف آني بشأن بول. فهو رائع معها، وشخص لطيف جداً، وتريد أن تكون آني متحمسة لعلاقتهما مثلها هي، من دون أي تردد، وهذا كثير لتتوقعه منها، أياً يكن الرجل. لطالما حاولت آني حمايتها. كثيراً، برأي كايت.

«لا بأس، أنت محقة. أنا أعيش مثل الناسكة. بالمناسبة أين بول؟».

قالت كايت بعفوية: «سيأتي لاحقاً». محاولة أن تجعل وجوده طوال الوقت أمر شائع.

قالت آني بصراحة: «هذا جميل. يستطيع البقاء لتناول العشاء إذا أردت». استلطفته آني، وأرادت التعرف إليه بصورة أفضل، إذ يبدو جلياً أنه مهم بالنسبة إلى كايت. لكنها عرفت أيضاً أن التقاليد تتأصل، حتى في جيل جديد وفي بلد جديد. سألت كايت: «أين أخوك؟».

«لا أعرف. لقد اختفى. ربما خرج مع أصدقائه في الليلة الماضية. وأينما يكن، فأنا واثقة بأنه لا يزال نائماً». عادت كايت إلى غرفتها حينها واتصلت ببول وأخبرته أنه يستطيع العودة في أي وقت يريده، وأن خالتها قد دعته لتناول العشاء، فبدا مرتاحاً.

سأل بتوتر: «لم تعرف أنني أمضيت الليلة عندك أليس كذلك؟».

«لا. فقد رتبت كل الأطباق. وصلت إلى المنزل مباشرة بعدما غادرت».

وعدها قائلاً: «سآتي بعد تناول الغداء مع والديّ». ثم استلقت كايت

علـى سريرهـا، وهي تستمـع إلى الموسيقى، وتفكر فيه. إنها تعيش أسعد أيام حياتها.

استيقـظ تيـد وباتـي عند الساعة الثانية من بعـد الظهر، حين اتصل زوجهـا السابـق ليخبرهـا أنه سيُحضر الولدين. قال تيد إنه يريد المغادرة علـى كل حـال. فهـو لا يظن أنه يجـدر بالولدين رؤيته هنـا غالباً، وقد يشكان في أنه أمضى الليلة مع أمهما. وقد أراد إبقاء المظهر ملائماً لهما.

قال تيد فيما أدار الدش: «عليّ الذهاب إلى المنزل». ووقفت باتي قرب باب الحمام تراقبه وتتأمل جسمه بإعجاب.

سألته باتي بعد أن وقفت معه تحت الدش: «لماذا؟ لمَ عليك الذهاب إلى المنزل؟ لماذا لا تبقى هنا معنا؟».

قال بصراحة: «أريد تمضية بعض الوقت مع أختيّ وخالتي». وكان يشعـر أحيانـاً وكأنها تحاول الاستيـلاء على حياته. فهي تريده أن يتواجد هنا طوال الوقت.

سألته: «ألا تفضل التواجد هنا».

قال فيما قبّلها وداعبها بيديه: «أفضل أحياناً التواجد هنا، وأحب أحياناً أخرى التواجد معهما أيضاً». لكن آني وكايت اختفتا بسرعة من عقله. إذ تملك باتي طريقة لإخراج كل شيء من رأسه باستثنائها هي. وأقاما علاقة حميمة تحت الدش. التأثير فوري وقوي، وبالكاد استطاع إبعاد نفسه عنها بعدما انتهيا، فطريقتها الذكية في بسط الصابون عليه جعلته يشعر بالإثارة لوقت أطول. حذرها قائلاً: «لن أخرج من هنا أبداً إذا استمررت في فعل ذلك». فضحكت قائلة:

«هذا هو المطلوب».

أبعـد نفسـه عنها، ونظر إليها، ونطـق بالكلمات التي راودته غالباً: «ماذا تريدين من ولد مثلي؟».

«أنـا مجنونـة بحبك. لم أغرم هكذا قـطّ طوال حياتي». بدت شابة

وضعيفة فيما قالت ذلك.

«لمـاذا؟ لسـت كبيراً كفاية لكي أكـون والداً لولديك. ولست مستعداً لأكون زوجاً. عليّ التخرّج من كلية الحقوق. وأشعر بأنني نضجت بعدما التقيتك، لكن الطريق لا يزال طويلاً أمامي».

«إذاً، خذني معك. سنكبر معاً».

ذكّرها: «لقد كبرت أصلاً. أنت أم، وكنت زوجة... أمّا أنا فمجرد ولد».

«لا أبالـي طالمـا أنـك لي». ثم قالت شيئـاً أرعبه: «لن أتخلى عنك أبداً».

قـال بهـدوء فيما جفـف نفسه، وارتدى ملابسـه: «لا تقولي هذا». كان يشعـر بأنـه عالـق عندمـا تقول أشياء كهذه. وهـو لا يريد أن يكون رهينتهـا، مهمـا كانت مثيرة. أراد أن يكون معها باختياره. ثمة هالة من اليأس المتهور تحيط أحياناً بباتي بحيث يشعر بالتوتر. أصبحت علاقتهما أكثر قوة من أي علاقة أخرى عرفها قبلاً.

قالت فيما نظرت إليه بحزن: «هذا صحيح. سأموت إذا تركتني».

قـال بصرامـة: «لا، لـن تموتـي. لديك ولـدان. لا يمكنك التفكير هكذا».

«إذاً، لا تتركني».

قال بهدوء: «لن أذهب إلى أي مكان. لكن، لا تقولي أشياء كهذه. هذا يخيفني». أومأت برأسها وقبّلته بقوة.

غادر قبل دقائق قليلة من وصول ولديها إلى المنزل، وأوقف سيارة أجـرة لتأخـذه إلى منزل خالته آني. استـدار ولوّح لباتي التي راقبته من النافذة. لم تترك عيناها سيارة الأجرة قطّ إلى أن اختفت.

فـي باريـس، كان جان لوي وليز يخططان لاصطحاب ابنه داميان لتمضية النهار والليلة معهما. تناولا العشاء مع أصدقاء جان لوي في الليلة

الفائتة. وكانت ليز تمضي وقتاً رائعاً منذ وصولها. إذ يملك جان لوي شقة صغيرة وجميلة على الضفة اليسرى، مع مصطبة مطلة على نهر السين. أحبت مراقبة المراكب وتأمل المدينة. فقد كانت عندما تذهب إلى باريس للعمل، تقيم في فندق فور سيزن أو البريستول، لكن المكوث معه ممتع ورومنسي أكثر. وكانت متشوقة إلى لقاء ابنه. فقد كان جان لوي ينوي اصطحابه إلى الحديقة العامة، ووعده بالركوب في عربة تجرها الأحصنة.

كانت ليز تستعد في حمامه القديم المضحك، ذي النوافذ الدائرية، عندما فتحت درجاً للبحث عن لفافة مناديل ورقية جديدة، لأن اللفافة القديمة قد فرغت. وذهلت لدى رؤيتها عدّة أزواج من الملابس الداخلية النسائية وحمالة ثديين سوداء مخرمة. إنها لا تخصها البتة. لا تعرف إذا كانت هذه ذكرى من ماضيه، أو شيئاً أكثر حداثة، لكنها أخرجتها كلها ورمتها على السرير، حيث كان جان لوي يشاهد على شاشة التلفاز مباراة لكرة القدم بين مارسيليا وباريس سان جيرمان.

قالت بعفوية: «وجدت هذه في الحمام». فيما أبعد نظره عن التلفاز ثانية واحدة، سجّل خلالها فريق باريس هدفاً. سمع الجمهور يهتف، فعاود النظر فوراً إلى التلفاز فيما تحدث إليها. رأى الملابس الداخلية المخرمة ملقاة على السرير، وبدا غير منزعج.

قال وهو يبتسم لها: «الآن اكتشفت سري. أرتديها عندما لا تكونين هنا».

قالت وهي تشعر بانقباض في معدتها: «مضحك جداً». إنها لا تغار عادة، لكنهما اتفقا على أن يكونا مخلصين لبعضهما، وأرادت التأكد من أن الاتفاق لا يزال سارياً. «هل تخص هذه الملابس امرأة تعرفها؟». فمن غير المحتمل أن تكون امرأة غريبة قد جاءت إلى شقته وتركت ملابسها الداخلية وحمالة ثدييها في الدرج.

«إنها لفرانسواز ربما. أنا واثق بأنها موجودة هنا منذ أعوام، ونسيتها عندما غادرت. لا أنظر أبداً إلى هذه الأدراج. ارميها بعيداً. إذا

لم تسأل عنها خلال أربع سنوات، فإنها لا تحتاج إليها الآن». فرانسواز هي أم ابنه، وبدا الأمر منطقياً بالنسبة إلى ليز، وابتسمت له فيما رمتها في سلة المهملات تحت مكتبه. لم تبدُ شقته مرتبة، لكنه يحضر امرأة للتنظيف مرة كل أسبوع. غير أن شقته بدت مبعثرة مثل ملابسه.

أبلغته فيما تابعت ارتداء ثيابها، وهي مرتاحة لتفسيره البسيط وغير المعقد: «بالمناسبة، نفدت مناديل الحمام الورقية». كانت تكره مشاعر الغيرة، ومن الجميل معرفة أنه لا يخدعها. لم تكن علاقتهما القصة الغرامية الأشهر في القرن، لكنها ترتيب ملائم لهما معاً.

«ثمة لفافة في مكتبي. في الدرج السفلي». كان وضع مناديل الحمام الورقية في أمكنة غير ملائمة أمراً شائعاً وعادياً بالنسبة إليه. فمهاراته في ترتيب المنزل معدومة. «أعرف أن هذا يبدو جنوناً، لكنني لولا ذلك أنسى أين أضعها».

ارتدت سروالها وكنزتها حينها، وانتعلت جزمة جميلة عالية الكعب، وبدت نحيلة جداً. لفت وشاحاً أحمر اللون حول عنقها، وارتدت معطفاً أسود من فرو الثعلب اشترته من ميلانو. بدت أنيقة جداً للتنزه في الحديقة العامة والركوب في عربة تجرّها الأحصنة، وابتسم لها بإعجاب فيما أوقف التلفاز عن العمل، ونهض عن السرير. كان سعيداً، لقد ربح فريقه. سيصطحبها إلى الغداء في براسري ليب قبل أن يصطحبا ابنه. وكانت ليز متشوقة للقاء الصبي ورؤية أمه. إنها عارضة أزياء ناجحة جداً عاش معها جان لوي لمدة عامين، وبقي على علاقة طيبة معها. انفصلا قبل أن يصبح عمر الصبي سنة واحدة؛ أي قبل أربعة أعوام، وتعرفت إلى الكثير من الرجال بعد جان لوي.

تناولت ليز السلطة في المطعم الشهير في بولفار سان جيرمان، فيما تناول جان لوي وجبة ألمانية دسمة. وعند الساعة الثالثة، كانا أمام المبنى الذي تعيش فيه فرانسواز في شارع جاكوب. إنها في الخامسة والعشرين من عمرها، وبدت وكأن عمرها خمسة عشر عاماً عندما فتحت الباب.

إنها أطول من ليز ووقفت بطولها البالغ ست أقدام حافية القدمين، كانت عيناها خضراوين كبيرتين، أمّا بشرتها فكانت خالية من العيوب، وشعرها أحمر طويلاً. كان شعر داميان بلون شعر أمه، لكنه عدا ذلك كان نسخة عن جان لوي. ابتسم لوالده وهو ينظر إليه بسرور، ثم نظر بحيرة إلى ليز، وعرّفه إليها جان لوي وقال له إنها صديقته. كانت فرانسواز تنظر إليها بالتعبير الفضولي نفسه؛ مثل ابنها. وصافحت يد ليز وسألتهما إذا كانا يريدان الدخول.

كان ديكور شقتها مغربياً، مع مساند جلدية على الأرض، وطاولات منخفضة، وأرائك شهدت أياماً أفضل وكانت مغطاة بشالات ملونة. مهاراتها في ترتيب المنزل كانت مماثلة لمهارات جان لوي. إذ ثمة مجلات، وصور فوتوغرافية، وحقيبة خاصة بعرض الأزياء، وقناني شراب نصف ممتلئة، وأحذية مبعثرة في كل مكان.

بدا داميان ولداً سعيداً فيما ركض لمعانقة والده، ثم قبّل أمه عندما غادروا. نظرت المرأتان إلى بعضهما باهتمام، لكنهما تفوهتا بالقليل. أحست ليز أن فرانسواز لم تكن متحمسة لرؤيتها، لكنها لم تكن منزعجة أيضاً. قال جان لوي إنهما اعتمدا دوماً ترتيبات منفتحة جداً عندما عاشا مع بعضهما، ولم يكونا قطّ مخلصين لبعضهما. أخبر ليز أنها المرأة الوحيدة التي وعدها بالشراكة الأحادية، ويعتبر ذلك تنازلاً هائلاً والتزاماً كبيراً من قبله. فحتى هذا الوقت، لم تكن يوماً الشراكة الأحادية، من قبله أو قبل شريكته، مهمة بالنسبة إليه. آمن بمبدأ عيش اللحظة والتقاط الفرص عندما تأتي. ومازح ليز باستمرار حول مدى أميركيتها، وكم أن الأميركيين متزمتون. لكنها التزمت بقواعدها، فهي لا تريد أن يعاشر صديقها أي امرأة أخرى. ولم تملك قطّ دليلاً يشير إلى أنه يفعل ذلك. وعندما تتصل به في منزله ليلاً في باريس، عندما تكون في نيويورك، يكون بمفرده دوماً. ارتبكت ليز عندما رأته مع والدة داميان عندما التقوا. كانا ودودين ولا شيء أكثر. فقد أخبر ليز منذ البداية أنه بقي وفرانسواز صديقين

جيدين، ووثقت به. فهو لم يكذب عليها قطّ حتى الآن.

ذهبوا إلى بوا دو بولوني، وكان الطقس بارداً، لكنهما ركضا كثيراً ولعبا بالكرة مع داميان. كان ظريفاً جداً، وبذلت ليز جهداً كبيراً للتحدث إليه بالفرنسية، وركبوا هم الثلاثة في عربة يجرّها حصان. بعد ذلك، ذهبوا إلى مطعم لادوريه في الشانزليزيه لتناول الحلويات والشوكولاته الساخنة. أحبها داميان، وحتى ليز استسلمت وتناولت المعكرون مع كوب من الشاي. عادوا بعدها إلى شقة جان لوي، وقدمت ليز لداميان القطار الذي اشترته له. أحبه، وجرب اللعب به، ثم وضع له جان لوي فيلم ديزني في غرفة النوم، باللغة الفرنسية، وتحدثا في غرفة الجلوس بهدوء. كان يوماً مثالياً. أرادت ليز أن تلتقي ابنه منذ وقت طويل، ولم ينجح الأمر إلا الآن. إنها المرة الأولى التي تأتي فيها إلى باريس بهدف التسلية؛ إذ تكون دوماً مشغولة عندما تأتي في تنظيم التقاط الصور، والسفر بحيث لا يبقى لديها أي وقت فراغ.

قال جان لوي بحزن: «أتمنى لو يبقى معي لوقت أطول. إنه ولد رائع، لكنني لا أتواجد هنا أبداً. أو ليس لوقت طويل على كل حال. تسافر فرانسواز كثيراً أيضاً، فتأتي أمها من نيس للاهتمام به، لكنها تفكر في إرسال داميان إليها للعيش معها، بعد أن يبدأ بالذهاب إلى المدرسة الآن. إذ يصعب عليه التنقل بيننا نحن الاثنين، وأمها تعتني به جيداً. كانت فرانسواز صغيرة جداً عندما ولد. اعتقدنا أنها فكرة رائعة عندما حملت، لكن ربما كان يجدر بنا الانتظار. لكنه ما كان ليولد لولا ذلك. أظن أن القدر يتخذ القرارات الصحيحة في النهاية». بدا الأمر غريباً بالنسبة إليها أن يترك جان لوي شيئاً مهماً مثل قرار إنجاب ولد للقدر. فهي لم تشعر لغاية الآن بأنها مستعدة للإنجاب، ولا تتخيل حصول ذلك قبل سنوات عدة. إنها مشغولة جداً في مهنتها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى فرانسواز وجان لوي، لكن يبدو أنهما لا يباليان.

«ألن يشتاق إليكما كثيراً إذا تم إرساله للعيش مع جدته؟». شعرت

بالأسف على الصبي، لكونه مشتتاً بين شخصين مستقلين تماماً أنجباه عندما كانا صغيرين جداً، وبين جدة في مدينة أخرى.

«سيكـون هـذا أفضل لـه، إذ سيجـد عندها استقـراراً أكثر. ولدى فرانسـواز أختـان، في أجاكس ومارسيليا، لـذا سيرى خالتيه وأقرباءه. فنحن لا نملك الوقت لنعرفه إلى أولاد آخرين، إلا في دار الحضانة، أو مركز الرعاية النهارية حيث تأخذه فرانسواز. أنتِ تربيت على يد شخص آخـر غيـر والديكِ، ويبدو أن الأمر لم يؤذِكِ»، قال بطريقة عملية. لكنّ ما لم يره ولم يفهمه قطّ هو الجرح الكبير الذي تركه موت والديها؛ مهما كانـت آنـي رائعـة معهم. فالأمر ليس مماثلاً للنشوء مع أم وأب، وكانت الخسـارة فادحـة لها. والأمر أسوأ ربما إذا قـرر والداك إرسالك بعيداً. فكيف ستشرح ذلك لنفسك لاحقاً؟

«لم نملك الخيار. فقد مات والداي. لكن داميان قد يشعر فعلاً بأنه منبوذ من قبلكما. عانيت كثيراً من خسارة والديّ خلال سنوات المراهقة. وأظـن أننـي لمتهمـا على موتهمـا، بالرغم من أنني أحببـت خالتي كثيراً وكانت رائعة معنا ومثل الأم معي. لكنها ليست أمي، بل إنها خالتي».

ابتسم لها جان لوي فيما أشعل سيجارة جيتان، ثم قال بنبرة واثقة: «سنشـرح لـه الأمر لاحقاً. ليست فرانسـواز مستعدة للتخلي عن مهنتها. فهـي تستطيـع فعل ما تفعله، على هذا المستـوى، لبضعة أعوام إضافية. وسيكـون مؤسفـاً أن تتوقـف الآن. وأنا لا أستطيع تحمّل مسؤوليته. أثق بأنـه سيفهـم». لـم تكن ليز واثقة جداً من شعور داميان لاحقاً تجاه والديه اللذيـن لـم يرغبا في إجراء التعديـلات الضرورية في حياتيهما من أجله، وفكـرا فقـط فـي نفسيهما. رأت نوعاً ما أنهما يعاملانه مثل دمية. وكانت لا تزال ممتنة من أجل التضحيات التي قامت بها آني، لا بل إنها أصبحت أكثر إدراكاً لها الآن. فهي لا تتخيل كيف كانت حياتها لتصبح لو اضطرت إلـى تربيـة ثلاثة أولاد الآن، بالعمر الـذي كانت فيه هي وأخويها عندما صـارت آنـي مسؤولة عنهم وهي فـي السادسة والعشرين من عمرها. لا

تظـن ليـز أنهـا قـادرة على ذلك، ليس الآن أو فـي أي عمر، مما جعلها تعجب أكثر بآني، لكل ما فعلته.

قالـت ليـز بصراحـة: «لا أستطيع فعل ذلـك أيضاً، لكنني لن أنجب ولداً. فأنا لا أريد إفساد حياة شخص آخر».

طمأنهـا جـان لوي: «نحن لا نفسد حياته». وبدا أنه غير مدرك لما يفعلانـه بالصبـي. ثم دخل داميـان الغرفة. فقد انتهى الفيلم وكان جائعاً. وضع جان لوي بعض الجبن والباتيه في طبق له، وفتح علبة من حلوى المعكـرون اشتروهـا بعـد الظهر من محل لا دوريه. بـدا داميان راضياً تمامـاً عـن هـذا. فهو يعيش علـى البيتزا والشطائر حيـن يكون مع أمه. ويملك والده دوماً أشياء أفضل لأكلها. لكنه لا يبدو تعيساً أو سيئ التغذية، ويسهـل التعاطـي معـه. تعلم باكراً كيفية التكيـف مع الناضجين حوله من دون أن يسبـب أي مشـاكل. فـإذا فعل ذلك فسيرسلونه بعيداً. ورأت ليز أن حياتـه صعبـة، وليسـت الحياة التي تريد منحهـا لطفل، أو الحياة التي عرفتها مع خالتها التي كيّفت حياتها من أجلهم، ووفرت لهم طفولة سعيدة وآمنة. إذ تتحدث آني دوماً عن مدى حظها وسعادتها لأنها تولت تربيتهم. وشعـرت ليـز الآن بالامتنـان لها أكثر من أي وقت مضى، وأدركت كم كان صعبـاً عليهـا تحمـل ما حصل معها. وهي واثقة بأنّ الأمر ليس سهلاً على فرانسواز وجان لوي أيضاً. لكن داميان يدفع الثمن. أما هي فلم تدفع الثمن مطلقاً، فقد عاشت طفولة مثالية وفق الظروف. وبالرغم من ذلك، إنها تخاف من الالتزامات طويلة الأمد الآن. لم تخبر قطّ أي رجل بأنها تحبـه، خشيـة أن يموت أو يختفـي إذا فعلت ذلك، ولا تظن أنها أغرمت أصلاً في يوم من الأيام. ولا تزال تطرح السؤال على نفسها بشأن جان لوي. فهي متعلقة به، وتستمتع برفقته، لكن الحب بالنسبة إليها شيء أعمق من هذا، حيث إنه لا عودة عنه. لم تتخلَّ قطّ عن خيارها في إنهاء علاقة أو المغادرة. وهذا هو مدى الالتزام الذي تريده في الوقت الحاضر، إذ إنها لا تتخيل إنجاب ولد منه. وليس حتماً في عمر العشرين؛ مثلما فعلت

فرانسواز. لطالما قال جان لوي إنه يرغب في إنجاب ولد آخر في وقت ما. لكن ليز لا تنوي التطوع لتحقيق ذلك.

لعبت ليز بالورق مع داميان لبعض الوقت، وبقطاره الجديد مجدداً، ثم وضع جان لوي فيلماً آخر. وفي النهاية، نام الولد الصغير صاحب العينين الخضراوين الكبيرتين والشعر الأحمر على سرير والده، ورفعه جان لوي، ووضعه على السرير الضيق الذي حضره له في غرفة بالغة الصغر، حيث يقيم حين يكون هنا. وكانا سيعيدانه إلى فرانسواز في اليوم التالي.

أمضت ليز مع جان لوي سهرة هادئة وهما يتحدثان ويحتسيان الشراب بعد نوم داميان. تحدثا خصوصاً عن الموضة، والمحررين والمصورين الذين يعرفانهم، والسياسات في مختلف المجلات؛ وخصوصاً مجلتها، وعن مهنتيهما. كانا مرتاحين ومتجانسين مع بعضهما، ولديهما الاهتمامات نفسها، ويعرفان العديد من الأشخاص المشتركين، ويعملان في المحيط نفسه. إنه وضع مثالي لهما معاً، وطريقة مثالية لتمضية يوم رأس السنة. استلقت قربه عندما خلدا إلى السرير في تلك الليلة. لم تكن تريد أكثر من هذا، وأحبت البقاء معه في الشقة الصغيرة القديمة في باريس، والشقة الصغيرة في نيويورك. لم يقيما علاقة في تلك الليلة لأن ليز لم تشأ أن يدخل داميان غرفتهما، كما أن هناك حماماً واحداً في الشقة فقط، بالرغم من أن جان لوي طمأنها بأنه لن يسمع أي شيء، وبأنه لا يستيقظ أبداً خلال الليل، لكنها لم تشأ المجازفة، أو أن تسبب صدمة له. فقد شعرت بالمسؤولية تجاهه في أثناء وجوده معهما.

في صباح اليوم التالي، استيقظوا جميعاً في الوقت نفسه، ووقف داميان عند باب غرفة نومهما مرتدياً الملابس نفسها التي ارتداها في اليوم السابق، إذ لم يشأ جان لوي إيقاظه عند محاولة نزع الثياب عنه. وقفز داميان إلى السرير معهما، وسألهما عما سيفعلانه اليوم. فقال له جان لوي إنهما سيعيدانه إلى أمه بعد الفطور، لأنه يتوجب عليه الاستعداد مع

ليز للعمل في صباح اليوم التالي، وأمامهما الكثير من الأشياء لتحضيرها.

قال داميان بسعادة: «ستأتي جدتي الليلة. ماما ذاهبة غداً إلى لندن للعمل، وستغيب خمسة أيام». كان يعرف البرنامج، وبدا سعيداً لأن جدته قادمة. ثم شرح لليز: «نتناول البوظة كل يوم عندما تكون جدتي هنا». فانفطر قلبها حزناً عليه. إذ لا تبدو البوظة كافية للتعويض عن الوالدين يتواجدان نادراً، ويهتمان بنفسيهما فقط عندما يتواجدان. أملت أن تعوّضه جدته عن حنان والديه قدر المستطاع.

حضرت ليز التوست مع المربى لهم جميعاً، وسلقت البيض لداميان، فيما حضر جان لوي القهوة بالحليب، وأعطى ابنه القليل منها أيضاً. قدم القهوة في أوعية، مثلما يفعلون في المقاهي القديمة. كان الطعم لذيذاً، ورسم داميان شارباً من الحليب فوق شفتيه عندما احتسى الشراب اللذيذ. وشربت ليز كل حصتها.

عادوا إلى شقة فرانسواز مغربية الطراز في شارع جاكوب عند الساعة الحادية عشرة، وكان داميان مسروراً برؤيته أمه، بالرغم من أنه بدا حزيناً عندما ودّع والده. فشرح له جان لوي أنه سيكون في باريس لمدة أسبوعين، وأنه ينوي أن يراه مجدداً، وبدا داميان سعيداً بذلك. بدا جلياً أنه يحب والده.

كان هناك رجل في الشقة عندما وصلوا إلى هناك، وبدا صغيراً جداً بالنسبة إلى ليز، بحيث لم يكن عمره يتعدى تسعة عشر عاماً. وتعرفت إليه بعد دقائق قليلة. إنه عارض أزياء بريطاني تستخدمه مجلة فوغ كثيراً في الآونة الأخيرة، وكان لطيفاً جداً مع داميان عندما دخلوا. تحدث إليه مثلما يتحدّث ولد إلى ولد آخر، وبدا أن داميان يعرفه. اسمه ماثيو هاميش، وجان لوي يعرفه أيضاً. بدا منزعجاً قليلاً بسبب ذلك بعدما غادرا. الأمر الذي فاجأ ليز. وجعلتها التعليقات التي أصدرها بشأن العارض البريطاني الشاب تظن أنه غيور.

سألته فيما ابتعدا عن مبنى فرانسواز: «هل تغار منه؟».

«طبعاً لا. لا أهتم أبداً». كان ماثيو مستلقياً على الأريكة وهو عاري الصدر، ومرتدياً سروال جينز، وحافي القدمين، وبدا وكأنه قد خرج للتو من تحت الدش عندما وصلوا. «أظن أنه من الحماقة جعل الأشخاص يدخلون حياة داميان ويخرجون منها، فيما هم غير مهمين بالنسبة إليها».

سألت ليز باهتمام: «وكيف تعرف أنه غير مهم بالنسبة إليها؟». بدا حتماً غيوراً عليها. كانت فرانسواز لبقة مع ليز أكثر مما كان جان لوي مع العارض الشاب. فهو بالكاد تحدث إليه. أمّا فرانسواز فشكرتها على الاهتمام بداميان، وكانت لطيفة في لقائها الثاني أكثر من اللقاء الأول.

أجاب جان لوي بصرامة نوعاً ما: «هذا ليس أسلوبها». وغيّر الموضوع. لكن ليز لاحظت أنه منزعج لبعض الوقت. استرخى أخيراً عندما عادا إلى شقته. كان يجدر بهما إجراء اتصالات من أجل جلسات التصوير التي ستتم في صباح اليوم التالي، وأسفت ليز لأنهما لن يعملا معاً. فجلسة التصوير عندها تتمحور حول مجوهرات مهمّة؛ وكانت تحضر لها منذ أشهر. فيما سيتولى هو تصوير غلاف عدد شهر أبريل لمجلة فوغ الفرنسية.

نزلا إلى مطعم صغير مجاور لتناول الحساء والسلطة عند العشاء، وعندما عادا إلى شقته بعد ذلك، أقاما علاقة. يبدو أن توتره بسبب فرانسواز والعارض البريطاني قد اختفى مجدداً. وأدركت ليز أنه متملك فقط. ما من أحد يحب أن يواجه محبوبه السابق حبيباً آخر؛ حتى لو كانت العلاقة منتهية. وأدركت أن انفتاحهما على بعضهما، خصوصاً بسبب داميان، فرنسي محض. لكن، على كل حال، كانت معنويات جان لوي جيدة عندما خلدا إلى السرير في تلك الليلة، وناما بين ذراعي بعضهما. ضبط جان لوي المنبه على الساعة الخامسة فجراً، إذ عليهما التواجد في مكاني التصوير عند الساعة السادسة. وفيما كانت ليز تحاول النوم، وجدت نفسها تفكر في داميان. لا تعرف السبب، لكنها لم تستطع إخراجه من عقلها. شعرت بالألم وبالحزن عليه بسبب الحياة التي يعيشها،

فهو يستحق أكثر مما يناله. وجعلها ذلك تتمنى لو أنها تبقى مع جان لوي لوقت طويل. ومن يعرف، قد يفعلان ذلك ربما. لغاية الآن، كانت أيامهما في باريس مثالية.

الفصل الحادي عشر

كانت ليز إحدى أولئك المحرّرات الدقيقات اللواتي يحاولن استباق كل مشكلة ممكنة. فهي تكره المفاجآت، خصوصاً المفاجآت السيئة، وتفعل كل شيء لتفاديها. لكن، بالرغم من كل تحضيراتها الدقيقة، توجب عليها مواجهة عشرات المشاكل المعقدة في موقع التصوير في اليوم التالي. فقد كان من المقرّر أن يصوّروا في ساحة الفاندوم، وأول خطب كان هطول المطر. لذا، حلّوا المشكلة بأن نصبوا خيمة كبيرة فوق العارضات، ووجهوا إليهنّ ضوءاً اصطناعياً. واحتاجوا إلى وقت أطول لإعداد مكان التصوير، لكن جرى تدبر الأمر. وجعلوا السخانات تعمل لمواجهة البرد القارس. لكن إحدى العارضات قالت إنها ستمرض في هذا الجو، ولم ترغب في العمل.

كانت الملابس في جلسة التصوير هذه ثانوية، وقد اختارت مع منسّقة الأزياء مجموعة من الفساتين السوداء والبيضاء البسيطة لمصمم أميركي، علق اثنان منها في الجمارك الفرنسية، ولم يتم التمكن من تخليص معاملاتهما، وتوجب عليهم الاكتفاء بما لديهم. وقامت منسّقة الأزياء باستبدال أحد الفستانين بقميص أبيض رائع، فنجح الأمر. كان التركيز الأساسي للتصوير على المجوهرات التي اختارتها ليز، وكانت هذه أسوأ مشكلة لديهم. فكل مصممي المجوهرات الذين عملت معهم أرسلوا لها ما اختارته، لكن أحد كبار مصمّمي المجوهرات استبدل عدداً من القطع، ولم تعجبها. اتصلت به على الفور، فاعتذر منها لأنه باع القطع التي اختارتها، ولم يخبرها قطّ. والأسوأ من ذلك أنه مصمم في روما ولا يمكن العودة إليه للعثور على شيء آخر. أسرعت إلى اثنين

مـن مصممـي المجوهـرات الذين تعمل معهم فـي باريس خلال استراحة التصويـر، لكنهـا لـم تعثر هناك على أي شيء يعجبها، وبقيت بحاجة إلى ثـلاث أو أربـع قطـع لجلسة التصوير. إنه التوتـر الذي تكرهه، وإنما لا يمكن تفاديه أحياناً.

قالـت ليـز للمنسقة الرئيسة: «كان يجدر بـي قراءة طالعي اليوم». لـم تعـرف ماذا تفعل. أعادت تنظيم المجوهرات في العديد من اللقطات. لكن، كيفما أعادت الترتيب، بقي هناك نقص؛ وهذه مشكلة كبيرة. فرئيس التحرير في نيويورك لن يبالي إذا مرضت عارضة، أو علق فستانان في الجمارك، أو تم بيع أربع قطع رئيسة من المجوهرات التي كانوا ينوون تصويرهـا، فـكل ما يهمّه هو الحصول على الصور المطلوبة. جلست ليز بهدوء على كرسي قرب مكان التصوير وأغمضت عينيها، محاولة إيجاد حـل. فهـي بارعـة عادة في إيجاد الحلول، لكنها لم تتوصل إلى أي شيء هذه المرة. اقتربت منها إحدى مساعدات التنسيق بعد دقائق قليلة، فلوّحت لهـا ليـز للابتعـاد. إذ لم تكن تريد أن يزعجها أحـد في الوقت الحاضر. واتصـل بهـا جـان لوي أيضاً في أثناء استراحة الغداء عنده، فأخبرته أنها منزعجـة جـداً، وأنها ستعاود الاتصال بـه. قال إن جلسة التصوير عنده ممتـازة، ممـا أزعجها أكثر. فلديها مشاكلها الخاصة في الوقت الحاضر. وفيمـا أوقفـت هاتفهـا الخلوي عـن العمل، اقتربت منهـا المساعدة الشابة مجدداً.

«أنـا آسفـة ليز، أعرف أنك مشغولة. لكن أليساندرو دي جيورجيو هنا».

قالـت ليـز مـن بين أسنانهـا المطبقـة: «اللعنة». إنه أحـد مصممي المجوهـرات المهميـن الذيـن تستخدم قطعهم، وآخـر ما تريده في الوقت الحاضر هو مصمم مجوهرات مزعج يريد التأكد من أن عمله هو الأكثر أهمية في جلسة التصوير. بعض مصممي المجوهرات يكونون نيقين جداً، ولا تحتاج إلى أي منهم ليخبرها بما يجب عليها فعله، أو يحاول إغراءها

بالـكلام المعسـول للحصول على لقطة أفضل. «هل يمكنك القول له إنني لسـت هنـا؟». لم يكن قد سبـق لها أن التقته شخصياً قطّ، فقد تعاملت معه عبر البريد الإلكتروني، وتم إرسال كل قطعه الكبيرة من روما مع حراس مسلحين.

قالـت المساعـدة الشابة بنبـرة معتذرة: «أعتقد أنه يعرف أنك هنا». كانـت مذعـورة ومتخرجة من الجامعة للتـو. وكان هذا العمل أول عمل كبيـر لهـا. وكانـت تعرف شهرة ليز كمحبة للكمال، وبما أن كل شيء لم يحصل كما يجب هذا الصباح، فقد خافت كثيراً أن ينفجر غضب ليز عليها. الموضـة عمـل شديـد التوتر، وحين يحصل خطب فـي جلسة التصوير، يـزداد التوتـر حتماً. إنها فـي الحضيض. نظرت إليها ليز بانزعاج وإنما بتهذيب.

«لا أملك الوقت للتحدث إليه في الوقت الحاضر. فأنا أحاول معرفة ما سأفعله بسبب القطع الثلاث التي لا أملكها، أو الأربع تحديداً».

«هذا ما يريد التحدث إليك بشأنه. قال إنه جاء إلى باريس على كل حال لمقابلة زبون مهم، ويحمل معه عدداً من القطع التي لم تريها. جاء إلى موقع التصوير، وأخبرته بما حصل، وتساءل إذا كنت تودين رؤية ما لديه». حدقت إليها ليز بذهول وانفجرت في الضحك.

«أيـن هـو؟». أشارت الفتـاة الشابة إلى رجـل أشقر طويل يرتدي بذلـة كحليـة، ويضع ربطة عنق، ويحمل حقيبة كبيرة. وكان محاطاً من الجانبيـن بحارسيـن مسلحيـن. كان ينظر إليها مباشـرة، وابتسامة حذرة مرتسمة على شفتيه. وفيما كان يقترب منها، بدا مثل الصور الفوتوغرافية التي رأتها له، وكان لائق المظهر.

سألها بهدوء: «الآنسة مارشال؟». فيما وقف الحارسان خلفه مباشرة لاتخاذ أي خطوة في حال تعرض لاعتداء. «فهمت أنك تواجهين مشكلة. سألتقـي زبونـة بعد ظهر اليوم، وحيـن عرفت أن جلسة التصوير تتم هنا فكـرت فـي المـرور. ستغضب زبونتـي إذا أحضرت لها عـدداً أقل من

القطع، لكنها لن تعرف أبداً ما لم تره قطّ. ويمكنك إرسالها لي لاحقاً. سوف أقول إنه حصل تأخير في المحترف عندي؛ إذا اخترت بعض القطع التي كانت تهمها بالتأكيد».

قالت ليز بامتنان: «شكراً لك، إنني حقاً في ورطة». وكانت معجبة كثيراً بتصاميمه.

شرح قائلاً: «أفضل ألا أريك القطع هنا. أنا واثق بأنك تفهمين. إذا كانت لديك بضع دقائق، فأنا أملك جناحاً في فندق الريتز. يمكننا الذهاب إلى هناك». كان الفندق على مسافة عشرين ياردة فقط. نظرت إليه ليز بعينين كبيرتين، فهو يتحدث الإنكليزية بطلاقة، مع لكنة إيطالية خفيفة.

شعرت وكأنها متشردة وهي تدخل فندق الريتز معه، ببذلته المثالية. كانت ترتدي سروالاً ضيقاً وكنزة رياضية، ومعطفاً، وتنتعل حذاء رياضيًا. وللمرة الأولى في حياتها لم تملك حتى حذاء عالي الكعب في حقيبتها، ولم تزعج نفسها حتى بتمشيط شعرها عند الساعة الخامسة صباحاً. فقد ربطته سريعاً بمشبك، وشربت فنجاناً من قهوة جان لوي، وخرجت من الباب مسرعة. وبدت الآن في فوضى تامة.

تأثرت حين رأت أن أليساندرو دي جيورجيو يملك جناحاً كبيراً في فندق الريتز من جهة الفاندوم. وهو يستخدمه لمقابلة الزبائن الخصوصيين. ومن دون تردد، فتح قفل الحقيبة، وأخرج منها دزينة من قطع المجوهرات الرائعة المصنوعة من الماس، والياقوت، والزمرد، والسفير. كانت القطع أكبر وأجمل من تلك التي أرادت تصويرها، والتي صنعها مصمم المجوهرات الآخر، ويعني ذلك أنه سيكون هناك عدد أكبر من مجوهرات دي جيورجيو على الصفحات، لكنها لا تملك خياراً في هذه المرحلة، وكانت المجوهرات من أجمل الأعمال التي رأتها.

«هل أجرؤ على سؤالك لمن هذه القطع؟». كانت مذهولة، فقد بدت قطع المجوهرات عملاقة.

قال بحذر: «لزوجة أمير. هل تفيدك؟». لم يذكر اسم الأمير.

قالت وهي تنظر إليه بدهشة: «عظيم! يبدو الحظ وكأنه قد بدأ يحالفني».

«خذي ما تريدينه، وأي شيء تحتاجين إليه. سأقدم لزوجة الأمير اعتذاري». وكان التقاط الصّور لهذه المجوهرات دعاية جيدة له أيضاً. فهو مشهور في الولايات المتحدة، لكنه مشهور أكثر في أوروبا. إنه الجيل الثالث من مصممي المجوهرات الذين يحملون هذا الاسم. فقد بدأ جده العمل، ولا يزال والده حياً ويعمل في هذا المجال. أليساندرو في الثامنة والثلاثين، وهو يصمم لوالده منذ خمسة عشر عاماً. سألت ليز عنهم بدقة من أجل جلسة التصوير، وأحبت كون العديد من التصاميم فريدة من نوعها، وأن عملهم محترم كثيراً في أوروبا. فهم يملكون متاجر في روما ولندن وميلانو، ولكن لا يوجد لديهم أي متجر في باريس. وهو يأتي بنفسه إلى باريس لرؤية الزبائن، وصدف أنه موجود هنا اليوم.

اختارت ليز أربعاً من القطع الكبيرة، وأومأ أليساندرو برأسه حين اختارتها. فقد لاحظ الاتجاه الذي تعتمده، والطلة التي تريدها، واقترح عليها قطعة خامسة رأى أنها تفيدها أيضاً. وافقته الرأي وأضافتها إلى القطع الأخرى. وضّب خياراتها في علب، وطلب من أحد الحراس العودة معها إلى مكان التصوير، وبعد عشر دقائق من دخولهم الفندق، خرجوا مجدداً، وكانت ليز تحمل كيس تسوق عاديًا من فندق الريتز مليئاً بكل ما تحتاج إليه، مع قطعة إضافية أيضاً. وقفت تنظر إليه عندما عادوا إلى موقع التصوير، ولم تعرف ماذا تقول. لقد أنقذها، لكنّ قول هذا لرجل محترم مثله أمرٌ فظّ. إنه مهذب جداً.

«لقد أنقذت حياتي. سأعيد لك كل شيء الليلة أو غداً على أبعد تقدير». كادت تبكي حين قالت ذلك، وابتسم لها.

أجاب بهدوء: «خذي وقتك. أنا باقٍ هنا لثلاثة أيام. سأرى عدداً من الزبائن في باريس».

سألته: «هل تذهب إلى نيويورك؟». شعرت بأنها تدين له بشيء ما على مساعدته الكريمة.

«ليس كثيراً. فنحن ننجز معظم عملنا في أوروبا. لكنني أذهب إلى هناك بين الحين والآخر. فأنا أحب نيويورك كثيراً». بدا أصغر سناً فيما تحدث إليها. كان جدياً جداً، ولائق المظهر، بحيث ظنت في البداية أنه أكبر سناً. لكنها تذكرت الآن أنه أكبر منها فقط بعشر سنوات.

«حسناً، حين تذهب إلى نيويورك في المرة التالية فأنا أرجو أن نلتقي. أدين لك بغداء أو عشاء أو أي شيء».

قال بطريقة رسمية: «أنا مسرور بمساعدتك. أتمنى أن تتم جلسة التصوير على ما يرام آنسة مارشال».

«ستتم هكذا الآن؛ بفضلك». ابتسمت له، ولم يواجه مشكلة في إدراك أنها فتاة جميلة بالرغم من الشعر غير الممشط، وملابس العمل.

قال: «أهلاً بك». ثم ابتعد وذهب إلى سيارة مرسيدس فيها سائق مع حارس مسلح واحد، وترك الحارس الآخر معها لأنها تملك بعض قطعه المهمة الآن.

بعد نصف ساعة، عادوا إلى العمل. كانت معنوياتها أفضل بعدما عرفت أنها تملك ما تحتاج إليه، وتحمس المصور كثيراً عندما رأى القطع. إنها أجمل بكثير من تلك التي وعدهم بها مصمم المجوهرات الآخر.

عند الساعة السادسة كانوا لا يزالون يعملون عندما مرّ جان لوي. بدت ليز متوترة، ولا تزال متأثرة بمشاكل الصباح، لكن الأمور تجري على ما يرام.

همس لها: «هل أنهيت؟». ووقف خلفها، فاستدارت بذهول وابتسمت له.

«أحتاج إلى ساعة أخرى تقريباً». كانت تشعر بالصقيع حتى العظام، لكنها لم تبالِ. فقد كان الطقس مريعاً، لكن التصوير رائع.

«ماذا فعلت بشأن المجوهرات التي لم تصل إليك؟».

«هبط أحدهم بالمظلة، وهو يحمل حقيبة مجوهرات وأعطاني قطعاً أفضل». ابتسمت له ابتسامة عريضة، وهي لا تزال متفاجئة من حظها الجيد.

بدا جان لوي مذهولاً وهو يقول: «ماذا يعني ذلك؟». كان يعرف أن ليز بارعة في حل المشاكل، لكن هذه ورطة كبيرة لكي تخرج منها.

«مثلما قلت لك. أحد مصممي المجوهرات الذين نتعامل معهم صودف وجوده في باريس، ومرّ إلى هنا. كان يحمل حقيبة مليئة بالمجوهرات الرائعة لأميرة مهمة، وأعطاني خمس قطع منها لجلسة التصوير. إنها أفضل مجوهرات رأيتها في حياتي، أفضل مما اخترناه قبلاً، وأكبر».

قال وهو يعانقها: «أنت فاتنة، وتعيشين حياة رائعة». شعرت فعلاً أنها محظوظة اليوم. قال لها: «سألتقي صديقاً لي في الريتز لاحتساء الشراب. تعالي عندما تنهين عملك وسنذهب إلى المنزل». اختفى بعدها في فندق الريتز، وعادت ليز إلى العمل.

تبين أنه مرّت ساعتان قبل أن تنهي العمل، وقاموا بتصوير كل مجوهرات دي جيورجيو، ثم أعادتها إلى الحارس المسلح الذي كان معها طوال فترة بعد الظهر، ودوّنت ملاحظة سريعة لأليساندرو دي جيورجيو تشكره فيها مجدداً، ووعدته بأن ترسل له نسخاً عن الصور. ثم التقت جان لوي في الريتز. كان يحتسي الشراب بسعادة مع صديق قديم له. ذهبا معاً إلى المدرسة، وبدا سيئ المظهر مثل جان لوي. وكانا يبدوان كتوأم. شرح لها جان لوي أنه فنان، ويملك استوديو في مونتمارتر كان ملكاً لتولوز لوتريك سابقاً. وتوجّب عليها الاعتراف لنفسها بأنها تبدو هذه المرة غير مرتبة مثلهما تماماً. لذا، كانت تتحرق شوقاً للذهاب إلى المنزل، والاستمتاع بالدفء، والحصول على حمام ساخن.

عادا إلى منزله عند الساعة العاشرة مساء، وتوجب على ليز الاستيقاظ عند الساعة الخامسة مجدداً من أجل جلسة التصوير الثانية. سيستخدمون ساحة الكونكورد كموقع للتصوير هذه المرة، وقوس النصر

في اليوم التالي. إنه أسبوع حافل بالنسبة إليها، أمّا جان لوي فلديه إجازة في اليوم التالي، وينوي تمضيتها مع الأصدقاء.

فيما غاصت ليز في المغطس، وأغمضت عينيها، فكرت مجدداً في الصور التي تم التقاطها، والمجوهرات التي تم استخدامها، والعارضات وملابسهن. وفيما مرّ فيلم النهار في رأسها، شعرت بالرضى عن العمل. كانت لا تزال تفكر في ذلك، وهي قلقة بشأن اليوم التالي، عندما نامت في سرير جان لوي الذي ألقى نظرة سريعة عليها وابتسم فيما ضغط على زر المصباح فأصبحت الغرفة مظلمة. لم يعرف قطّ أحداً يعمل بكدّ مثل ليز، ولا يريد ذلك لنفسه حتماً. فهناك عدد قليل من الأشخاص الذين يرغبون في ذلك.

لم تكن أيام آني الأولى في العمل بعد الإجازة أفضل كثيراً من أيام ليز. إذ بدا أن هناك فوضى في كل مواقع البناء، وغادر المقاول الأكثر أهمية عندها، وحصل تأخير في كل مشروعاتها. بعد بداية السنة الجديدة، أصبحت الحياة مثل الجحيم. كانت متوترة جداً بحيث لم تملك الوقت الكافي للتوقف وتناول الغداء طوال الأسبوع. كان بعد ظهر يوم الخميس عندما عادت إلى مكتبها في ساعة مقبولة. إذ كان لديها بعض الخرائط التي تحتاج إلى إحضارها، بالإضافة إلى ترتيب ملفاتها. كما يجدر بها الإجابة عن عشرات الاتصالات والرسائل الإلكترونية. طلبت من مساعدتها أن تعدّ لها فنجاناً من القهوة، وانكبت على العمل. قررت فتح البريد المكدّس على مكتبها أولاً. كانت الرسالة الثانية التي فتحتها من جامعة كايت، وشعرت بالذعر فجأة، ظناً منها أنها نسيت دفع قسطها. إذ تتولى مسؤولة المحاسبة الاهتمام بهذا عادة، لكن يحتمل أن الشيك قد ضاع في البريد. إلا أن قلبها توقف عندما رأت ما تقوله الرسالة. فهي تؤكد أن كايت قد انسحبت من الجامعة لمدة فصل كامل. وكان أسبوع آني متوتراً جداً لغاية الآن بحيث شعرت بغضب شديد ما إن قرأت الرسالة. ما

الذي تفعله كايت؟ نسيت آني كل شيء آخر، واتصلت بكايت عبر الهاتف الخلوي وهي غاضبة بشدة.

صرخت عبر الهاتف على غير عادتها: «أريد أن أراك في الشقة الليلة». وكانت نادراً ما تفقد صبرها مع أولاد أختها. فهي تفضل أن تشرح الأشياء وتكون منطقية. لكن ما فعلته كايت ليس منطقياً. وهي لا تريدها أن تترك الجامعة، أضف إلى ذلك أنها لم تطلب الإذن منها. لكن، بما أن كايت في الحادية والعشرين، فهي ليست مضطرة إلى أن تأخذ إذناً.

سألت كايت وهي تبدو مذهولة: «ما المشكلة؟».

قالت آني بصرامة: «سأناقش المسألة معك عندما أراك. ليس عبر الهاتف. سأكون في المنزل عند الساعة الثامنة. كوني هناك». بعد ذلك، أنهت المكالمة، من دون انتظار جواب كايت. كانت آني منزعجة جداً وبدأت ترتجف. فهي لم تربّهم طوال ستة عشر عاماً، ولم تعلّمهم كل شيء ممكن، وتعطهم كل الفرص التي أرادها والداهم لهم لكي ينسحبوا أخيراً من الجامعة. كايت فنانة موهوبة، وتريد منها آني أن تتابع دراستها الجامعية وتحصل على الشهادة.

أنهت آني قراءة البريد الموجود على مكتبها في وقت قياسي، وأخذت الخرائط التي أرادت تعديلها إلى المنزل. كانت شاردة الذهن طوال فترة بعد الظهر بحيث لم تستطع التفكير جيداً. كانت المصابيح مضاءة عندما وصلت إلى المنزل، وكايت هناك تستمع إلى الموسيقى. وخرجت من غرفتها ما إن سمعت الباب الأمامي يغلق، ووقفت وهي تنظر إلى خالتها. بدت آني غاضبة بوضوح. خلعت معطفها، وعلقته، ثم دخلت غرفة الجلوس، ولحقت بها كايت. جلست آني ونظرت إليها بمزيج من خيبة الأمل والغضب. خيبة الأمل هي التي هزّت كايت، أكثر من الغضب.

بدأت آني كلامها: «بالله عليك فيم تفكرين؟ تلقيت رسالة من جامعتك. لم تسأليني حتى. كم هذا مقلل للاحترام! وما الذي تنوين فعله

الآن من دون شهادة؟ العمل في ماكدونالدز؟».

حاولت كايت إبقاء صوتها هادئاً. فقد أرادت أن تثبت لآني أنها راشدة، وليست طفلة. فلديها الحق باتخاذ قرارتها. «تلقيت عرضاً للعمل أريد تنفيذه خلال فصل واحد. ظننت أنني أستطيع فعله بمثابة مشروع فني أو شراكة، لكنهم لم يسمحوا لي. لذا، انسحبت من الجامعة لمدة فصل. ليست مسألة مهمة جداً. سأعود إلى الجامعة في الفصل التالي».

قالت آني وهي لا تزال منزعجة من الطريقة التي اعتمدتها كايت: «أي نوع من العمل؟». لم تخبر خالتها أيّ شيء خلال العطلة بشأن الانسحاب من الجامعة. وكان في وسعها على الأقل مناقشة المسألة معها.

قالت كايت مجيبة عن السؤال: «إنه عمل جيد. أريد إنجازه».

«ما هو؟». كانت آني قاسية وهي تسألها ذلك؛ علماً أنها تكون في هذه الحال عندما تغضب، وهذا نادر جداً. فكلّ ما أرادته هو الأفضل لكايت.

قالت كايت بهدوء: «سأضع التصاميم لمحل للوشوم». وحدقت إليها آني مذعورة.

«هل أنت مجنونة. تتوقفين عن الدراسة في جامعة برات، إحدى أفضل جامعات التصميم في البلاد، للعمل في محل للوشوم؟ قولي لي من فضلك إنك تمزحين».

«أنا لا أمزح. إنهم ينجزون أعمالاً فنية رائعة. أعرف أنني أستطيع إنجاز بعض الابتكارات المبدعة هناك. ثمة عدد من الفنانين البارزين الذين كانت انطلاقتهم من محال الوشوم».

«لو كنت لا أحبك كثيراً لقتلتك. كايت، لا يمكنك فعل هذا. هل تأخر الوقت للتسجيل مجدداً في الجامعة لهذا الفصل؟».

«لا أعرف، ولا أريد ذلك. سأعمل في محلّ الوشوم، وقد بدأت يوم الثلاثاء، وأحب العمل هناك. كما أنني تخليت أصلاً عن غرفتي في مساكن الطلاب، بدءاً من عطلة نهاية هذا الأسبوع».

كان صوت آني جليدياً وهي تقول: «أتوقع إذاً أن تعيشي في

المنزل». كانت غاضبة ومتوترة، بحيث بالكاد استطاعت الكلام.

قالت كايت بتهذيب: «أنوي فعل ذلك على كل حال. أخبرتك، سأعود إلى الجامعة في الفصل التالي. أريد فعل ذلك لبعض الوقت فقط. إنه عمل إبداعي جداً».

«هلاّ أخبرتني من فضلك ما هو العمل الإبداعي في الوشوم الموضوعة على مؤخرات الناس؟ إنه الشيء الأكثر جنوناً الذي سمعت به». لطالما كانت كايت مختلفة عن الآخرين. إنها أكثر استقلالية، وموهوبة أكثر، وأكثر فردية وشجاعة، ولا تخاف أبداً من تجربة أفكار جديدة. لكن هذا التصرف أحد أسوأ الأفعال التي قامت بها برأي آني. لطالما كانت داعمة لإبداع ابنة أختها، لكنها تخطت الحدود هذه المرة.

سألت آني بحذر: «هل لبول أي علاقة بهذا؟». وهزّت كايت رأسها والدموع تتلألأ في عينيها.

«لا. لقد غضب مني أيضاً. يظن أن هذا غباء، وغير محترم، وليس ملائماً لامرأة».

«هذا صحيح». لم تتخيل آني نفسها وهي تقول إن ابنة أختها فنانة وشوم، ولم تستطع أن تتخيّل رأي والديها في ذلك. إنه أمر لا يمكن التفكير فيه. قالت آني، وقد هدأت قليلاً: «لقد خاب أملي فيك كايت. أتوقع منك أن تنهي الجامعة. ليس من أجلي، وإنما من أجلك. أنت بحاجة إلى الشهادة لتفعلي شيئاً مهماً بفنك، أو حتى للحصول على وظيفة جيدة».

أجابت كايت بمنطق: «أعرف». فيما انهمرت الدموع على وجنتيها. فهي تكره تخييب أمل الخالة التي تحبّها كثيراً، والتي تعتبر احترامها لها مهماً جداً. «أردت فقط فعل شيء مختلف وأكثر إبداعاً، ولطالما أحببت الوشوم».

قالت آني وهي تحيطها بذراعها: «أعرف. لكنني أريد منك أن تنهي الجامعة. ومحل الوشوم ليس مكاناً لائقاً للتواجد فيه. فالناس مريعون هناك».

«أنت لا تعرفين ذلك. وهذا لا يهمني ولا أهتم على كل حال. أريد فقط ممارسة بعض الفنون، ويستطيع شخص آخر إنجاز الوشوم». ولم تخبر خالتها أنهم يعلمونها فعل ذلك أيضاً.

سألت آني: «هل يعرف تيد وليز بشأن ذلك؟». وتساءلت إن كانت هذه مؤامرة أم أنها مجرد فكرة من أفكار كايت المجنونة. إلا أن كايت هزّت رأسها نافية وهي تقول: «لن يفرحا بهذا أيضاً». وفيما قالت ذلك، رفعت كايت ذقنها متحدية، مثلما كانت تفعل عندما كان عمرها خمسة أعوام. لطالما كانت الأصعب مراساً بينهم، ولا تخشى أبداً المضي قدماً في أفكارها، أو تحمل العواقب عندما تفعل ذلك.

«عليّ أن أفعل ما يجعلني سعيدة، وما هو ملائم لي، وليس فقط ما هو ملائم لكم جميعاً. أريد أن أتعلم إنجاز الوشوم جديدة. إنه نوع من الفن، حتى لو كنت لا تحبينه. وبعد ذلك، سأعود إلى الجامعة». بدت عنيدة ومتحدية فيما قالت ذلك.

قالت آني بصرامة: «سأجبرك على ذلك». ثم مسحت الدموع عن وجنتي كايت، وتحدثت إليها بهدوء أكبر. «أتمنى لو لم تكوني مستقلة إلى هذا الحد، ولو أنك تصغين إليّ بين الحين والآخر».

«أنا أصغي إليك. لكن، عليّ أن أفعل ما أراه صحيحاً أيضاً. فأنا في الحادية والعشرين من عمري، ولست طفلة».

قالت آني بصراحة: «ستكونين دوماً طفلة بالنسبة إليّ». إنه الحديث الذي أجرته مع ويتني قبل شهر، بشأن إطلاق العنان لهم، وتركهم يرتكبون أخطاءهم، ويعيشون حياتهم. فهي لا تستطيع حمايتهم إلى الأبد.

سألت آني: «أين هو هذا المكان؟». وأخبرتها كايت. كان في منطقة مريعة، وجعلتها مجرد فكرة تواجدها هناك تشعر بالذعر. ماذا لو حصل لها شيء ما؟ أو أصيبت بالأيدز من الإبر؟ توسلت إليها آني: «أرجو أن تتخلي عن هذه الفكرة. إنها فعلاً إحدى أسوأ أفكارك».

قالت كايت بإصرار قل نظيره: «لن أتخلى عنها. أنا راشدة، ولديّ

الحق في اتخاذ هذا القرار».

قالت آني بحزن: «أظن ذلك. لكن، ليست كل القرارات التي تتخذها جيدة».

قالت كايت بهدوء: «سنرى». وكانت مستعدة للدفاع عن استقلاليتها مهما كلّف الأمر. لم تخبر خالتها حينها أنها تريد السفر أيضاً، وتريد الذهاب إلى طهران مع بول لزيارة عائلته في الربيع. ففي الوقت الحاضر، تصورت أن هذه الأخبار تستطيع الانتظار. وبعدما تحدثتا بهدوء لبضع دقائق إضافية، عادت كايت إلى غرفتها، وكانت تنوي أن تحضر إلى المنزل كل أغراضها من مسكن الطلاب في عطلة نهاية الأسبوع.

في غرفتها الخاصة، أخذت آني حبتين من الأسبيرين لمعالجة الصداع الذي أصابها بعد الظهر، واستلقت على سريرها. كان في وسعها الاتصال بليز، لكنها لم تشأ إزعاجها في باريس. كما أنها الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل عندها الآن. لذا، اتصلت بدلاً من ذلك بتيد. غير أنه لم يجب، وجرى تحويل الاتصال إلى المجيب الصوتي. تركت له آني رسالة، وطلبت منه فيها أن يتصل بها لأمر ضروري ما إن يستطيع. لم يكن بإمكانها أن تصدق أن كايت ستعمل في محل للوشوم. ومجرد التفكير في ذلك جعلها تشعر بالغثيان. كل ما تأمله الآن هو أن تعود كايت إلى رشدها، وتفعل ما وعدتها به، وتعود إلى الجامعة. والأسوأ من ذلك إدراك آني أنها لا تستطيع فعل أي شيء بالرغم من كل الحب الذي تكنّه لها. فبين ليلة وضحاها أصبحت مهجورة.

الفصل الثاني عشر

شهد اليوم التالي المزيد من التوتر بالنسبة إلى آني، فقد تجادلت مع اثنين من المقاولين، وعقدت لقاء صعباً مع أحد أكثر الزبائن تحدياً. وكان الطقس مريعاً، مما أبطأ كل شيء. أضف إلى ذلك أنها كانت متوترة طوال اليوم بسبب انسحاب كايت من الجامعة، من دون مناقشة الأمر معها أو طلب نصيحتها. وبدت فكرة عمل كايت في محلّ للوشوم أسوأ كلما فكرت فيها. ولم تسمع أي خبر من تيد بعد. إنها تريد على الأقل كتفاً تبكي عليها، وربما يستطيع التأثير في أخته الصغرى، أو ربما تستطيع ليز فعل ذلك عندما تعود. لكن، في الوقت الحاضر، ليز موجودة في باريس وغارقة حتى أذنيها في عملها، وتيد لم يتصل بعد.

في نهاية بعد الظهر، لم يعد في وسع آني تحمل المزيد. وبعد زيارتها موقع عمل حيث كان كل شيء يجري بطريقة غير صحيحة، أوقفت سيارة أجرة، وأعطت سائق السيارة عنوان محلّ الوشوم الذي ذكرته كايت في الليلة الماضية. إنه في الجادة التاسعة، في ما كان يسمى سابقاً مطبخ الجحيم، لكن جرى تنظيفه في الأعوام الأخيرة. إلا أن آني لا تريد أن تذهب ابنة أختها إلى هناك، لاسيما للعمل هناك كل يوم بدلاً من الذهاب إلى الجامعة. وما إن وصلت إلى العنوان حتى صرخت بصوت عالٍ. كان محل الوشوم مضاء بالنيون، ووقفت مجموعة من الأشخاص ذوي المظهر غير الحسن في الخارج وهم يدخنون. لم ترَ آني في حياتها أشخاصاً أكثر فظاعة.

سأل السائق عندما سمع صوتها اليائس: «هل العنوان خطأ؟».

أجابت: «لا، لسوء الحظ العنوان الصحيح». فيما دفعت له الأجرة

مع بقشيش جيد.

«أتريدين الحصول على وشم؟». بدا متفاجئاً، فهي لا تبدو من هذا النـوع. كانـت ترتـدي معطفاً من الصوف الأسود، مـع سروال أسود، وكنزة من الكشمير سوداء، وبدت مرتبة جداً.

«لا، أبداً. أريد فقط إلقاء نظرة». لم تشأ الاعتراف له أن ابنة أختها تعمل في هذا المكان. هذا محرج جداً ومسبب للاكتئاب.

نصحهـا قائـلاً: «لن أفعل ذلك لو كنـت مكانك. قد تصابين بمرض الأيدز من الإبر».

«أعـرف». شكرته مجـدداً، وخرجت من سيارة الأجرة، وفتحت بـاب محـلّ الوشوم، ونظرت حولهـا. كان الأشخاص العاملون هناك مليئيـن بالوشـوم والأقـراط، وكشف معظمهم عـن أذرع مليئة بالوشوم الملونة. لم تهتم بما قالته كايت، ولا تزال لا تعتبر ذلك فناً.

جـاءت إليهـا امرأة لتسألها إن كانـت تستطيع مساعدتها، وقالت لها آنـي إنهـا موجـودة هنا لرؤيـة كايت مارشال. بدت آنـي مثل زائرة من كوكـب آخـر بشعرها الأشقر الطويل، وجزمتهـا عالية الكعب، ومعطفها الأسـود الجديـد. أرادت الخروج بسرعـة، لكنها وقفت بدلاً من ذلك في مكانهـا منتظـرة كايت، وبعد دقائق قليلة جاءت ابنة أختها عبر باب أسود من حيث توجد الغرف الخاصة. كانت ترتدي تنورة قصيرة جداً، وكنزة حمـراء، وتنتعـل جزمـة عاليـة. وكان شعرها القصيـر مصبوغاً باللون الكحلـي. وبالرغـم مـن طلتها هذه، رأت آني أنها تبدو مرتبة جداً بالنسبة إلى هذا المكان.

سألتهـا كايـت بهمس: «ماذا تفعلين هنـا؟». وبدت متوترة لأن آني جاءت إلى مكان عملها.

«أردت أن أرى أيـن تعمليـن». نظـرت المرأتان بعمق إلى عيني بعضهما. وأخيراً، أبعدت كايت نظرها. فقد عرفت أنها لا تستطيع إقناع آني بأن هذا مقبول بدلاً من الجامعة، لكنها رأت أنها ليست مضطرة إلى

الدفاع عن نفسها أيضاً. فقد اتخذت قراراً بدا ملائماً لها. سألتها آني برفق: «هل أنت بخير؟». وأومأت كايت برأسها، ثم ابتسمت وبدت أكثر سعادة مما كانت عليه قبل دقيقة.

«أنـا أستمتـع. إنهـم يعلمونـني الكثيـر. أريـد أن أتعلـم كيفية دمغ الوشـوم، فقـط لمجرد معرفـة ذلك ومعرفة كيفية تطبيـق التصاميم على الجلد». امتنعت آني بصعوبة عن القول: «لماذا؟».

بقيت آني لبضع دقائق إضافية، ولم تخبر كايت رفاقها في العمل من تكون. فقد شعرت بأنها طفلة بسبب مجيء خالتها للاطمئنان عليها، وهي برأيهـا لـم تعـد طفلة، بل إنها راشدة. بـدت بوضوح محرجة من وجود آني، ولذلك غادرت آني ما إن نظرت حولها.

أرادت آنـي البـكاء فيمـا ابتعدت في سيارة أجـرة. لم تستطع محوَ صورة أولئك الأشخاص من رأسها. فقد غطّت الأقراط أجسامهم في كل مـكان. بـدوا مخيفيـن جداً بالنسبة إليها. عليهـا أن تزور موقع عمل آخر قبل أن تعود إلى المكتب، لتعود بعد ذلك إلى المنزل في نهاية اليوم.

كان موقـع البنـاء ذاك أحـد أسبـاب مشاكلها في الوقـت الحاضر. وانزعجـت كثيـراً عندمـا لاحظت أن أحد العمال قـد ترك خرطوم الماء على الأرض، فيما الماء يتدفق منه، وبسبب الطقس الجليدي، تحول الماء على الأرض إلى جليد. إنّ هذا الأمر قد يؤدي إلى تعرّض أحدهم لحادث مؤذٍ، وإلى صداع آخر لا تحتاج إليه. أبلغت المسؤول عن العمال بذلك، ومن ثم المقاول الموجود هناك أيضاً، وفيما كانت لا تزال تفكر في كايت ووظيفتها الجديدة، خرجت آني من بين ركام البناء، وأسرعت بعيداً عن الموقـع، وعـادت إلى الشارع. لقد تأخر الوقت. كان عقلها مشغولاً جداً بكايت بحيث لم ترَ بقعة الجليد التي تذمرت منها. وفجأة، طارت جزمتها عالية الكعب في الهواء، وسقطت بقوة متلقيّة ضربة قوية. رآها أحد عمال البناء وهي تقع وأسرع لمساعدتها. رفعها، ونفض الغبار عنها، وجعلها تقـف علـى قدميها. لكـن، ما إن فعل ذلك حتى أجفلت، وانقلبت معدتها،

وأحست أنه سيغمى عليها من شدّة الألم. أحضر لها شخص ما كرسياً قابلاً للطي، وكان الألم في كاحلها قوياً جداً.

سألها المسؤول عن العمال بنظرة قلقة: «هل أنت بخير؟». إنه بالضبط ما حذرتهم منه. لكن، ما لم تتوقعه هو أن تتعرّض هي لهذا الحادث. كانت شاردة الذهن تماماً بعد زيارتها كايت في محل الوشوم، ولم تنتبه إلى موقع خطاها بسبب استعجالها في المغادرة والعودة إلى المكتب. وكانت هذه إحدى المرات النادرة التي تنتعل فيها حذاء عالي الكعب إلى مواقع البناء. لم تكن تنوي زيارة أي منها اليوم لكنها بدلت رأيها بعد وصولها إلى العمل.

تجمع عدد من الرجال حولها عندئذ، وحاولت الوقوف مجدداً، لكنها لم تستطع. انزعجت كثيراً من نفسها، فهي تزور مواقع البناء منذ عشرين عاماً ولم تؤذِ نفسها يوماً. إن انتعال الجزمة عالية الكعب اليوم كان خطأً فادحاً.

قالت آني: «أظن أنها مكسورة». ثم حاولت الوقوف، ولم تستطع فرض أي وزن عليها.

نصحها المسؤول عن العمال: «من الأفضل أن تذهبي إلى المستشفى. قد يكون مجرد التواء سيئ. لكن، في كلتا الحالتين، عليك الخضوع لصورة أشعة للتأكد، ولوضع جبيرة إذا دعت الحاجة إلى ذلك». هذا ما كان ينقصها في الوقت الحاضر. فمع كل الواجبات التي يجدر بها إنجازها في هذه الأيام، لم تكن تريد التنقل وهي تستند إلى عكاز، أو تضع جبيرة.

قالت فيما حاولت المشي مترنحة للخروج من المكان: «ربما يجدر بي الذهاب إلى المنزل فقط، ووضع بعض الثلج عليها». لكنها احتاجت في النهاية إلى رجلين ليوقفا سيارة أجرة من أجلها. وإلى رجل ثالث ليحمل لها حقيبتها ومحفظتها. «شكراً. أنا آسفة لأنني أزعجتكم كثيراً».

أصرّ المسؤول عن العمال: «أنت لا تزعجيننا. لكن، يجدر بك الذهاب إلى الطوارئ». أومأت برأسها، زاعمة أنها توافقه الرأي. لكن،

بعد جلوسها في سيارة الأجرة، أعطت السائق عنوان المكتب. إنها واثقة من أنها ستكون بخير عندما تصل إلى المنزل وتخلع جزمتها، لكن كاحلها يؤلمها كثيراً في الوقت الحاضر. وعندما وصلت إلى مكتبها، لم تستطع الخروج من سيارة الأجرة. استدار السائق للنظر إليها فيما كافحت عبثاً.

قال السائق بنبرة متعاطفة: «تبدين وكأنك قد تأذيت كثيراً. ماذا حصل لك؟».

قالت: «وقعت على الجليد». وحاولت استخدام الباب كعكّاز، لكنها لم تستطع وضع قدمها المصابة على الأرض من دون أن تصرخ.

قال السائق: «لحسن الحظ، أنتِ لم تؤذي رأسك». وبدا جلياً أنها لن تنجح في التحرك، إذ لم تكن تستطيع الحراك. «لمَ لا تدعينني آخذك إلى المستشفى. ربما كانت مكسورة». بدأت تفكر في ذلك، وشعرت بالغضب بسبب حظها السيئ. جلست مجدداً على المقعد الخلفي، وطلبت من السائق أن يأخذها إلى قسم الطوارئ في المركز الطبي لمدينة نيويورك. شعرت بالغباء للذهاب إلى هناك، لكنها لم تستطع التقدم خطوة واحدة. وهي تحتاج إلى عكازين على الأقل.

اصطحبها السائق إلى المركز الطبي لمدينة نيويورك، وتركها في السيارة ريثما دخل المستشفى لإحضار ممرض. وبعد قليل، خرجت معه امرأة ترتدي ثوباً أزرق، وتدفع كرسياً نقالاً، فيما جلست آني عاجزة على حافة المقعد، وهي لا تستطيع المشي.

سألتها موظفة الطوارئ بمرح: «ماذا لدينا هنا؟».

«أظن أنني كسرت كاحلي. فقد وقعت على الجليد». كانت آني شاحبة، وبدا أنها تتألم كثيراً. ساعدتها الممرضة على الجلوس على الكرسي النقال، وأعطت آني السائق عشرة دولارات إضافية، فتمنى لها الحظ. شعرت بالغثيان من شدّة الألم، وأرادت البكاء؛ بسبب كايت وليس بسبب قدمها. كرهت أن تعمل كايت في محلّ للوشوم، وبدا المكان مريعاً. كان هذا كل ما استطاعت التفكير فيه فيما دفعتها الممرضة التي

ترتدي ثوباً أزرق إلى نافذة التسجيل في قسم الطوارئ، وأعطت آني موظفة المكتب بطاقة التأمين. وبعد أن ملأت استمارة، وضعوا سواراً بلاستيكياً حول معصمها دوّن عليه اسمها وتاريخ ميلادها، ثم تركوها جالسة على الكرسي النقال وأعطوها كيس ثلج وطلبوا منها الانتظار.

سألت آني: «لكم من الوقت؟». ونظرت إلى قاعة الانتظار المزدحمة. لم تكن واثقة مما إذا كان الاختيار انتقائياً وعشوائياً، أو حسب تسلسل الوصول، لكن الأمر قد يستغرق ساعات في كلتا الحالتين؛ إذ يوجد خمسون شخصاً على الأقل هنا، معظمهم مصابون أو مرضى.

قالت المرأة بصراحة: «لساعتين تقريباً؛ ربما أقل وربما أكثر. يعتمد ذلك على خطورة الحالات التي جاءت قبلك».

قالت آني وهي تبدو محبطة: «ربما يجدر بي الذهاب إلى المنزل. لقد كان يوماً سيئاً جداً. والآن حصل هذا».

نصحتها المرأة: «لا يجدر بك الذهاب إلى المنزل أبداً. إذا كانت قدمك مكسورة، فأنت لا تريدين العودة إلى هنا عند الساعة الرابعة فجراً مع كاحل مثل كرة القدم، وأنت تصرخين ألماً. يمكنك أيضاً إجراء صورة أشعة بما أنك هنا، والتحقق من الأمر». بدت هذه النصيحة منطقية، وقررت آني الانتظار. ليس لديها أي شيء آخر تفعله في المنزل. ولم تتمكن حتى من الوصول إلى مكتبها وإحضار الخرائط معها إلى المنزل. على كل حال لا يمكنها العمل بسبب الألم الحاد الذي تعاني منه. كانت لا تزال تشعر بالغثيان وأملت ألا تتقيأ. ذهلت كيف يمكن لشيء صغير أن يسبب مثل هذا الألم الشديد. كان الألم شديداً جداً فيما رفعت ساقها وهي تجلس على الكرسي النقال. جلست هناك قليلاً وهي مغمضة العينين، ومحاولة تحمل الألم، ثم بدأت المرأة الجالسة قربها بالسعال. بدت مريضة فعلاً، فابتعدت عنها آني بحذر قدر المستطاع. إذ لم تكن تريد التقاط عدوى المرض فوق كل هذا. ذهبت إلى زاوية هادئة حيث لم يجلس أحد بعد، وراقبت رجال الإسعاف وهم يحضرون

رجلاً على حمالة مع كسر محتمل في العنق بعد أن تعرض لحادث سيارة. وجاء بعده مباشرة رجل مصاب بنوبة قلبية. إذا كانوا يعتمدون الاختيار الانتقائي، فهي تدرك الآن أنها قد تبقى هنا إلى الأبد، فيما تتم معالجة الحالات الأكثر خطورة قبلها. أصبحت الساعة الخامسة والنصف حينها، ويحتمل أن يكون الليل طويلاً. نظرت حولها، وبدا وكأن مطاراً كاملاً قد تم نقله إلى غرفة الانتظار في قسم الطوارئ.

أغمضت عينيها مجدداً محاولة التنفس بالرغم من شعورها بالألم. وبعد برهة، دفع أحدهم كرسيها النقال ثم اعتذر منها بشدة فيما فتحت عينيها. إنه رجل طويل القامة، وداكن الشعر، مع جبيرة مؤقتة حول ذراعه. بدا مألوفاً لها فيما أغمضت عينيها مجدداً. كانت فردة جزمتها مقحمة في الكرسي النقال، وتورمت قدمها العارية إلى ضعف حجمها منذ وصولها إلى المستشفى، وبدأت تبدو مرضوضة بشكل سيئ. لم تعرف آني إن كان هذا يعني أنها مكسورة أم لا. غفت وهي جالسة على الكرسي لبعض الوقت، لكن الانزعاج والألم الذي كانت تشعر به في كاحلها أبقياها واعية بعض الشيء، إلى أن فتحت عينيها أخيراً. كان الرجل صاحب الجبيرة المؤقتة جالساً على كرسي قربها، وهو يبدو حزيناً. كانت الجبيرة حول ذراعه اليسرى، وكان يستعمل هاتفه الخلوي بيده اليمنى ويلغي مواعيده. بدا وكأنه رجل مشغول. كان يرتدي شورتاً وقميصاً قطنياً، وينتعل حذاء رياضياً، وسمعته يخبر أحداً عبر الهاتف أنه آذى نفسه في أثناء لعب السكواش. كان وسيماً، وبدا متمتعاً بلياقة بدنية جيدة ومتألماً كثيراً عندما تكلم. جلسا قرب بعضهما لوقت طويل من دون أن يتحدثا إلى بعضهما. فقد كانت متألمة جداً بحيث لم تتمكن من التصرف بلباقة اجتماعية، وأرادت البكاء. شعرت بالكثير من الأسف على نفسها فيما كانت جالسة هناك.

بدأت أخبار الساعة السابعة في قاعة الانتظار. وعندما بدأت، أعلنوا أن مقدم النشرة طوم جيفرسون لن يكون على الهواء هذه الليلة. فلقد

تعرض لإصابة في أثناء لعب السكواش، وهو موجود في المستشفى في الوقت الحاضر. كانت آني تشاهد التلفاز، من دون الانتباه إليه كثيراً، ثم أدركت من يكون، واستدارت إليه مندهشة، فيما بدا محرجاً قليلاً.

«هذا أنت؟». أومأ برأسه فقال: «يا لحظك السيئ!». وابتسم لها.

«يبدو أن حظك سيئ أنت أيضاً. لا بد من أن الأمر مؤلم. فقد رأيت كاحلك يتورم فيما نحن جالسان هنا». أصبح كاحلها أكبر حجماً وأكثر زرقة في الوقت الحاضر.

أومأت برأسها دليل الموافقة، ثم تراجعت إلى الخلف مع تنهيدة. حاولت تحريك أصابع قدمها بين الحين والآخر، للتأكد من قدرتها على فعل ذلك، لكن القيام بذلك أصبح مؤلماً جداً الآن. رأت طوم جيفرسون يفعل الشيء نفسه بأصابع يده، محاولاً تقييم فداحة الأذى، ومعرفة إن كانت ذراعه ملتوية أم مكسورة.

قالت آني عندما انتهت الأخبار: «أظن أننا قد نبقى هنا طوال الليل». المشاكل في كوريا والشرق الأوسط بدت أقل أهمية من الألم الذي تشعر به في كاحلها في الوقت الحاضر. «ماذا عنك؟ ألا تستطيع استخدام الواسطة؟».

«لا أظن ذلك. أعتقد أن النوبات القلبية الثلاث، والعنق المكسور، والطلقة النارية أكثر أهمية من الإطلالة المباشرة على الهواء. أخشى السؤال». أومأت برأسها. لديه وجهة نظر، وبدا رزيناً جداً. كانا مركزين تماماً على إصابتيهما، وشعرت وكأنهما موجودان على جزيرة نائية. وبدا أن أحداً لا يعرف أين هما، أو يبالي.

في النهاية، أرسلت رسالة هاتفية إلى كايت تخبرها فيها أنها ستتأخر في العودة إلى المنزل، لكنها لم تذكر السبب، إذ لم تكن تريد إثارة قلقها. هكذا، كانت في غرفة الطوارئ بمفردها، جالسة قرب شخص غريب مكسور الذراع.

قال بعد برهة: «تعرضت لطلقة نارية في ذراعي ذات مرة وأنا

أغطي حدثاً في أوغندا. أعرف أن هذا يبدو سخيفاً، لكنني الآن أتألم أكثر». شعر بالأسف على نفسه أيضاً.

سألته وهي تبتسم ابتسامة عريضة: «هل تحاول لفت الأنظار؟ كسرت ضلعي عندما وقعت عن السرير ذات مرة حين كنت صغيرة، لكن كاحلي يؤلمني الآن أكثر. لم أتعرض لطلقة نارية قطّ. لذا، أنت تفوز». ضحك عندما قالت ذلك، ولاحظت أنه يملك ابتسامة جميلة. ليس هذا مفاجئاً لأنه نجم.

سألها طوم وهو يبدو قلقاً: «آسف. لا أقصد أن أكون فظاً. كيف تعرضت للإصابة؟».

«وقعت على الجليد في موقع بناء. طلبت منهم تنظيف الجليد قبل حصول حادث، ثم انزلقت عليه بنفسي».

سأل بنظرة محتالة: «هل أنت عاملة بناء؟». كان التحدث إليه يساعد على مرور الوقت على الأقل. فهما لا يملكان شيئاً آخر لفعله في أثناء الجلوس والانتظار.

«نوعاً ما. أملك قبعتي الواقية». بالرغم من أنها لم تكن تضعها. وكان سائق سيارة الأجرة محقاً. فمن حسن حظها أنها لم تؤذِ رأسها. قالت: «أنا مهندسة معمارية». وبدا متأثراً. فقد ظن أنها تعمل في الموضة أو النشر. كانت لائقة المظهر، وعذبة الحديث، وتبدو ذكية.

قال محاولاً تبديد الوقت: «لا بد أن هذا ممتع».

«أحياناً. حين لا أحاول أن أكسر عنقي في موقع بناء».

مازحها قائلاً: «هل يحدث هذا معك غالباً؟».

«هذه أول مرة».

«إنها أول مرة أتعرض فيها للإصابة خلال ممارستي الرياضة أيضاً. أمضيت عشرة أعوام في الشرق الأوسط وأنا أنجز تقارير خطيرة. كنت مدير المكتب في بيروت لمدة عامين، ونجوت من تفجيرين. وكسرت ذراعي وأنا ألعب السكواش. كم هذا مضحك!». شعر بالغباء أكثر من

أي شيء آخر. ثم نظر إليها، فيما جلست على الكرسي النقال وقدمها ممدودة. كان لون قدمها يزداد زرقة كل دقيقة، وباتت عملاقة. سألها: «هل أنت جائعة؟».

قالت بصراحة: «لا. أشعر بالغثيان». لم تكن تعرفه، ولن تراه أبداً مجدداً، ولذلك ليست مجبرة على التظاهر أمامه. شعرت أنها مخيفة، ورآها تبكي مرة أو مرتين. ظن أن سبب بكائها هو شعورها بالألم، لكن البكاء كان بسبب كايت. لم تستطع إخراج صورة محلّ الوشوم من رأسها. ولا يمكنها فعل أي شيء لتغيير رأي كايت.

اعترف وهو يشعر بالقليل من الإحراج لأنه جائع في مثل هذا الوقت: «كنت أفكر في طلب البيتزا. فأنا أتضور جوعاً». كانت لديه شهية جيدة، وهو رجل ضخم.

«لا بد أن هذا رجولي. وأنت محق في هذا. فقد نبقى هنا لساعات طويلة». ابتسم بخجل عندما قالت ذلك، واتصل برقم على هاتفه الخلوي، وطلب البيتزا، ثم أرسل عدداً من الرسائل الهاتفية. تساءلت إذا كان يملك صديقة أو زوجة، وإذا كانت ستظهر امرأة معه. بدا في الخامسة والأربعين، ذا شعر داكن بدأ يشيب قليلاً عند الصدغين.

وصلت البيتزا بعد ساعة، وكانا لا يزالان ينتظران. طلب أن تحتوي على كل المكوّنات باستثناء الأنشوفة، وعرض عليها قطعة، لكنها لا تستطيع الأكل. التهمها كلها تقريباً بمفرده، بالرغم من ذراعه المصابة. وعندما وقف لرمي علبة البيتزا، لاحظت أنه أطول مما ظنت. لكنها تأثرت أكثر بتواضعه ومرحه. لم يطلب أي نوع من الانتباه الخاص، وانتظر دوره بصبر. عرض عليها كوباً من الماء أو فنجاناً من القهوة من الآلة عندما عاد، لكنها رفضت.

قال بمرح وهو يجلس مجدداً: «أدركت الآن أنك تعرفين اسمي لكنني لا أعرف اسمك». كانا يثرثران لملء الوقت.

«آن فيرغوسون. آني. هل أنت قريب للرئيس الشهير؟».

ابتسم لدى سماعه سؤالها وأجاب: «لا، كانت أمي تحب التاريخ. إنها في الواقع أستاذة تاريخ. ظننت أن هذا جميل، لأنها كانت متأثرة به جداً. تعرضتُ للسخرية بسبب ذلك طوال حياتي».

ابتسمت آني فيما تحدث. وبعد ذلك، ناما لبعض الوقت. إنها الساعة التاسعة، ومضت أربع ساعات تقريباً على وجودها في هذا المكان.

ازداد الألم الذي تشعر به في كاحلها كثيراً. وعند الساعة العاشرة نادت ممرضة اسمها أخيراً، وجاءت إليها، ثم دفعت أمامها كرسي آني النقال. ودّعت آني طوم جيفرسون، وشكرته على صحبته، وتمنت له الحظ. وقالت لتشجيعه: «أتمنى ألا تكون مكسورة». كان الجلوس قربه لأربع ساعات لطيفاً، فلم تشعر بالوحدة.

«وأنت أيضاً. وانتبهي إلى الجليد في مواقع البناء!». لوّح لها بيده فيما اختفت في غرفة الطوارئ. بقيت هناك ساعتين، تمّ خلالهما تصوير قدمها بالأشعة ثم بالرنين المغنطيسي للتحقق من عدم تمزق الأربطة. وتم تشخيص إصابتها بأنها التواء سيئ، ولم تكن قدمها مكسورة. وضعوا سواراً بلاستيكياً حول معصمها، وأعطوها عكازين، وطلبوا منها عدم فرض وزن عليها، لكن وضع الوزن عليها لم يكن خياراً على كل حال، إذ لم يكن بإمكانها تحمل الألم. وطلبوا منها مراجعة طبيب عظام خلال أسبوع. قالوا إن الإصابة تحتاج إلى أربعة أو ستة أسابيع للشفاء، وعليها انتعال أحذية مسطحة في غضون ذلك.

كان قد حلّ منتصف الليل عندما قادتها ممرضة الطوارئ إلى الرصيف، وهي تجلس على الكرسي النقال وأوقفت لها سيارة أجرة. ألقت آني نظرة على قاعة الانتظار عند مرورها أمامها. وكان طوم جيفرسون قد غادر حينها. تساءلت إذا كانت ذراعه مكسورة أو ملتوية فقط مثل كاحلها. كان التحدث إليه ممتعاً، وساعدها ذلك على جعل الوقت يمرّ بسرعة. إلا أن عقلها عاد إلى كايت ومشاكلها في أثناء عودتها إلى المنزل. كانت ليلة طويلة ومؤلمة.

دخلت آني المبنى متعثّرة، وبمساعدة العكازين اللذين أعطوها إيّاهما. لم تعتد عليهما بعد، وأعطوها مسكنات للألم في المستشفى، ولذلك شعرت ببعض الدوار والنعاس. دخلت الشقة، وكانت الأضواء منارة، وكايت تشاهد فيلماً مع بول. أدركت آني أن الأمر الجيد في انسحابها من الجامعة هو عيشها في المنزل مجدداً، بحيث تستطيع آني مراقبتها. استدارت كايت نحو آني ونظرت إليها بذهول فيما كانت هذه الأخيرة تدخل غرفة الجلوس مستندة إلى العكازين، وتحمل جزمتها في كيس من النايلون. وبدا وجه آني شاحباً جداً.

سألت كايت: «ماذا حصل لك؟». فيما أسرعت لمساعدتها على الجلوس على كرسي. فقد بدت آني وكأنها خارجة من حرب. بدت كايت منزعجة، ووقف بول للمساعدة أيضاً.

«غباء حقيقي. وقعت في موقع بناء. كنت أنتعل هذه الجزمة، وانزلقت على رقعة جليد. مجرد غباء».

«آه، مسكينة!». أسرعت كايت لتحضر لها مكعبات الثلج، فيما ساعدها بول على النهوض عن الكرسي ورافقها إلى المطبخ. كانت آني تسير متعثرة وهي تستند إلى العكازين، وبدت منهكة فعلاً. لكن الشابين شعرا بالقلق عليها كثيراً. «ظننت أنك خرجت لتناول العشاء أو ما شابه. لماذا لم تتصلي بي؟ كان في وسعي الذهاب معك إلى المستشفى؟ متى حصل ذلك؟». سألتها كايت فيما انهارت آني تقريباً على كرسي مطبخ.

«حصل ذلك مباشرة بعد أن تركتك. بعد نصف ساعة». لم تخبرها آني أن سبب حصول هذا يعود جزئياً إلى انزعاجها منها جداً، ولأنها بسببها كانت تسير وهي شاردة الذهن. «كنت في المستشفى منذ الخامسة والنصف. احتجت إلى دهر كامل». لم تخبرها عن مذيع الأخبار الذي التقته هناك، فقد بدا الأمر غير مهم، بالرغم من أنه ساعدها على مرور الوقت في أثناء الانتظار.

عرضت عليها كايت: «هل تريدين تناول الطعام؟». فهزّت آني

رأسها رافضة وقالت:

«أريد فقط الذهاب إلى السرير. أنا مخدرة بفضل مسكنات الألم. وأتمنى أن أكون أفضل حالاً غداً». عليها التعاطي مع العكازين الآن، واستعمال ساق واحدة. لن يكون أي شيء سهلاً خلال الأسابيع القليلة المقبلة.

ذهبت إلى غرفتها، وسارت كايت وبول مباشرة خلفها، ثم عاد بول إلى غرفة الجلوس، وساعدتها كايت على خلع ملابسها وارتداء ثوب النوم. من الصعب الوقوف على قدم واحدة واستعمال العكازين. خافت كايت أن تقع خالتها في الحمام، وطلبت منها مناداتها في الليل إذا احتاجت إلى المساعدة.

طمأنتها آني: «سأكون بخير». كانت ليلة مرهقة، واليومان الأخيران مزعجين، بسبب خبر انسحاب كايت من الجامعة. لم تسمع أي خبر من تيد بعد، أو من ليز في باريس، خلال الأيام القليلة الماضية. حاولت عدم التفكير في أي من ذلك فيما استلقت على السرير. تناولت حبة مسكّن أخرى مثلما طلبوا منها. وعندما وضعت رأسها على الوسادة، نامت بلمح البصر. قبّلتها كايت، وغطتها جيداً، وعادت إلى بول. كانا يخططان لبعض المشروعات المهمة هذه الليلة.

الفصل الثالث عشر

واجهت آني صعوبة أكثر مما توقعت عندما كانت ترتدي ملابسها في اليوم التالي. وكان الاستحمام وعدم السقوط في الوقت نفسه أمراً صعباً جداً، فيما حاولت الوقوف على قدم واحدة. وعندما وصلت إلى المطبخ مستندة إلى العكازين كانت مرهقة. لكن، هناك عمل كثير ينتظرها بحيث لا يمكنها الانتظار في المنزل. ساعدتها كايت على النزول إلى الأسفل وتوقيف سيارة أجرة، ووصلت آني إلى مكتبها عند الساعة العاشرة، وهذا أمرٌ نادر. ولن يكون بإمكانها زيارة مواقع البناء لبعض الوقت، على الأقل لبضعة أيام؛ مثلما فكرت.

أخيراً، اتصل بها تيد هذا الصباح واعتذر عن عدم الاتصال بها سابقاً. قال إنه كان مشغولاً فعلاً، وإن كايت قد أرسلت له رسالة هاتفية في الليلة الماضية لإخباره بشأن كاحل آني، ولذلك عرف بالخبر، واتصل ليسألها عن حالها.

«أنا بخير. أتألم كثيراً، لكن لا يهم. إنه مجرد التواء. أردت الاتصال بك بشأن أختك. هل تعرف أنها انسحبت من الجامعة للعمل في محلّ للوشوم؟». شعرت آني بالغضب مجدداً وهي تخبره بذلك. فإصابة كاحلها غير مهمّة مقارنة مع هذا.

«هل تمزحين؟».

«أتمنى لو كنت أمزح. أنا جادة تماماً، وهي أيضاً. انسحبت من الجامعة لمدة فصل كامل، وهي تعمل في محلّ للوشوم في الجادة التاسعة، وتعتبر ذلك فناً».

«هذا مقرف. لم تخبرني بذلك قطّ. هل تريدين أن أتحدث إليها؟».

بدا منزعجاً مثل آني. فالانسحاب من الجامعة أمر خطير بالنسبة إليهما.

«نعم، لكنني لا أظن أن هذا سيفيد في أي شيء. قد تقتنع منك، لكنني أشك في ذلك. فهي مصممة على التوقف مؤقتاً عن الدراسة».

«أظن أن هذا غباء، وسأقول لها ذلك». كانت كايت تصغي أحياناً إلى أخويها أكثر مما تصغي إلى خالتها، ولذلك شعرت آني ببعض التفاؤل. لكن، حين تحسم كايت أمرها، يصعب دوماً إقناعها بالعكس، وعرف تيد ذلك أيضاً. فهي وآني تملكان هذه الصفة المشتركة؛ إنهما عنيدتان جداً.

قالت آني بهدوء: «ماذا عنك؟ هل أنت بخير؟ أنت هادئ جداً هذه الأيام، وأنا قلقة عليك». إنها قلقة عليهم جميعاً.

قال بصوت أجش: «أنا بخير». كان يتواجد مع باتي في كل لحظة لا يكون فيها ولداها معها، وشعر أنه لم يعد يملك وقتاً حراً الآن. إنه ينتقل دوماً ذهاباً وإياباً بين شقتها ومبنى الجامعة، والعلاقة على نار حامية بل إنها ملتهبة. لم يرَ أياً من أصدقائه منذ أسابيع. لكنه لم يقل هذا لآني. فلا مجال لإخبارها أنه على علاقة بامرأة تكبره باثني عشر عاماً. عرف أن آني لن تفهم ذلك أبداً، وليس واثقاً أحياناً من أنه يفهم الأمر هو أيضاً. لقد حصل الأمر، وباتت العلاقة الآن موجودة، وتتطور بسرعة البرق؛ مثل القطار السريع، فيما باتي وراء عجلة القيادة.

اقترحت آني: «تعال وتناول العشاء عندنا في يوم ما. اشتقت إليك».

وتنهد تيد. لم يكن يملك الوقت للقيام بأي شيء الآن لأنه مرتبط بباتي.

«على الأقل ستكون كايت معك لمساعدتك إذا كانت تعيش في المنزل». شعر بالذنب لعدم رؤيته آني أو اتصاله بها غالباً، لكن باتي تطلب منه دوماً شيئاً ما، وتريده معها طوال الوقت.

قالت آني بحزن: «أفضل أن تعود إلى الجامعة».

فأجابها: «وأنا أيضاً. سأتصل بها، وسأعاود الاتصال بك قريباً».

وبعدما أنهت المكالمة، أنجزت بعض الأعمال، وكانت تتنقل في مكتبها بصعوبة، محاولة حمل الملفات والخرائط؛ وهذا أمر مستحيل تقريباً مع

العكازين. إذ إن استعمالهما أصعب مما كانت تتصور، وهي لا تزال تشعر بالألم.

جلست على الكرسي في مكتبها عندما رنّ الهاتف. وكانت مساعدتها هي المتصلة لتخبرها أن توماس جيفرسون ينتظر على الخط. تفاجأت آني لسماعها خبراً منه، وتلقّت الاتصال، وسألته فوراً عن ذراعه.

قال وهو يبدو محبطاً: «إنها مكسورة». وكان قد أمل أن يكون مجرد التواء. «كيف كاحلك؟».

«مجرد التواء سيئ. لكن التنقل بالاستناد إلى العكازين صعب جداً». شعرت بالإرهاق بعد مرور ساعة واحدة فقط على وجودها في المكتب، وكان كاحلها يؤلمها بشدة.

«أعرف. حصل معي ذلك ذات مرة في أثناء لعب كرة السلة في المدرسة. استمتعت بلقائك البارحة آني. وكنت أتساءل إن كنت تودين تناول الغداء معي في وقت ما، أو ربما نستطيع الذهاب إلى لورد».

فضحكت.

«أودّ ذلك. الغداء، وليس لورد بالرغم من أن هذا قد يكون جميلاً أيضاً. فلطالما أردت رؤيتها».

أجابها بعفوية: وأنا أيضاً». افترضت أنه غير متزوج، لكنها لم تشأ سؤاله. فهي واثقة من أنه مجرد غداء ودود بين مصابين وليس موعداً غرامياً. ولذلك، إنّ سؤاله إن كان متزوجاً يعتبر غباء. لم يكن هناك أي شيء رومنسي في لقائهما الأول. وتم لقاؤهما بطريقة مضحكة. اقترح قائلاً: «ما رأيك في الغد؟ هل يمكنك الخروج مع العكازين؟».

«سأتدبر أمري. أنا مضطرة. لا أستطيع ترك مواقع البناء إلى الأبد من دون زيارتها».

«ربما عليك تخصيص يوم أو يومين لذلك». اقترح عليها مطعماً فرنسياً صغيراً تعرفه وتحبه، واتفقا على اللقاء ظهر اليوم التالي. بدا الأمر ممتعاً؛ إذا استطاعت الوصول إلى هناك.

عرضت عليه: «سأقطع لك اللحم». فضحك وأجابها: «وأنا سأحملك إلى سيارة الأجرة». بدا شخصاً ممتعاً، وذكياً، وودوداً، ووسيماً.

كان اليوم طويلاً بعد ذلك، وتوجب عليها إلغاء مواعيد عدة. فقد صعب عليها التنقل، وأرسلت مساعدتها بدلاً منها إلى اثنين من مواقع البناء. واتصلت كايت للتحقق من حالتها وبدت قلقة جداً. وأخيراً، توقفت آني عن العمل، وذهبت إلى المنزل عند الساعة الرابعة وهي تحمل كيسين مليئين بالعمل. شاهدت طوم في نشرة الأخبار تلك الليلة، وأخذت قيلولة بعدما تناولت مسكناً للألم. بدا طوم طبيعياً على الشاشة، باستثناء الجبيرة حول ذراعه. كان كم قميصه مطوياً، ولم يستطع ارتداء سترة. لكن معنوياته كانت مرتفعة، وبدا جيداً في الأخبار.

عندما دخلت آني المطعم في اليوم التالي، وجدت طوم بانتظارها قرب الطاولة. أصبحت أكثر خبرة في استعمال العكازين، لكنه توجه إلى الباب لمساعدتها على كل حال.

قال فيما رافقها إلى الطاولة: «نبدو وكأننا قد خرجنا معاً من قطار محطم. شكراً لك لقبولك دعوتي إلى الغداء. استمتعت بالتحدث إليك في ذلك اليوم». جلسا، وطلبا الشاي المثلج. فقد قالت له إنها إذا احتست الشراب فستقع عن عكازيها، وقال إنه لا يحتسي الشراب أبداً عند الغداء.

بعدما طلبا الغداء، ابتسم لها طوم وتطرق مباشرة إلى الموضوع: «لم أسألك قطّ في تلك الليلة، لكنني أفترض أنك لست متزوجة». وابتسمت. لم يأت أحد إلى المستشفى لرؤية أي منهما، وحزر كل منهما أن الآخر عازب. لكنه أراد التأكد من ذلك.

ابتسمت آني وأجابت: «لا، لست متزوجة. وأنت؟».

«أنا مطلق. تزوجت لمدة ثمانية أعوام. وأنا مطلق منذ خمسة أعوام. نوع عملي لا يفضي إلى زيجات سعيدة. كنت أسافر في معظم الوقت، وأغيب لأوقات طويلة. عرفنا أخيراً أن الأمر لن ينجح،

وتزوجت هي من شخص آخر. نحن الآن على علاقة طيبة، وقد أصبح لديها ولدان الآن. لم أملك الوقت لذلك أيضاً، وكانت هذه مسألة مهمة بالنسبة إليها. فأنا لم أشأ قطّ أن أرزق بأولاد فيما لست متواجداً أبداً، وقد فات الأوان الآن». لم يكن يبدو غاضباً بسبب ذلك. «هل أنت مطلقة؟». في عمرها، وحسب مظهرها، افترض أنها كذلك لكنه تفاجأ عندما هزّت رأسها.

قالت ببساطة: «لم أتزوج قطّ». كان صريحاً جداً بحيث لم تشعر بأنها فاشلة عندما أخبرته بذلك. إنها الحقيقة.

قال: «إذاً، ليس لديك أولاد». أراد الحصول على التفاصيل فوراً، لكنها هزت رأسها، ثم أومأت له إيجاباً، وبدا مرتبكاً.

«لا، ليس لديّ أولاد. ونعم، أملك أولاداً. توفيت أختي وزوجها قبل ستة عشر عاماً عندما تحطمت طائرتهما. ومن ذلك الحين أصبحت مسؤولة عن أولادهما الثلاثة. كانوا في الخامسة والثامنة والثانية عشرة آنذاك. لقد نضجوا الآن، أو يقولون لي إنهم نضجوا. لست واثقة من ذلك أحياناً. ليز في الثامنة والعشرين وهي محررة في مجلة فوغ. وتيد في كلية الحقوق في جامعة نيويورك وهو في الرابعة والعشرين. وكايت فنانة، وهي في الحادية والعشرين وتذهب إلى جامعة برات، أو كانت تذهب حتى هذا الأسبوع. فقد قررت أخذ إجازة لفصل كامل، وأنا منزعجة جداً بسبب ذلك. هذه هي قصتي». قالت وهي تبتسم له، فيما نظر إليها وبدا متأثراً بما أخبرته به للتو.

قال بهدوء: «لا، هذه قصتهم. ما هي قصتك؟».

قالت بصراحة: «هذه قصتي. إن الحصول على عائلة جاهزة فيما أنت متخرج حديثاً من كلية الهندسة المعمارية وظيفة بدوام كامل. كان عمري ستة وعشرين عاماً فقط عندما انتقلوا للعيش معي. احتجت إلى بعض الوقت لمعرفة كيفية التصرف. لكنني نجحت في النهاية».

«والآن؟». شعر فجأة بالفضول حيالها. لم يفكّر في هذا قطّ في

الليلـة الفائتـة. لكنهمـا لم يتبادلا أي معلومات شخصيـة؛ إذ كانا مشغولين بالشعور بالألم.

«عندمـا استوعبـت الأمر جيداً، كبروا. عادت كايت للتو للعيش في المنزل، لكنها عاشت في مسكن الطلاب طوال الأعوام الثلاثة الماضية. أكره هذا الجزء. عليّ التراجع ومراقبتهم وهم يعيشون حياتهم، وينجزون كل الأشيـاء المجنونـة التي يفعلها الأولاد، مثـل الانسحاب من الجامعة. أشتاق إليهم فعلاً».

«أراهـن علـى ذلـك؛ بعد كل هذه السنوات مـن الاهتمام بهم. ألهذا السبب لم تتزوجي؟».

«ربمـا... لا أعـرف... لم أملك الوقت قـطّ. كنت مشغولة جداً معهـم، وأحـاول أن أفـي بوعدي لأختي بأن أستلـم مسؤولية الأولاد إذا حصل أي مكروه لها ولزوجها. وهذا ما حصل. كان الأمر رائعاً. ولم أندم على ذلك دقيقة واحدة. كانوا هدية رائعة في حياتي». كانت مقايضة عادلة. شبابها مقابل شبابهم.

قال بإعجاب: «هذه قصة مؤثرة. يبدو وكأنك انتهيت بتناذر المنزل الفارغ من دون أن تنجبي أولادك أنتِ. ليس هذا عادلاً. لكنني أظن أنه أشبـع لديـك أي حاجـة إلى إنجاب الأولاد. أمـا زلت ترغبين في إنجاب أولاد؟». شعـر بالفضـول حيالها. فهي مليئـة بالمفاجآت، وبدت راضية عن حياتها. ليست واحدة من أولئك النساء اليائسات غير السعيدات اللواتي يشعرن بأن القطار قد فاتهن ويبذلن المستحيل لتسوية الأمر. وأعجب بها بسبـب ذلـك. فهي لا تبحث عن مخلص أو منقذ. بدت كاملة ومتصالحة مع نفسها.

هزّت كتفها بعفوية ثم قالت: «لا أعرف. لم أفكر في إنجاب الأولاد قـطّ. كنـت مشغولـة جداً. كان الأمر ليبدو جميلاً لـو حصل في حياتي، لكنه لم يحصل. حصلت الأمور باتجاه مختلف. حصلت على ثلاثة أولاد رائعين على كل حال». ابتسمت له عبر الطاولة.

«أليس هناك رجالٌ جذّيون في حياتك؟».

«لا، منـذ زمـن بعيـد. كنت مشغولة جداً». لم تعتذر عن هذا، ولم تكن نادمة أيضاً.

قال طوم وهو يبتسم لها: «يا الله! أشعر أنني أتناول الغداء مع الأم تيريزا». وهي أكثر جمالاً من الأم تيريزا.

«لا، أنـا مجـرد امـرأة منهمكة جداً. فلدي ثلاثـة أولاد ومهنة. لا أعرف كيف توفق معظم النساء بين هذين الأمرين والزوج».

«إنهن لا ينجحن في ذلك. لهذا السبب، ينتهي الأمر بمعظم الزيجات فـي محاكـم الطـلاق. يبدو وكأننا أنـا وأنت متزوجان مـن عملنا. وفي حالتك، من أولاد أختك أيضاً».

«يمكـن قول هـذا. وعليّ الآن تعلم كيفية التخلي عنهم. هذا أصعب كثيـراً ممـا يبدو». وللمـرة الأولى منذ ستة عشر عامـاً، أصبحت حياتها فارغة نتيجة ذلك.

قـال وهـو مذهـول بها: «هكـذا إذاً». بعد ذلك، تحدثـا عن عمله، وأسفاره، والوقت الذي أمضاه في الشرق الأوسط، والهندسة المعمارية التـي يحبانهـا. تحدثا عن الفن والسياسة. لم يتوقفا عن الحديث قطّ طوال الغـداء، وأمضيا وقتاً رائعاً مع بعضهما. قال بابتسامة عريضة فيما نظر إليهـا: «بـدأت أفكـر في أن كسر ذراعي كان نعمـة. فلو لم أكسرها، لما كنـت قـد التقيتك مطلقاً». إنها طريقـة جميلة للنظر إلى المسألة، وشعرت بالإطراء. سألها وهو يبدو متفائلاً: «هل تعتقدين أنه بإمكاننا تناول الغداء معاً مجدداً في وقت ما؟». فأومأت برأسها.

«أود ذلـك». قالـت ذلـك ببساطـة، وهي ترى أنه سيكـون صديقاً ممتعاً.

وعدها قائلاً: «سأتصل بك». لكنها لم تأخذ الأمر على محمل الجد. فالكثيـر مـن الرجال قالوا لها هـذا سابقاً على مرّ السنوات ولم يتصلوا بها قـطّ. ربمـا يملك صديقة. لم تسأله عـن ذلك. فإذا لم يكن متزوجاً، فهذا

لا يعني أنه حرّ. كل شيء ممكن. لم تتوقّع سماع أخباره مجدداً، بالرغم من أنها استلطفته. لكنه شخص مشهور، ويمكن أن تكون حياته أكثر تعقيداً مما اعترف به. تعرف هذا عن الرجال أيضاً. فقد سمعت الكثير من الوعود في المواعيد الأولى خلال الأعوام العشرين الماضية. ولم تسمع من الرجال قطّ مجدداً.

ساعدها على الصعود إلى سيارة أجرة بعد الغداء، وعادت إلى مكتبها. ثم اتصل بها تيد وقال إنه تحدث إلى كايت، وإنها ترفض العودة إلى الجامعة قبل الفصل التالي. فهي مصممة على العمل في محلّ الوشوم. كان منزعجاً جداً منها وأخبرها بذلك. لكن كايت لم تهتم. لقد حسمت أمرها.

بعد يومين، عادت ليز من باريس، ولم تتوصل إلى أي نتيجة مع كايت أيضاً. أرادت تمضية الوقت مع أختها الصغرى لكنها مشغولة جداً. وبعد ثلاثة أيام من عودة ليز، توجب عليها الذهاب إلى لوس أنجلوس لتغطية موضوع هناك. إنها تعدّ موضوعاً عن المجوهرات المهمة الخاصة بكبار النجوم في الأيام الغابرة. توصلت إلى أكثر من اثنتي عشرة قطعة مهمة موجودة لدى أصحابها. وحددوا تاريخ التصوير في أثناء وجودها في باريس. بالكاد أتيح لها الوقت لإفراغ حقائبها، ومن ثم لتوضيبها مجدداً. يفترض أن يصل جان لوي إلى نيويورك عند عودتها. فقد بقي في باريس لمدة يومين لرؤية داميان، وينوي العودة إلى نيويورك عندما تعود ليز من كاليفورنيا.

أخبرت ليز آني أنهما أمضيا وقتاً رائعاً مع بعضهما في باريس، وأن ابنه ألطف صبي على الإطلاق. فهو لا يسبب أبداً أي إزعاج. وكانت ليز لا تزال تشعر بالأسف على داميان لأنهم سيرسلونه للعيش مع جدته بعيداً، لأن هذا أسهل على والديه، ولكنه ليس بالضرورة الأفضل له. شكت ليز في ذلك، لكنها لم تشعر بالارتياح لمواجهة جان لوي بهذه المسألة. إنه ابنه في النهاية، وليس ابنها. ولو كان داميان ابنها، لما تشاركته معه

قطّ. ولهذا السبب ربما لا تريد إنجاب الأولاد بعد. فهي لا تملك الوقت الكافي من أجلهم، وهي ذكية بما فيه الكفاية لتعرف ذلك.

مرّت ليز بالمنزل قبل سفرها إلى لوس أنجلوس، وشعرت بالأسف لدى رؤيتها آني تكافح مع العكازين، بالرغم من أن آني أصبحت الآن أفضل مما كانت عليه في البداية. لكنها متعبة ولا تزال تتألم، وهي قلقة بشأن كايت. وعدتها ليز بالمحاولة مجدّداً وبالتحدث مع أختها بعد عودتها من لوس أنجلوس.

ساعد بول كايت على نقل أغراضها من مسكن الطلاب في عطلة نهاية الأسبوع. فأعادا كل أغراضها إلى شقة آني، ووضعاها في غرفتها، ثم خرجا للقاء بعض الأصدقاء ومشاهدة فيلم في السينما. أصبح بول يتواجد هنا على الدوام الآن، مما أقلق آني أيضاً. فمهما كان لطيفاً، إلاّ أنها لا تزال قلقة بشأن علاقتهما الجدية ظاهرياً وتأثيرها المحتمل فيهما.

كانوا جميعاً مشغولين، ويعيش كل منهم حياته. آني مشغولة في مشروعاتها، وكايت في العمل أو مع بول، وأصبح تيد رجلاً غامضاً نادراً ما يظهر، ولا تزال ليز في كاليفورنيا. يوم الأحد، قررت آني أنها بحاجة إلى الاستراحة، فذهبت إلى سوق مزارعين تحبه في حديقة تومبكينز في إيست فيلاج. فهناك توجد فاكهة وخضار طازجة، ومربيات منزلية الصنع، وبضائع معلّبة. كان التفاوض صعباً بسبب كاحلها، لكنها نجحت في حمل كيس في كل يد فيما اتكأت على عكازيها. كانت تتحدث إلى امرأة عن مربياتها منزلية الصنع، عندما نظرت إلى الأعلى ووجدت نفسها وجهاً لوجه مع تيد في الجهة الأخرى من المنصة نفسها.

ذهلت حين رأته هناك. كان مع امرأة وولدين. وكانت المرأة تحمل سلة كبيرة وتملأها بالأشياء منزلية الصنع، فيما تشبث به الولدان كما لو أنه والدهما. أدركت آني فيما كانت تراقبهم أنها لا تعرفهم. إنها المرأة التي يقيم علاقة معها، وبدا لها جلياً أنها أكبر من تيد بسنوات عدة. في ضوء النهار، بدت حتى أكبر من ستة وثلاثين عاماً.

فيما نظرت إليه أني مباشرة من مسافة بضع أقدام، والتقت عيونهما، بدا تيد وكأنه سينفجر في البكاء. لا مجال للفرار. عليه أن يُعرّفهما إلى بعضهما. عرّف باتي ولديها إلى خالته، وصدمت آني حين أدركت أن المرأة التي يواعدها أصغر منها ببضعة أعوام فقط. حتى إن آني كانت تتمتع بلياقة أفضل وتبدو أكثر شباباً.

ألقت آني التحية على باتي بتهذيب، وكانت لطيفة مع الولدين، وتفوهت بالقليل من الكلام مع تيد. بدا جلياً أن هذا هو السر الذي كان يحتفظ به، وهو لا يبدو فخوراً به. بدا مذعوراً من رد فعل آني، فابتسمت له برفق، وقبّلته قبل أن تبتعد مستندة إلى عكازيها، وهي تحمل أكياسها. كل ما قالته لتيد في أثناء تقبيله كان: «اتصل بي هذا الأسبوع». عرف تماماً ما تعنيه بذلك. فهي تريد شرحاً لما يحصل معه، ولن تدع هذه المسألة تمرّ بصمت، وعرف أنها لن تقبل بذلك.

وحين استدار نحو باتي بعدما غادرت آني، رأى أنها تحدق إليه بانزعاج، فيما بدا هو مريضاً.

«تبدو مذعوراً. لا يمكنها فعل شيء لك تيد. فأنت لست ولداً». بدت له باتي منزعجة، مثلما بدت آني مصدومة وغير موافقة، مهما حاولت أن تبدو لطيفة.

قال وهو يبدو متوتراً: «أنا ولد بالنسبة إليها».

«لا تدين لها بأي شرح. فهي ليست أمك، وحتى لو كانت كذلك، أنت رجل الآن. كل ما عليك فعله هو إخبارها أننا نحب بعضنا، وأنّ هذا هو الخيار الذي اتخذته». باتي تصرّ مجدداً. لم يتخذ هذا الخيار، بل وقع في شركه، مثل عمل إكراهي يستمتع به. لكنه لا يعرف أبداً لكم من الوقت يريد أن يبقى معها أو ما يعنيه ذلك. تفترض باتي أموراً مريحة لها، لكن تيد ليس واثقاً من أي شيء باستثناء استمتاعه بصحبتها. فبرأيه، وليس فقط برأي آني، لا يزال ولداً. شعر أنه كذلك. ولم يكن يريد أن تملي عليه باتي أي شيء، وكذلك الأمر بالنسبة إلى آني.

كل ما يستطيع قوله لأني بصراحة هو أنه على علاقة مع باتي منذ مناسبة الشكر. لا يعرف أي شيء أكثر من هذا، وهو لا يعرف إذا كان هذا سيخيفها أو سيطمئنها. لكنه ليس مستعداً لإخبارها أن هذا هو الخيار الذي اتخذه، مثلما تريد منه باتي أن يفعل. لقد اتخذت باتي هذا الخيار، أما هو فليس بعد. إنه فقط يمضي وقتاً جيداً.

كان هادئاً جداً في طريق العودة إلى شقة باتي مع السلة المليئة بالفاكهة والخضار التي اشتروها. وضع لها السلة في المطبخ، ولم يعجبها مظهره. فقد كان صامتاً ومنزعجاً منذ أن صادفا خالته.

سألته بفظاظة: «ماذا لو لم توافق تيد؟ ماذا لو طلبت منك التخلي عني؟». عرفا أنها تتحدث عن آني.

«لا أعرف. لن تفعل هذا. إنها امرأة منطقية وتحبني. لكنني لا أعرف إن كانت ستفهم. يصعب تبرير الفرق بين أربعة وعشرين عاماً وستة وثلاثين عاماً». إنه واقعي بشأن هذا. فقد التقاها رفاقه في الجامعة ورأوا أنه مجنون. إنه وضع معقد بالنسبة إليه، مهما كانت علاقتهما الحميمية رائعة.

صححت له باتي: «التبرير ليس صعباً أبداً. نحن نحب بعضنا. هذا هو التفسير الوحيد الذي يحتاج إليه أي كان، بمن فيهم خالتك».

قال تيد فجأة بفظاظة أكثر مما كان يقصد: «ربما أحتاج إلى أكثر من تبرير لهذا». لكنه يكره أن تضغط عليه. «أحتاج إلى أن أعرف كيفية نجاح هذا، وهذه فكرة جيدة. يجدر بي التخرج من كلية الحقوق، وأنت لديك ولدان. نحن في مرحلتين مختلفتين من حياتنا. يصعب أحياناً تجاهل ذلك». حاول أن يكون صريحاً معها، لكنها لم تشأ سماعه. فهي تملك نسختها الخاصة من الرواية، وهي مختلفة عن نسخته. بالنسبة إليها، إنه الحب الحقيقي. وبالنسبة إلى تيد، إن الأمر مجرّد علاقة حميمة رائعة، وهو لا يعرف إذا كان هناك شيء أكثر من هذا.

بدت مذعورة، وأصرّت قائلة: «لا يصعب تجاهل ذلك».

قال بصراحة: «أنت أكبر مني. ربما يمكنك استيعاب الأمر أفضل مني. لكي أكون صريحاً معك، أنا أخاف أحياناً». لطالما كان صريحاً معها، سواء أعجبها ذلك أم لا. ولم تشأ يوماً سماع رأيه.

سألته بتذمر: «ممَّ أنت خائف؟».

«من أن نكون قد حشرنا نفسينا في زاوية لن نتمكن أبداً من الخروج منها إذا أردنا ذلك».

سألته باتي فجأة وهي تنظر إليه نظرة شريرة: «هل هذا ما تريده؟». كانت تهمس كي لا يسمعها الولدان الموجودان في الغرفة المجاورة. لكنهما شغلا التلفاز. قالت والشرّ يلمع في عينيها: «هل هذا ما تقوله لي؟ أتريد التوقف تيد؟ دعني أشرح لك شيئاً. انتظرت حياة كاملة رجلاً مثلك، ولن أدعك تخدعني بشأن علاقتنا. إذا تركتني، فسأقتل نفسي. هل تفهم هذا؟ أفضل الموت على العيش من دونك. وإذا متّ، فسيكون هذا بسببك». سماعها تقول ذلك طعنه مثل السكين، فأغمض عينيه واستدار بعيداً كما لو أنه أراد أن يمحو من عقله ما قالته.

قال بصوت أجش: «باتي، لا...».

«سأفعل، وأنت تعرف هذا جيداً». إنه تهديد أكثر مما هو توسل كي لا يتركها. إنه وعد بتدمير حياته، وحياتها، وحياة ولديها إذا تركها. إنهما معاً منذ ستة أسابيع، وطوقته باتي بطريقة محكمة. والأسوأ من ذلك أنها تهدّده الآن بإنهاء حياتها. وإذا كانت تعني له أي شيء على الإطلاق، فعليه احترام ذلك. لا يمكنه إقامة علاقة حميمية معها يوماً بعد يوم، ومن ثم يتركها. من يعرف إذا كانت ستقتل نفسها فعلاً؟ لكنه لا يريد المجازفة. كان تيد يرتجف عندما خرجت من المطبخ وعادت إلى غرفة الجلوس حيث يجلس ولداها. أوصلت له رسالتها وكانت أقوى من احترامه لخالته. ربحت باتي هذه الجولة؛ مجدداً.

بعد العودة إلى شقتها من سوق المزارعين، كانت آني تفكر فيهما.

لم تكن تعرف هوية هذه المرأة أو ما تعنيه بالنسبة إلى تيد. ولاحظت كم هو منسجم معهم، لكنها لم ترَ الحب في عينيه عندما نظرت إليه، وإنما رأت الرعب. أرادت أن تعرف السبب، وماذا سيفعل حيال الأمر. كيفما استدارت الآن، تجد أن الأولاد الذين أحبتهم قد وضعوا أنفسهم في ظروف صعبة، وأنهم في خطر. وهي عاجزة عن إيقافهم أو حتى عن مساعدتهم. فكل ما تستطيع فعله هو مراقبتهم فيما يجازفون، ليتعلموا في النهاية من أخطائهم؛ تماماً مثلما قالت وينتي. دخلت غرفة الجلوس مستندة إلى عكازيها، وجلست على الأريكة. لا يوجد أحد تستطيع التحدث إليه. كل ما تستطيع فعله هو الشعور بالقلق، والأمل بأن يتخذوا في النهاية القرارات الصائبة، وأن يكون كل شيء على ما يرام. لم تشعر يوماً بمثل هذا الحزن أو العجز.

الفصل الرابع عشر

لم تحتج آني إلى الاتصال بتيد هذه المرة، إذ اتصل بها بنفسه في صباح اليوم التالي، وطلب تناول الغداء معها في ذلك اليوم. فقد نام عند باتي في الليلة الماضية، ولذلك لم يتصل بها. وبعد أن ذهب الولدان برفقة والدهما لتمضية الليلة عنده، وهددته باتي بالانتحار مجدداً كانت علاقتهما الحميمة في تلك الليلة كما لم تكن من قبل. فهي كل يوم تصبح أفضل وأفضل. لكن، ثمة شيء مسعور فيها يخيفه أحياناً. فالصنارة التي تستعملها لإبقائه قريباً منها هي الحميمية. إنها مسببة للإدمان، لكن التهديد الذي وجهته إليه البارحة أيقظه. فهو لا يريدها أبداً أن تنتحر بسببه. وبدا أنها تقصد ذلك فعلاً، وكررت ذلك مرات عدة.

بدا تيد حزيناً عندما التقى آني في مطعم بريد الذي تعرف أنه يحبه. وعندما رأته آني يتجه صوبها، تألم قلبها من أجله. فهو لا يحتاج إلى قول أي شيء لها. وعرفت أنه غارق حتى أذنيه، وأدرك هو ذلك سواء أراد الاعتراف به أم لم يُرد. قلقت آني عليه كثيراً.

تحدثا عن الجامعة، وعن كاحلها لبضع دقائق لكسر الجليد، ثم تطرقت آني إلى الموضوع مباشرة.

«ما مدى تورطك مع هذه المرأة؟ وما الذي تريده منك؟ لا بد من أنها في الأربعين، وأنت مجرد ولد». هذا ما كان يتوقع منها قوله.

«إنها في السادسة والثلاثين. حصل الأمر مباشرة بعد مناسبة الشكر. إنها تعطي صفّ العقود، ونلت علامة سيئة في الامتحان. عرضت عليّ الذهاب إلى بيتها لكي تساعدني، ولم أدر كيف تطور الأمر. وأنا معها منذ ذلك الوقت». كان صريحاً كما هو دوماً. لم يذكر الحب قطّ. قال مع

ابتسامة حزينة: «لكنني حصلت على علامات ممتازة في مادة العقود». حاول تبسيط وضعه. ولم يذكر أنه بالكاد ينجح في المواد الأخرى لأنه لا يستطيع التوفيق بين باتي ومتطلبات كلية الحقوق أيضاً.

«هل العلاقة جدية؟ هل أنت مغرم بها؟». نظرت إليه آني عمداً. لم يكن يبدو مغرماً بها، بل بدا قلقاً.

قال بصراحة: «لا أعرف». ثم أخبر آني عن التهديد الذي وجّهته إليه باتي في الليلة الماضية؛ بأن تقتل نفسها إذا تركها. لم يكن ينوي إخبار آني، لكن باتي أرعبته كثيراً وهو يثق بنصائح خالته. إنها حكيمة ولطالما كانت موجودة لمساعدته. أمّا باتي فقد تعرّف إليها مؤخراً، وبدت غير مستقرة قليلاً.

قالت آني بغضب: «هذا شيء مريع لتقوله لك. لا يمكنها التشبث بك بأن تشعرك بالرعب والذنب. هذا ابتزاز وليس حباً».

«إنها لا تريد أن تخسرني. أظن أنها عانت كثيراً بسبب الطلاق». حاول تيد تفهم المسألة.

«الكثير من الناس مطلقون تيد. لكنهم لا يهددون بقتل أنفسهم إذا لم تنجح علاقاتهم الجديدة. هذا مقرف».

«أعرف». بدا منزعجاً، ولم تشأ انتقاده على الفوضى الذي وضع نفسه فيها لأنه تائه كفاية، وهذا مبرر.

قالت آني بهدوء: «ما الذي أستطيع فعله للمساعدة؟ ربما يجدر بك الابتعاد عنها قليلاً الآن، قبل أن تصبح الأمور أسوأ، وإلا أصبحت معتمدة عليك أكثر مما هي عليه الآن. هل يعرف الولدان بكل ذلك؟». هزّ تيد رأسه.

«إنهما ولدان لطيفان، وأنا أحبهما. يكونان في منزل والدهما عندما أبيت عندها. فهما يتشاركان الحضانة، وطليقها والد جيد. أريد أن أكون معها، آني. لكنني لا أريد أن تكون العلاقة بهذه القوة».

«ربما هذا كل ما تعرفه. يخيفني مثل هؤلاء الأشخاص أيضاً. حاول

الابتعاد عنها قليلاً، من أجلك أنت. أخبرها أنك تحتاج إلى ذلك».

«ستصاب بالجنون إن فعلت ذلك». لم تعرف آني ماذا تقول له. فهي لم تتعامل يوماً مع أي شخص فَقَدَ صوابه هكذا، وحزنت لأن تيد متورط إلى هذا الحد في العلاقة. لديها إحساس قوي بأن باتي تتلاعب به وتعرف تماماً ماذا تفعل. إنه بريء، وتعرف باتي ذلك أيضاً.

تحدثا عن العلاقة خلال الغداء، وشعر تيد بالقليل من التحسن عندما عاد إلى شقته بدلاً من العودة إلى شقة باتي. أعطته آني نصيحة جيدة. فاتصل بباتي وأخبرها أنه سيبقى في شقته هذه الليلة لأنه يجدر به إنجاز بعض الأشياء، وكتابة بعض الأبحاث. أعطته آني الشجاعة لفعل ذلك.

اتهمته باتي عبر الهاتف: «أنت تكذب عليّ، أليس كذلك؟». وانفطر قلبه.

«طبعاً لا. عليّ إنجاز بعض الأمور هنا».

«إنها خالتك. أليس كذلك؟ ماذا فعلت؟ هل طلبت منك الابتعاد عني؟». بدت يائسة جداً وعلى شفير الهستيريا. في وقت قصير، استولت على حياته، وأصبح مطيعاً لها. وبعد أن أصبح الآن أمام تهديداتها واتهاماتها، وجد نفسه عالقاً.

قال تيد بهدوء: «لا تفعل خالتي شيئاً كهذا. إنها امرأة رائعة. وهي قلقة علينا، لكنها تحترم حقي في اتخاذ خياراتي وقراراتي. وهي ليست مجنونة، ولا تهددني».

قالت وهي تبدو غاضبة جداً: «هل تقصد أنني مجنونة؟ حسناً، لست مجنونة. أنا مجنونة بك، ولا أريد أن يعرقل أحد هذا».

«لا أحد يفعل هذا. استريحي. سآتي غداً. يمكننا أخذ الولدين إلى الحديقة العامة».

«سيذهبان مع والدهما خلال عطلة نهاية الأسبوع». كانت هناك نبرة تفاؤل في صوتها فيما قالت ذلك، وعرف ما الذي تقصده. شعر فجأة بالإرهاق لمجرد التفكير في ذلك، لكنه يحس فوراً بالإثارة عندما

تقول أشياء كهذه. بدا وكأن جسمه يخونه ويريدها أكثر منه، ولم يعد لديه أي خيار في هذه المسألة؛ لقد أصبح مدمناً عليها.

وعدهـا قائلاً: «سأتصل بك غداً». واستلقى على سريره محدقاً إلى السقف. لم يكن يعرف ما الذي سيفعله، أو ما الذي أراد فعله أصلاً. إنه ينتمي إليها الآن. وشعر بأنه ملكها. كل ما قالته له آني في أثناء الغداء منطقي. لكن باتي هي المسيطرة، وليس هو. بدا وكأنه لا يستطيع فعل أي شيء؛ ليس هو أو آني بالتأكيد. فباتي هي التي تدير العرض.

بعد أسبوع من تناولهما الغداء معاً، اتصل طوم جيفرسون بآني في مكتبها مجدداً، وقال إنه في منطقة مجاورة لإجراء مقابلة، وتساءل إن كانت ترغب في تناول الغداء معه قبل أن يعود إلى مكتبه. بدا الأمر ممتعاً لها، فوافقت على لقائه في مقهى كلاني، أحد الأماكن المفضلة لديها. كان ينتظرها أمام المقهى ودخلا مع بعضهما. بدت معنوياته جيدة. وكانت آني لا تزال تستعمل العكازين، فيما ذراعه لا تزال في جبيرة، لكنهما لم يعودا يشعران بالألم بسبب الإصابات. أخبرها عن قصة كبيرة يعمل عليها، وأنه قد يذهب إلى كاليفورنيا لتمضية وقت مع الحاكم. أحبت سماع أخبار عمله، وقصصه القديمة عن الحرب. وعندما تحدث عن تجاربه في الشرق الأوسط، أخبرته أن كايت تواعد شاباً من إيران، وأنها مغرمة به.

رأى الحنان في عينيها عندما ذكرت اسم كايت، ولفته أن يكون أولاد أختها قد أضافوا بعداً إلى حياتها غير مألوف بالنسبة إليه لأنه لم ينجب أولاداً. أحسّ كم تحبهم، وأحسّ أن أولاد أختها يملكون حياتهم وآراءهم الخاصة.

قالت عن بول: «إنه شاب لطيف جداً. وهو مهذب، ولطيف، وذكي، وصاحب قيم جيدة، ومحترم. إنه حلم كل أم. لكنني قلقة بشأن خروجها مع شخص من خلفية وثقافة مختلفتين جداً عنها، بالرغم من أنه

أميركي ويعيش هنا منذ أن كان عمره أربعة عشر عاماً. في النهاية، قد تختلف آراؤهما كثيراً. إنها شابة متحررة جداً، وقد تكون أفكارها متطرفة جداً أحياناً. فيما يبدو هو متحفظاً وتقليدياً أكثر منها. قد لا ينجح هذا لاحقاً؛ إذا كان هناك لاحقاً. وأنا أشعر أنهما جديان كثيراً بشأن علاقتهما».

سأل طوم بطريقة منطقية: «ما رأي والديه؟».

«لا أعرف. لم ألتقهما قطّ. كايت من عصر جديد، مع دزينة من أقراط الأذنين في كل مكان، ووشمين. إنها تعمل في محلّ وشوم في الوقت الحاضر. إذا تقبّل والداه ذلك، فهذا يعني أنهم متحررون أكثر مني. كدت أصاب بنوبة قلبية عندما أخبرتني عن عملها، فهي تعتبره نوعاً من الفن». ضحك طوم على الفكرة، وتخيل شكلها.

«وهل كايت وبول جديان في علاقتهما؟ هل يتحدثان عن الزواج؟».

إنه سؤال منطقي، نظراً إلى مخاوفها.

قالت آني وهي تبتسم له: «لا. إنهما صغيران جداً. إنها في الحادية والعشرين، وهو في الثالثة والعشرين. أظن أنه الحب الأول لكل منهما. إنهما ساذجان جداً. يصعب أخذهما كثيراً على محمل الجد، لكنني قلقة. وأظن أنني سأقلق من علاقتها مع أي شاب، أينما كان. لا أريد أن يتحطم قلبها، أو أن تجعل نفسها في وضع تندم عليه لاحقاً، فقد يحطّم ذلك قلبيهما معاً».

«لا تنسي روميو وجولييت. قد يجن جنون الأولاد عندما يكونون شباباً. لكن، إذا قلتِ إنه شاب لطيف، فأنا واثق من أنهما سيكونان بخير. ربما هي منطقية أكثر مما تظنين».

أخبرته عن تيد حينها وعن المرأة الأكبر منه سناً، وعن قلقها حيال علاقتهما. قال طوم بجدية: «قد تكون مثل هؤلاء النساء خطيرات. تبدو مهووسة». هذا هو رأي آني أيضاً. وهي لم تتوقف عن التفكير في الأمر منذ أن رأتهما معاً، وتناولت الغداء مع تيد، وكان صريحاً معها بشأن مخاوفه. «إنهم يبقونك مشغولة، أليس كذلك؟».

«الآن أكثر من الوقت الذي كانوا فيه صغاراً. كانوا يشغلون وقتي أكثر في مباريات كرة القدم وصفوف الباليه. لكنهم يسببون لي الآن المزيد من القلق. فالقرارات التي يجدر بهم اتخاذها أكبر، والمخاطر أكبر بالنسبة إليهم. وهم لا يفهمون ذلك دوماً، ولا يرون المخاطر التي يواجهونها». بدت قلقة فيما قالت ذلك. «وابنة أختي الكبرى تخاف من الارتباط، ومدمنة على العمل. أشعر بالمزيد من العجز كلما كبروا».

ذكّرها طوم بلطف: «نعم، لكنها حياتهم وليست حياتك».

قالت آني بتعبير حزين: «يسهل قول هذا أكثر من إدراكه».

اقترح طوم بحذر: «ربما إذا اهتممت أكثر بحياتك، فسيصبحون أكثر استقلالية. لا يمكنك البقاء أمامهم إلى الأبد، على حساب حياتك الخاصة. ستة عشر عاماً وقت طويل». لم تعارضه، لكنها لا تتخيل نفسها بعيدة عنهم الآن. وفاجأها سؤالها التالي. «هل تظنين أن هناك مجالاً لوجود رجل في حياتك الآن آني؟ يبدو أنك انتظرت وقتاً طويلاً لتعيشي حياتك، وربما تظنين أنك لا تستحقين حياة خاصة بك. يبدو وكأنك قد وفيت بوعدك لأختك. لكن، لا يمكنك التخلي عن حياتك من أجلهم إلى الأبد». أومأت برأسها. عرفت أن ما قاله صحيح. لكنها لم تكن تعرف كيف تفعل ذلك، أو متى.

قالت ببساطة: «أظن أن هناك مجالاً. لم أحاول عيش حياتي منذ زمن طويل». ولم أرغب حتى في ذلك؛ فكّرت في سرّها، لقد أشبع الأولاد كل حاجاتها العاطفية لوقت طويل، وأخذوا كل وقتها وطاقتها وانتباهها.

كان طوم مفتوناً بها وبكل ما أنجزته، لكنه لاحظ أيضاً أنّ عليه تجاوز عقبة للوصول إليها. وظن أنها تستحق ذلك. «هل تودين تناول العشاء معي في الأسبوع المقبل؟».

«لماذا لا تأتي ليلة الأحد وتتعرف إلى الأولاد؟ يمكننا الخروج

لتناول العشاء مع بعضنا في مرة أخرى». أرادت أن يتعرف إلى عائلتها ويرى حياتها. وأحب الفكرة، وكذلك فكرة الخروج معها بمفرده. هناك وقت للقيام بالأمرين معاً.

وعدها قائلاً: «سأتصل بك يوم الأحد لأرى ما هي مشروعاتك». فابتسمت، وتابعا التحدث إلى بعضهما إلى أن غادرا المطعم. وأخبرها أنه سيتصل بها إذا توجب عليه المغادرة إلى كاليفورنيا. فهو لا يزال يسافر كثيراً، ولكن ليس إلى أمكنة بعيدة كما في السابق.

استمتعت آني بتناول الغداء مع طوم. وعندما عادت إلى مكتبها، أحبت فكرة دعوته إلى العشاء ليلة الأحد. وطلبت من كايت في تلك الليلة أن تكون في المنزل ليلة الأحد لتناول العشاء معها. وقالت لها إنها تستطيع دعوة بول. فقد أرادت أن يتعرف طوم إليه. وتركت رسالة لتيد وطلبت منه المجيء إلى المنزل ليلة الأحد. لم تذكر طوم، ولم توجه الدعوة إلى باتي. وأملت أن تكون ليز قد عادت من لوس أنجلوس عندها أيضاً. عرفت أنها رحلة قصيرة، لكنّ ليز لم تحدد متى ستعود، ولم تسمع آني أخبارها منذ أن غادرت. عرفت أن ليز تكون دوماً مشغولة جداً للاتصال بها، وكانت متحمسة لدعوة طوم للتعرف إليهم.

تلك الليلة قبل أن تنام، فكرت في سؤاله إيّاها عمّا إذا كان هناك مجال في حياتها لرجل الآن. استلطفته وأحبت التحدث إليه؛ إذ لا تنفد أبداً الموضوعات التي تهمهما معاً. لكن الجواب الحقيقي عن سؤاله هو أنها ليست واثقة. بعد كل هذه السنوات من العيش مثل ناسكة، مثلما قالت كايت، لم تكن تعرف إذا كان هناك مجال لوجود رجل في حياتها، أو حتى إذا كانت تريد رجلاً أصلاً. فقد مضى وقت طويل جداً على وجود رجل في حياتها. والحياة أكثر سهولة هكذا. يصعب عليها في عمر الثانية والأربعين تقرير ما إذا كانت تريد البقاء بمفردها أو المجازفة بالاهتمام برجل مجدداً. إنها لا تعرف ماذا تريد، بالرغم من أن طوم رائع فعلاً. وهي ليست واثقة تماماً إن كانت تريد إغلاق ذلك الباب والتخلي عن

العلاقـات إلـى الأبـد. فقد عاد هذا الباب ليفتح قليلاً الآن، وهو ينتظرها لكي تفتحه كله، أو تغلقه بهدوء وتدير المفتاح.

كانـت رحلـة ليـز إلى كاليفورنيـا ممتازة. فقد تعرفـت خلالها إلى أشخاص رائعيـن، ورأت مجوهرات مذهلـة، وأنجزت بعض الأبحاث المهمة عن النجوم الذين تخصهم تلك المجوهرات. لم تحصل أي مشكلة، وبعـد يوميـن من التصويـر المستمر والمقابلات في منـازل الأشخاص، استطاعت إعداد ملف مهم والعودة به. وكان عدم وجود أي مجوهرات لإعادتها إلى الموردين أمراً جيّداً؛ لأنها بقيت كلها مع أصحابها الحاليين. لـم تملـك حتـى الوقت للاتصال بجان لوي عندمـا غادرت. فقد ركضت فـي المطـار للحـاق بآخر طائرة إلى نيويـورك؛ إذ كانت ساعتها لا تزال علـى توقيـت باريس، وبدت مرهقة. أملـت أن تستريح قليلاً عندما تعود إلـى نيويـورك، على الأقل لبضعة أيام. وكانـت متحمسة بسبب عودتها إلى المنزل قبل يومين من الوقت المحدّد. كانت باريس مرهقة، ولوس أنجلوس ممتعة وإنما فيها الكثير من العمل. نامت حتى قبل إقلاع الطائرة.

لـم تستيقـظ إلا عندمـا هبطـت الطائرة في مطار جـون كنيدي في نيويـورك. كانـت قد أخذت معها حقيبة صغيرة فقط، ولذلك خرجت من المطـار بسرعـة، وأعطـت سائق سيارة الأجـرة عنوانها. ثم فكرت في أنـه مـن الأفضـل لها الذهاب إلى منزل جان لـوي. إنها الساعة السادسة صباحـاً، ولا يـزال الوقـت مبكراً جداً للاتصال بجان لوي، لكنها تعرف مكان المفتاح وتستطيع الدخول بمفردها والاستلقاء على سريره. لقد فعلت هذا مرات عدة خلال العام الماضي كلما عادت من رحلاتها. كانت أمام مبناه عند الساعة السادسة والنصف صباحاً. أخذت المفتاح من وراء مطفأة الحريق في الممر، ودخلت المنزل. كانت الغرفة مظلمة، فقد وضع جان لـوي الستائـر عندما انتقل للعيش هنا؛ مثـل الستائر الموجودة في فرنسا. وقـال إنـه ينـام أفضل بهذه الطريقة، وهو محـق. فعندما تنام ليز عنده،

لا تستيقظ أحياناً إلا عند الساعة الثانية من بعد الظهر؛ خصوصاً إذا كانت متعبة أو عائدة للتو من رحلة. العتمة الكاملة تجعلها تنام بسلام لساعات.

كانـت تعـرف طريقهـا في الشقة جيداً، وساعدها الضـوء الخفيف الصـادر مـن الحمـام على الوصول إلـى السرير. خلعـت ملابسها على الأرض قـرب السرير، وانزلقت على السرير قربه، ووضعت ذراعيها برفق حوله. لكن، ما إن فعلت ذلك حتى علا صراخ مفاجئ. لم تعرف من الصارخ، لكنه ليس جان لوي. جلست على السرير منتصبة، وكذلك هو، وضغط على زر المصباح بسرعة فأنار الغرفة. نظرا إلى بعضهما، ثم نظرت ليز إلى المساحة الفاصلة بينهما في السرير، ووجدت ليز نفسها تحـدق إلـى فرانسـواز، صديقته السابقة ووالدة داميـان. بدوا هم الثلاثة مذهوليـن، وقفـزت ليز من السريـر. الجسم الذي غمرته في العتمة كان جسم فرانسواز، وليس جان لوي.

قالت ليز محدّقة إليه: «ما هذا؟». كانت مصدومة جداً بحيث نسيت ارتداء ملابسها، وكانوا هم الثلاثة عراة. «ظننت أنكما مجرد صديقين».

شرح جان لوي وهو يبدو فرنسياً جداً: «لدينا ابن مشترك». استلقت فرانسواز هناك، ونظرت إلى السقف. بدت مرتاحة تماماً على سريره، ولم تبذل أي جهد للتحرك. وبالرغم من المناقشة الحامية بين ليز وجان لوي، فقد تصرفت وكأنه ليس لها علاقة بما يحصل.

صرخـت ليـز: «وما علاقة ذلك بأي شيء؟ مـا الذي تفعله هنا؟». اتـكأت فرانسـواز على مرفق واحد ونظـرت إليهما معاً، متأملة المشهد، فوجّهت إليها ليز نظرة غاضبة. لم تكن فرانسواز محرجة مطلقاً.

شـرح جـان لوي بصوت خافت: «لديها عمل هنا هـذا الأسبوع، ومرّت لإلقاء التحية». ما من شيء يستطيع قوله لتبرير المشهد.

حدقـت إليـه ليز، وتمددت لرفع ثيابها عن الأرض. «يبدو لي هذا أكثـر مـن مجرد إلقاء تحيـة. قلت إنك مخلص لي أيها الأحمق». ارتدت ثيابهـا فيمـا كانت تقول ذلك. ثم نهضـت فرانسواز عن السرير، ومرت

أمامها لدخول الحمام.

قال لليز بإصرار: «أنا مخلص لك. أحبك. أنا وفرانسواز مجرد صديقين جيدين».

«هذا هراء. قل هذا لشخص آخر. إنه خداع. هذا هو الأمر». وهي واثقة الآن بأنّ الملابس الداخلية التي وجدتها في الدّرج في شقته في باريس موجودة منذ أقل من أربعة أعوام. وتساءلت عن الوقت الذي بدأ فيه هذا الأمر، أو إن كان قد توقف أساساً. فقد بدت فرانسواز مرتاحة تماماً في الشقة وعلى سريره.

قال جان لوي، وهو يحرر نفسه من الملاءات ويقف قربها: «لا تكوني نيقة جداً في هذا. تحصل مثل هذه الأمور. إنها لا تعني أي شيء». حاول وضع ذراعيه حول ليز، لكنها لم تسمح له.

«إنها تعني الكثير بالنسبة إليّ». شعرت الآن بالحماقة لثقتها به. فالرجال مثل جان لوي ليسوا أوفياء أبداً لأي كان. أدركت أنه ربما كان يخدعها خلال العام الماضي، وأن فكرة الحصرية لا علاقة لها أبداً بها، ولا تعني له أي شيء. قالت له ليز: «كان يجدر بي أن أحزر». فيما دخلت فرانسواز غرفة الجلوس، وأشعلت واحدة من سجائر جيتان الخاصة بجان لوي. بدت شاردة تماماً، ولم يزعجها قطّ المشهد المحرج، وعرفت ليز أنها تملك صديقاً أيضاً. إنهما يتحرشان بأي شيء يتحرك أمامهما.

الغباء القاتل عند ليز هو ظنها أنّ جان لوي مختلف؛ فالرجال مثله ليسوا أوفياء أبداً. ليس هذا موجوداً في جيناتهم. كانت تعرف ذلك لكنها حاولت دوماً أن تقول لنفسها إن الأمر سيكون مختلفاً هذه المرة، لكنه لم يكن هكذا يوماً. جان لوي مثل كل الرجال الآخرين الذين خرجت معهم. إنهم جميعاً نسخ عن بعضهم. فهي تختار دوماً الرجال الذين لا يستطيعون الالتزام أو أن يكونوا أوفياء، ويتطابق ذلك تماماً مع خوفها من الالتزام والوصول إلى نهاية محتمة. عاشت مثل هذه التجارب قبلاً.

قالت وهي تنظر إليه بقرف: «ألا تملك شيئاً من الأخلاق؟ أنا أفضل من هذا، وأذكى. لا أعرف لماذا صدقتك». لم تحبه، وهي تعرف هذا تماماً، لكنها استلطفته كثيراً ووثقت به، وكان هذا خطأً كبيراً. الرجال مثله هم الذين تلتقيهم في عالمها. عالم الموضة مليء بهم؛ رجال يتصرفون مثل الأولاد إلى الأبد ولا يلتزمون بالقواعد أبداً. لا توجد قواعد، وإنما مرح فقط. وفي النهاية، يتألم شخص دوماً. لقد سئمت من هذا. ارتدت ملابسها، ونظرت إليه بازدراء.

«أنت أحمق جان لوي، ومثل سيئ عن الرجل. والأسوأ من ذلك، إنّك أب فاشل. فأنت تبتكر الأعذار كي لا تتواجد مع ابنك، ولتتخلّى عنه لشخص آخر. أستحق شخصاً أفضل منك، والأهم أنه يستحق هو أيضاً أباً أفضل منك. لمَ لا تستيقظ أنت وفرانسواز وتنضجان، بدلاً من الاهتمام بنفسيكما طوال الوقت؟». ونظرت إليه مباشرة وإلى فرانسواز في أثناء خروجها. لم يتفوه جان لوي بأي كلمة فيما خرجت ليز وأغلقت الباب وراءها بقوة. كانت مصدومة لإدراكها أنها ليست حزينة فيما كانت تنزل الدرج، بل شعرت بالارتياح. لقد انتهت من الرجال أمثاله، لقد نضجت. أما هو فلن ينضج أبداً.

أقسمت لنفسها فيما أوقفت سيارة أجرة أنها لن تخرج أبداً مع رجل مثله مجدداً. فهي تفضل أن تكون وحيدة على أن تبدّد وقتها. أنزلت زجاج النافذة، وتركت الهواء البارد يلفح وجهها في أثناء عبورها المدينة. شعرت بالحرية أخيراً. لم تكن غاضبة أو حزينة، بل كانت مستعدة للمضي قدماً.

الفصل الخامس عشر

اتصلت ليز بآني لاحقاً في ذلك الصباح وأخبرتها بما حصل. أسفت آني لسماع ذلك، لكنها سمعت مثل هذه القصص من ليز قبلاً. إذ يحدث دوماً خطب ما في علاقاتها يدفعها إلى إنهائها. وعرفت آني أنه يعود إلى ليز الآن ألاّ تختار مثل هؤلاء الرجال كي لا تتعلق بهم. لكن ليز بدت مختلفة هذه المرة. قالت إنها تفضل البقاء بمفردها على التورط مع شخص مثل جان لوي. وبدا أنها تقصد ذلك فعلاً. قالت إنها سئمت من الرجال الذين يتصرفون بهذه الطريقة ويكونون غير ناضجين، وغير صادقين، وأنانيين. وأملت آني أن تكون محقة هذه المرة.

وتساءلت آني إن كانت ستجازف في المرة التالية في الخروج مع شخص مناسب. بدا واضحاً من عدم اهتمامها بما جرى أنها لم تحب جان لوي.

كانت ليز في شقتها مرتدية ثوب استحمام ورديا عندما اتصلت بها آني. فقد استحمت ما إن وصلت إلى المنزل. ولم يتصل بها جان لوي، وعرفت أنه لن يفعل. وصدمت لإدراكها أنها لا تبالي. لقد انتهت علاقتهما.

تحدثت آني إلى ليز لمدة ساعة تقريباً، ثم نهضت وحضرت لنفسها كوباً من الشاي. لا تزال كايت نائمة. ودعت آني ليز لتناول العشاء معهم في تلك الليلة، وقالت ليز إنها ستأتي. فهي تحب تناول العشاء ليلة الأحد في منزل آني، بالرغم من أن ذلك نادر جداً.

اتصل بها طوم في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، بعدما عاد من مباراة لكرة القدم. وكان متحمساً لفوز فريق جيتس.

سألها بعفوية: «هل لا يزال موعدنا على العشاء قائماً؟ لا أريد التطفل».

«أنت لا تتطفل. أريد أن أعرّفك إلى الأولاد».

«يبدو هذا ممتعاً. أنتم مجموعة مذهلة».

«انتظر حتى تلتقينا جميعاً قبل أن تقرر هذا. في الواقع نحن عائلة طبيعية».

«أشك في ذلك نوعاً ما. فأنت تبدين لي مميزة جداً».

«إذا كان هذا إطراء، شكراً لك». بدا مميزاً بالنسبة إليها أيضاً. فهو مثير وذكي، وبدا منفتح التفكير، ولم يكن مملاً. يملك حياة مثيرة ومهنة رائعة. ليس مغروراً بنفسه، ويطرح كل الأسئلة الصحيحة. إنهما صديقان فقط في الوقت الحاضر، لكنه أول رجل تلتقيه منذ أعوام عدة ويبدو لها جدياً، وأحبت شكله الخارجي. شعر بالشيء نفسه حيالها. إنها طائر نادر بين سرب النساء المملات اللواتي التقاهنّ منذ طلاقه. وعلى عكس معظم الرجال في مثل عمره، لم يكن يهتم ببنات الثانية والعشرين.

لم تكف أني عن التساؤل عندما دعته لتناول العشاء إن كانت ليز ستعجبه؛ فهي فتاة جميلة. أني فلسفية في حياتها، ومستعدة تماماً لترك القدر يقرر مصيرها. طوم ليس ملكاً لها، ولا يمكنها وضع خيار على الأشخاص. إنه مجرد رجل التقته في المستشفى بمحض الصدفة، ولا شيء أكثر من هذا.

نسيت أن تخبر الآخرين عنه إلا مباشرة قبل العشاء. إنها الساعة السادسة مساء، وطلبت من طوم المجيء عند الساعة السابعة. حضرت المعكرونة وكرات اللحم وسلطة خضراء. وسيتناولون البسكويت بالشوكولاته والبوظة بعد العشاء، مثلما كانوا يفعلون ليالي الأحد عندما كانوا أولاداً صغاراً.

كانت ليز جالسة على الأريكة تتحدث إلى كايت، وتحاول إقناعها بالتخلي عن العمل في محل الوشوم وبالعودة إلى الجامعة، وكان بول يقرأ مجلة فيما تحدثت الأختان إلى بعضهما. كانت ليز تقول لكايت الأشياء

نفسها التي قالها لها قبلاً، ولكن من دون جدوى. فهو يظن أنه يجدر بها العودة إلى الجامعة. استدارت كل الرؤوس، بما في ذلك رأس بول، عندما أعلنت أني بعفوية أن رجلاً سيأتي لتناول العشاء معهم.

سألت ليز بذهول: «أي رجل؟».

«مجرد شخص التقيته في الآونة الأخيرة». بدت أني عادية وغير متأثرة فيما قالت ذلك وجلست في غرفة الجلوس معهم. لم يصل تيد بعد، وكذلك طوم.

أصرّت ليز: «هل تقصدين أنه موعد غرامي؟».

«لا. لقد كسر ذراعه عندما أصبت كاحلي. أمضينا أربع ساعات في قاعة الانتظار في قسم الطوارئ. ليست مسألة مهمة. تناولنا الغداء مع بعضنا مرتين». بدت أني وكأنها تخبرهم أنها قررت إعداد البرغر بدلاً من كرات اللحم، كما لو أنه لا توجد أي عواقب على الإطلاق. قالت ذلك لنفسها منذ أن التقيا.

«انتظري دقيقة». نظرت إليها ليز كما لو أن مذنباً قد هبط للتو في غرفة الجلوس. «تناولت الغداء مع هذا الرجل مرتين، وأمضيت معه أربع ساعات في قاعة الانتظار في قسم الطوارئ، ولم تخبرينا؟».

«ولماذا يجدر بي إخباركم؟ نحن لا نتواعد. دعاني لتناول العشاء، فدعوته إلى هنا بدلاً من ذلك. أردته أن يتعرف إليكم جميعاً».

حدقت إليها ليز من حيث كانت تجلس وقالت: «أني. لم تواعدي رجلاً منذ العصر الحجري، وتتصرفين وكأن هذا لا يعني أي شيء».

قالت بعفوية: «إنه لا يعني أي شيء. نحن مجرد صديقين».

سألت كايت متفاجئة مثل أختها من إعلان أني: «ومن هو؟».

«يعمل في التلفاز. إنه مطلق، وليس لديه أولاد، ويبدو شخصاً لطيفاً. ليست مسألة مهمة».

أصرت كايت وليز على رأيهما بالقول: «إنها مسألة مهمة». فيما أصبح بول مهتماً الآن أيضاً. كانوا يناقشون الأمر بحماسة عندما دخل

تيد. أخبر باتي أنّ عليه الذهاب إلى المنزل لتناول العشاء مع عائلته وغادر بالرغم من أنها أصيبت بنوبة غضب. لن يسمح لها أبداً بإبعاده عن خالته وأختيه. بالرغم من إدراكه أنه سيدفع الثمن لاحقاً. عرف أن تناول العشاء معهنّ يستحق العناء، وهو يحاول الأخذ بنصيحة آني والابتعاد عن باتي قليلاً، بالرغم من أنّ الأمر لم يعجبها قطّ.

سأل تيد فيما وضع معطفه على الكرسي في الردهة ودخل: «لمَ كل هذه الحماسة؟». لم يفهم شيئاً من المحادثة، لكنهم بدوا جميعاً متحمسين من أجل شيء ما.

«دعت آني رجلاً لتناول العشاء الليلة. تناولت الغداء معه مرتين، والتقيا عندما تعرّض كاحلها للالتواء». لخصت له ليز المسألة، وابتسم ابتسامة عريضة.

«هذا مثير». تبادل تيد وبول نظرة. بدا هذا حديث نساء بالنسبة إليهما. سأل آني: «هل أنت جادة بشأنه؟». فهزّت رأسها وهي تجيبه: «بالكاد أعرفه. رأيته فقط ثلاث مرات في حياتي. قد يرغب في مواعدة ليز، بالرغم من أنه كبير جداً بالنسبة إليها». حاولت ألا تنظر إلى تيد فيما قالت ذلك. ليس هذا فخاً، وإنما هو الحقيقة. أخبرت ليز وكايت عن باتي، وشعرتا بالقلق أيضاً. قالت ليز إنها تبدو مجنونة، ورأت كايت أنه من الجيد الخروج معها للحصول على علامات ممتازة في مادتها. لكن آني لم توافقها الرأي.

مازحها تيد قائلاً: «كم عمره؟».

«أكبر مني بسنوات قليلة». سمعته يعطي عمره في المستشفى. «إنه في الخامسة والأربعين».

قال تيد مبتسماً: «سأبلغك بموافقتي بعدما ألتقيه». لكن، بالرغم من الأسئلة والمزاح، كانوا جميعاً متفاجئين ومسرورين من أجلها. فهم لا يذكرون آخر مرة دعت فيها آني رجلاً لتناول العشاء في المنزل. ربما لم يحصل هذا قطّ. لكن طوم جيفرسون بدا صديقاً لها أكثر مما هو موعد

غرامي. وقبل أن يناقشوا الأمر أكثر، رنّ جرس الباب، وذهبت آني لاستقباله. كان يرتدي سروال جينز وكنزة وينتعل جزمة، وبدا مرتاحاً ولطيفاً فيما عرّفته إلى الجميع. لاحظت أن البنتين راقبتاه عن كثب، فيما تحدث إلى تيد عن مباراة كرة القدم التي حضرها بعد الظهر. سجل فريق جيتس ثلاثة أهداف دفعة واحدة في الشوط الأول، وهذه أعجوبة لهم. انضم بول إلى الحديث، بالرغم من أنه لا يحب كرة القدم مثل تيد. وقالت الفتاتان لآني في المطبخ إنه فعلاً وسيم المظهر وبدا مألوفاً لهما.

قالت آني ببساطة: «إنه مقدم نشرة الأخبار». فيما تحققت من المعكرونة وخلطت السلطة. أعدت الطاولة في المطبخ. وكانت الطاولة كبيرة كفاية وتتّسع لهم. إنها وجبة عائلية، ولم تحدث جلبة كبيرة. إنهم فقط ستة أشخاص.

قالت لها ليز: «إنه ماذا؟ هل هذا طوم جيفرسون؟ أصبت الجائزة الكبرى هذه المرة. إنه رائع».

«لا أعرف ذلك بعد، ولا أنت. التقيته للتو. دعونا نأكل الآن».

وفي نهاية العشاء، تصرفوا جميعاً وكأنهم أصدقاء قدامى. أمضى طوم وقتاً طويلاً وهو يتحدث إلى بول عن جمال إيران، وبدا أنه يعرف عنها أكثر مما يذكر بول؛ إذ لم يذهب إلى هناك منذ سنوات المراهقة. بعد ذلك، تحدث طوم وتيد عن كرة القدم وكلية الحقوق. وأجرى محادثة حيوية مع ليز حول الموضة، وطرح على كايت الكثير من الأسئلة بشأن الوشوم، وعن سبب قولها إنّ الوشم نوع من الفن. الشخص الوحيد الذي تحدث إليه قليلاً كانت آني، لكنه بقي لمساعدتها على تنظيف الطاولة، فيما صرفت الآخرين إلى غرفة الجلوس.

قال مع نظرة حنون: «إنهم مجموعة رائعة. لقد أنجزت عملاً رائعاً».

«لا. إنهم هم. حاولت فقط أن أعلمهم أن يكونوا صادقين مع أنفسهم».

«إنهم صادقون، وأنت تعرفين ذلك. تصرّ كايت على أن الوشوم فن». أدارت آني عينيها حين قال ذلك، فضحك. ثم استدارت نحوه مع ابتسامة دافئة فيما شغلت غسالة الصحون.

«شكراً على تناولك العشاء معنا. أنا فخورة جداً بهم».

هنأها قائلاً: «إنهم فعلاً جائزة حقيقية لك». أنهيا التنظيف وشكرته، ثم ذهبا للانضمام إلى الآخرين. أصرّ الشباب على لعب الأحجيات بعد ذلك، وهذا ما لم يفعلوه منذ أعوام. كان طوم بارعاً فيها. وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة عندما نهض للمغادرة. ودع الجميع، ورافقته آني إلى الخارج، وشكرها مجدداً على الأمسية الرائعة، وذكّرها بوعدها بتناول العشاء معه. قال: «لقد وافقت». وضحكت.

قالت بحنان: «أودّ ذلك». إنه رائع. لا تعرف بعد إذا كان موعدهما موعداً غرامياً أو مجرد موعد بين صديقين، لكن على كل حال، استمتعوا جميعاً بتمضية السهرة معه، وكذلك فعل هو.

«سأتصل بك غداً لنحدّد اليوم». قبّلها برفق على وجنتها ثم غادر. وفيما عادت إلى الغرفة على عكازيها، كان الجميع يضحكون ويتحدثون ويبتسمون لها.

أعلن تيد: «بصفتي الممثل الرسمي للعائلة، أعلن موافقتي. إنه رائع. فهو يعرف كل شيء ضروري عن كرة القدم».

أضاف بول: «وعن الشرق الأوسط».

علقت ليز وهي تبتسم لخالتها: «ويعرف الكثير عن الموضة».

قالت كايت مبتسمة: «ويعرف تماماً الأهمية الاجتماعية للوشوم».

قالت آني وهي تبتسم: «أظن أنكم ترونه فاتناً. لكنني أستلطفه أيضاً».

أضاف تيد: «يمكنك الزواج به ساعة تريدين. أعطيك موافقتي».

ذكرته آني: «استرح. إنه مجرد صديق».

قاطعت كايت قائلة: «هذا هراء آني، وأنت تعرفين ذلك. نظر إليك وكأنه يريد تقبيلك».

«لا. لقد استلطفكم جميعاً».

وافقت ليز قائلة: «نحن استلطفناه أيضاً». لقد أمضت وقتاً رائعاً بحيث نسيت المشهد المريع مع فرانسواز وجان لوي في ذلك الصباح. الأمسية التي أمضوها كانت بسيطة وشاملة وغير معقدة، وانتهت بالأحجيات. ضحكوا كلهم كثيراً.

أخرج تيد لوحة المونوبولي القديمة ولعب الشبان الأربعة حتى الساعة الثانية من بعد منتصف الليل، فيما خلدت آني إلى السرير قبل وقت طويل. لكن، تسهل الملاحظة أن السهرة كانت ناجحة. وانسجم بول معهم أيضاً. أحبته آني، وأحبت طوم أيضاً. ومهما حصل، أو لم يحصل، شعرت أنه يمكنهما أن يكونا صديقين.

غادر بول وتيد الشقة بعد انتهاء اللعب. فيما قررت ليز تمضية الليلة مع كايت وآني، واستمرت الأختان في التحدث في غرفة نوم كايت حتى الساعة الثالثة تقريباً. وأخبرتها ليز بما حصل مع جان لوي. لم تكن ليز غاضبة جداً، بالرغم من اعترافها بخيبة أملها منه، ومن نفسها: من جان لوي بسبب خداعه وكذبه عليها، ومن نفسها لأنها اختارت فاشلاً آخر. أقسمت ألا تفعل ذلك أبداً مجدداً، وأملت كايت أن يكون هذا صحيحاً.

تشارك تيد وبول سيارة الأجرة عندما غادرا منزل آني، وأوصل بول تيد إلى شقته. كان الوقت متأخراً جداً للاتصال بباتي، ولم يكن يريد النوم عندها على كل حال. استمتع بتمضية السهرة مع العائلة والأصدقاء. وأحب النوم على سريره للتغيير. كان نائماً عندما اتصلت به باتي في صباح اليوم التالي، واحتاج إلى بضع دقائق للاستيقاظ وفهم ما تقوله.

«أين كنت في الليلة الماضية؟ قلقت عليك طوال الليل». بدت مسعورة ومتألمة.

قال وهو يشعر بالنعاس: «كنت مع خالتي وأختيّ وصديق أختي. لعبنا الأحجيات والمونوبولي، وتأخر الوقت».

«كان في وسعك الاتصال».

«لـم أشـأ إيقاظـك». بالإضافة إلى ذلك، كان يستمتع بوقته ولم يشأ الاتصال بها.

قالت بصوت هادئ: «أحتاج إلى رؤيتك فوراً».

«هل من مشكلة؟».

رفضت مناقشة الأمر عبر الهاتف، وقال إنه سيكون عندها خلال ساعة تقريباً بعد أن يرتدي ثيابه. فليست المسألة طارئة، ولم يتعرض أحد الوالدين للأذى. تناول الفطور مع أحد رفاقه في الشقة قبل أن يغادر، ووصل إلى شقة باتي بعد ساعتين. لاحظ أنها تبدو متوترة وشاحبة، وبدت مريضة.

«ما المشكلة؟». توقع أن يجنّ جنونها عليه بسبب الليلة الماضية. فهي لا تحب عائلته، ولا تريده أن يمضي الوقت معها. توقع سماع ذلك منها، لكنه لم يتوقع قطّ ما قالته. فما قالته ضربه بقوة أكبر من الركلة على المعدة.

«أنا حامل». حدق إليها لبعض الوقت، ولم يقل أي كلمة. لم يعرف ماذا يقول. إنها سابقة بالنسبة إليه.

«آه». خرجت الكلمة من فمه وكأنها شهقة هواء صغيرة. أراد أن يسألها كيف حصل ذلك، لكنه عرف. حاول استعمال الواقي دائماً، لكنها لم تكن تسمح له بذلك أحياناً. قالت إنه يزعجها. كان أحمق. «اللعنة، باتي. ماذا سنفعل؟». عرف ما يجدر بهما فعله، لكنه لم يواجه هذا الوضع من قبل قطّ. فلطالما كان حذراً، وكانت صديقته السابقة مسؤولة جداً، وتتناول حبوب منع الحمل. أخبرته باتي منذ البداية أنها لا تتناول هذه الحبوب. لكنه أمل ألا تحمل بسهولة في مثل عمرها. يبدو أن هذا لم يكن صحيحاً.

«ماذا تقصد بقولك ماذا سنفعل؟ سأنجب الطفل طبعاً. هل تمزح؟ لن أجري إجهاضاً في مثل عمري. قد لا تتاح لنا أبداً فرصة أخرى. بالإضافة إلى ذلك، إنه طفلنا، من لحمنا ودمنا، ثمرة حبنا». قالت باتي

ذلك كما لو أنه أمر جلي، وتوقعت منه أن يوافقها الرأي.

قال وهو يبدو غاضباً: «لا، ليس الأمر كذلك. إنه ثمرة غبائنا. كنت طائشاً وأنت أيضاً. ليس هذا حباً باتي. إنه شهوة».

قالت وهي تتشبث به والدموع تتلألأ في عينيها: «هل تقول إنك لا تحبني؟ كيف يمكنك أن تقول لي شيئاً كهذا؟ أنا أحمل طفلنا».

سألها: «ماذا عن حبوب منع الحمل التي يتم تناولها لاحقاً؟ سمعت أنها مجدية فعلاً». لقد سمع عنها من أحد رفاقه في الشقة. لقد استخدمها هو وصديقته مرات عدة. يتم تناولها خلال اثنتين وسبعين ساعة. «منذ متى أنت حامل؟».

«تأخرت دورتي الشهرية ثلاثة أسابيع». يعني ذلك أنها حامل في الأسبوع الخامس.

«لماذا لم تقولي شيئاً قبل الآن؟». بدأ يظن أنها فعلت ذلك عمداً، وشعر بأنه علق في فخ.

قالت وهي تنفجر في البكاء: «ظننت أنك ستكون سعيداً تيد. سننجب الطفل عاجلاً أو آجلاً. فما الفرق إذا حصل الأمر الآن؟».

«هل تمزحين؟ أنا في كلية الحقوق. لا أملك المال أو وظيفة. أعيش من بوليصة التأمين التي تركها لي والداي، والتي بدأت تنفد تقريباً. تساعدني خالتي في مصروفي. كيف تظنين أني سأعيل طفلاً أو حتى أهتم بواحد؟ ما زالت أمامي سنوات طويلة قبل جني مبلغ محترم من المال، وأنت بالكاد تستطيعين إعالة ولديك. كيف ستكون حياتنا مع طفل؟ ماذا سيكون رأي الوالدين؟ لا أستطيع إنهاء كلية الحقوق وإعالتك مع ولد في الوقت نفسه. ونحن غير متزوجين. إنه حادث، خطأ. ليس هذا طفلاً. إنه كارثة. إنها مأساة لنا معاً، وستكون مأساة للطفل أيضاً. عليك الخضوع للإجهاض أو إرسال الولد للتبني. لا نملك خياراً آخر».

صرخت في وجهه: «لا، توجد خيارات؛ يمكننا الزواج. يمكنك الحصول على وظيفة. لن أتخلى عن طفلنا، وأنا أحذرك بأنني سأقتل

نفسي والطفل إذا حاولت الهروب مني».

صرخ في وجهها وهو بأقصى درجات الغضب والإحباط: «توقفي عن تهديدي!». إنها تدمر حياته. خطأ غبي سيدمر كل ما كافح من أجله. ليس هذا عادلاً.

قالت بهدوء وهي مسيطرة تماماً على نفسها: «سأنجب هذا الطفل. يمكنك فعل ما تريده، لكنني سأنجب طفلنا». أومأ لها برأسه، فقد فهم الرسالة بوضوح.

قال بهدوء: «عليّ التفكير». وغادر. أغلق الباب وراءه بقوة، ونزل الدرج مسرعاً نحو الهواء البارد.

في الأعلى، في الشقة، جلست باتي على الأريكة وابتسمت.

الفصل السادس عشر

لم يسمع أحد أي خبر من تيد في اليومين التاليين. فهو لم يتصل بباتي، ولم يذهب إلى منزلها، ولم يتلق اتصالاتها، ولم يجب عن رسائلها الهاتفية. كما أنه لم يشكر أني على العشاء قطّ، وهذا غير اعتيادي، مما أثار قلقها. عرفت أنه في وضع دقيق مع امرأة غير مستقرة، بالرغم من أنها لم تعرف أي شيء عن الحمل. لكن أني لم تشأ الضغط عليه، ولذلك انتظرت اتصاله بها. وأخيراً، بعد ثلاثة أيام من الصمت التام، اتصل بأخته ليز. تفاجأت ليز لدى سماعها صوته، فقد بدا صوته مريعاً. وعرفت فوراً أن هناك مشكلة كبيرة.

سألها بصوت أجش: «هل أستطيع رؤيتك على الغداء؟». كان مختبئاً في شقته طوال ثلاثة أيام وشرب كثيراً.

أجابت ليز فوراً: «طبعاً».

مرّ لاصطحابها من مكتبها عند الظهر، وذهبا إلى مطعم مجاور. طلبت سلطة الخس من دون صلصة، ولم يتناول تيد أي شيء على الإطلاق. أخبرها بشأن باتي، وقال لها إنها حامل، ولا يعرف ماذا يفعل.

قال: «لن تجهض، أو تتخلى عن الطفل للتبني، وتقول إنني إن لم أفعل أي شيء فستقتل نفسها مع الطفل. لا أريد طفلاً ليز. فأنا طفل بحدّ ذاتي. أو أشعر بأنني هكذا على كل حال. لكنني لست كبيراً لأنجب أطفالاً. كنت أحمق كبيراً». وابتسمت أخته بحزن.

«يبدو أن هذه كلمة الحسم عندها. هل يمكنك التكلم معها بالمنطق؟».

هزّ رأسه، وبدا كئيباً.

«كانت تهدد بالانتحار قبل أن تحمل. وتقول إنني إن تركتها،

فستقتل نفسها. والآن ستقتل نفسها مع الطفل».

«إنهـا تحتـاج إلى العـلاج بشدة. تيدي، إنها تبتزك. هذا ما يحصل بالضبـط. لا يمكنـك إجبارها علـى عدم إنجاب الطفل. وأظن أنّه يتوجّب عليـك أن تدفـع بعض المال لإعالة الطفل. لكنها لا تستطيع إجبارك على أن تكون معها وتشارك في الأمر إذا لم تكن تريده».

«لا أستطيع التخلي عنها. إنه طفلي أيضاً. وإذا لم تشأ التخلص منه، فعليّ أن أتواجد معها وأتحمّل العبء معها».

قالت ليز بصرامة: «ليس هذا عدلاً». كانت تكره ما تفعله تلك المرأة بأخيها.

«أتحمل مسؤولية ما هنا. تجاه الاثنين. سواء أأعجبني ذلك أم لا».

«هـل أنـت مغـرم بها؟». كانت ليز تراقبه عن كثـب، متسائلة عمّا سيقوله.

«لا أعـرف. إنهـا تدفعنـي إلـى الجنون. حين أقتـرب منها يصبح جسمي مجنوناً. إنها مثل المخدر. لا أعرف إذا كان هذا حباً».

«يبـدو لـي أنه إدمـان على العلاقة. ربما فعلت ذلـك عمداً لإبقائك معها».

«حسنـاً، سأدفـع الثمـن غالياً. ولد إلى الأبد. لن أسمح لها بأن تقتل نفسها ليز».

«لا أظـن أنهـا ستفعل ذلك. فالأشخاص الذين يهددون بالانتحار لا يفعلون ذلك عادة. إنها تريدك أن تبقى معها».

«لا أملك خياراً آخر». بدا بريئاً جداً حين قال ذلك، وحزيناً جداً.

تساءلت ليز بصوت عالٍ: «ماذا ستقول لأني؟».

«لا شيء في الوقت الحاضر. سيجن جنونها».

«ربمـا لا. فهـي تملك تفكيراً جيداً فـي الأزمات. وستعرف بالأمر عاجلاً أو آجلاً. لا يمكنك إخفاء طفل إلى الأبد».

«سأضطر إلى التخلي عن كلية الحقوق بعد هذا الفصل». كرهت ليز

رؤيتـه يفعـل ذلـك، فقد عرفت كم يعني ذلك بالنسبة إليه. إنه حلمه، وقد عمل بكد لتحقيقه لغاية الآن.

«لا تفعل أي شيء الآن. بالإضافة إلى ذلك، لا تعرف، قد تتعرض لإجهاض طبيعي. في مثل عمرها، يصبح الخطر أكبر».

«أتمنـى أن أكـون محظوظاً إلى هـذا الحد». شعر بالذنب حين قال ذلـك، لكنـه لا يريـد طفلاً. إنه متأكد من ذلك تماماً. «لم أتحدث إليها منذ أن أخبرتني بأنها حامل».

«تعـرف أنهـا أحكمت الطوق حولـك». إنها طريقة قديمة لاصطياد الرجـل، وقـد لجـأت إليهـا. كرهتها ليـز من أجل ذلك، وتمنـت لو أنها تستطيع فعل شيء لمساعدة أخيها. لكن، لا يوجد أي شيء يمكن فعله في الوقت الحاضر؛ باستثناء منحه الدعم المعنوي. أما ما تبقّى فبين يدي باتي.

اتصـل تيـد بباتـي في تلك الليلة. إنها المرة الأولى التي يتحدث إليها فيهـا منـذ ثلاثـة أيام. وكل ما فعلته كان البكاء عندما اتصل. شعر بالسوء وحاول مواساتها عبر الهاتف، وتوسلت إليه ليزورها. شعر أنه مضطر إلـى ذلـك، ولذلك ارتدى ملابسه وذهب إلى منزلها. كانت هادئة عندما وصل إلى هناك، وودوداً جداً. توسلت إليه للإمساك بها فقط، ثم بدأت تثيره. لم يشأ إقامة علاقة، إذ بدا الأمر غير مناسب في الوقت الحاضر؛ نظـراً إلـى كل مـا يشعـر به. لكن حيـن أمسكت به وداعبتـه، أنسته كل اعتراضاتـه. وتشبثـت بـه بعد ذلك وتحدثا عن طفلهما. جعله ذلك يرغب في البكاء.

كـررا الأمـر كما يفعلان دوماً، وعندمـا غادر تيد في صباح اليوم التالي، شعر بالهزيمة. لقد ربحت باتي. لقد ربح الطفل. وهو الخاسر في كل ذلك. وفي ذلك الصباح قبل أن يغادر، طلبت منه الزواج. قال إنه لا يريد ذلك. فقالت إنه من غير العادل للطفل أن يولد خارج إطار الزواج. إنها امرأة محترمة، وكانت متزوجة عندما أنجبت الولدين الآخرين. كل ما استطاع قوله هو إنه سيفكر في الأمر؛ إذ لا يريدها أن تهدده بالانتحار

مجدداً. فهو لا يملك القوة لمواجهة ذلك. وسيبدأ الدروس مجدداً هذا اليوم. بالكاد استطاع التفكير باستقامة عندما وصل إلى كلية الحقوق ورأسه منحنٍ إلى الأسفل. أراد أن تصيبه صاعقة وتقتله. كان يمكن أن يكون الأمر أكثر بساطة. فآخر شيء يريده هو الطفل. واتصلت به باتي باستمرار بين الصفوف، فقد أرادت طمأنة مستمرة. وكل ما استطاع التفكير فيه، فيما ذهب إلى المكتبة للعمل على الكمبيوتر الخاص به هو إحساسه بأنّ شخصاً ما قد سحب أحشاءه ورمى حياته في المرحاض. أرسلت له بريداً إلكترونياً فيما كان في المكتبة، ووعدها بالذهاب إليها عند العشاء.

في نهاية الأسبوع، لم تسمع آني أي خبر من تيد أو طوم جيفرسون. فقد وعدها طوم بالاتصال بها من أجل تحديد موعد العشاء، ولم تسمع منه أي خبر بعد عشاء ليلة الأحد مع عائلتها في الشقة. تساءلت إذا كان الأمر قد أزعجه. فصمته ينطق بالكثير، وهي لا تريد ملاحقته.

مرّ أسبوع آخر قبل أن يتصل بها طوم من هونغ كونغ، واعتذر عن عدم اتصاله بها سابقاً.

«أنا آسف جداً. لم أكن أملك هاتفاً أو بريداً إلكترونياً. كنت في مقاطعة في جنوب الصين طوال عشرة أيام. ووصلت للتو إلى هونغ كونغ، فقد أرسلوني لإجراء تحقيق. إنه عن مطاردة الإوز البري».

ارتاحت كثيراً عند سماعها صوته بحيث بدت متحمسة.

«ظننت أننا أخفناك».

«لا تكوني سخيفة. أرسلوني في صباح اليوم التالي، ولم أملك الوقت للاتصال بك. تصبح حياتي مجنونة قليلاً أحياناً». هذا ما كلفه زواجه. فقد أرادت زوجته السابقة زوجاً بدوام كامل في المنزل، ولن يكون أبداً هذا الشخص. أراد أن تعرف آني ذلك الآن، منذ البداية، أو حتى قبل أن يبدأ أي شيء.

«لا تقلق. تصبح حياتي مجنونة أنا أيضاً أحياناً. بالرغم من أنني لا

أذهب إلى الصين أو هونغ كونغ. متى ستعود؟».

«غداً أو بعد غد. ما رأيك بتناول العشاء ليلة السبت؟».

«أود ذلك». أخبرته حينها أنها لم تسمع أي خبر من تيد منذ العشاء أيضاً، وأنها قلقة بشأنه.

«ربما يواجه مشاكل في الحب».

«أعتقد أنك محق. وأظن أنه بدأ دروسه للتو. أنا قلقة فقط بشأن المرأة التي يقيم علاقة معها». من المريح مشاركة طوم مخاوفها.

ذكرها طوم: «لا يمكنك فعل أي شيء حيال ذلك. عليه اكتشاف الأمر بنفسه».

«أعرف. لكنه بريء جداً. ولا أثق بتلك المرأة. إنها في مثل سنّي تقريباً».

قال طوم بهدوء: «سيكون هذا درساً جيداً له».

«إذا نجا منه».

«سيفعل. جميعنا نفعل ذلك. فنحن ندفع ثمن أخطائنا، ونتعلم الدروس؛ ويكون الثمن باهظاً أحياناً. فأنا على سبيل المثال كنت أعرف أنني أتزوج المرأة غير المناسبة عندما تزوجت. لكنني مضيت في المشروع على كل حال، وأصبح الأمر أسوأ مع الوقت. وفرت على نفسك هذا على الأقل».

اعترفت آني: «لقد ارتكبت أنا أخطائي أيضاً». قد يكون العيش مثل ناسكة واحداً منها. لكن، لم يكن في وسعها تحمل المزيد. فالتعامل مع ثلاثة أولاد في عمرها ذاك كان كافياً. وهي مرتاحة الآن بحياتها.

«يبدو لي أنك أبليت حسناً. فثمة عائلة رائعة قمت بتربيتها. وأختك فخورة بك». تلألأت الدموع في عينيها عندما قال ذلك.

بعد ذلك، أخبرها عن الصين، وعن التقرير الذي يعدّه. ثمة رئيس جديد للوزراء، وذهب لإجراء مقابلة معه حول سياساته الخارجية، والسياسة التجارية التي يعدّها. صدمت لدى اكتشافها أن طوم يعيش حياة

ناضجة جداً، وأنه في قمة الأحداث العالمية. إنها تحاول حث المقاولين على المجيء في الوقت المتفق عليه، وتحاول نقل الجدران من مكان إلى آخر لإبقاء زبائنها راضين. عالمها أصغر بكثير من عالمه. لكنها أحبت ما فعلته، فقد منحها رضى كبيراً طوال أعوام. لطالما أملت سراً أن تهتم كايت بالهندسة المعمارية أيضاً، بحيث تكوّن شراكة معها في السنوات اللاحقة، لكن مواهبها الفنية اتخذت أوجهاً أخرى.

وعدها طوم بالاتصال بها ما إن يعود إلى نيويورك، وأكد على موعد العشاء ليلة السبت. قال إنه سيحدد المكان في طريق عودته إلى الوطن، وسيجري الحجز. أحبت طريقة اهتمامه بالأمور وإعداده المشروعات بنفسه. فهي ليست مجبرة على فعل ذلك من أجله. من المريح ألا تكون هي من يتحمل العبء كله. هذا جديد عليها.

أصبحت معنويات آني أفضل بعدما سمعت أخبار طوم. ونجحت أخيراً في الاتصال بتيد. قال إنه مشغول في الدروس، لكنه بدا تعيساً ولم تصدقه عندما قال إنه بخير؛ إذ لم يكن يبدو هكذا. حينها اتصلت بليز التي أصرت على أنها لا تعرف شيئاً. كانت تكره الكذب على آني، لكن يعود إلى تيد نفسه أن يخبرها أن باتي حامل، وهو لا يملك الشجاعة لفعل ذلك، وهناك الكثير من الوقت. باتي حامل منذ شهر واحد فقط، وأخبرته أن الطفل سيولد في شهر سبتمبر. وهو لا يريد التفكير في الأمر الآن. وباتت تتحدث عن الزواج الآن في معظم الوقت. لم يشعر قطّ بمثل هذه التعاسة في حياته، إلا عندما خسر والديه.

اتصلت به ليز كل يوم لمعرفة أخباره، وامتعضت من حاله. اعترف لها أنه يائس وعالق في فخ. فالجنين الذي ينمو في أحشاء باتي دمّر حياته، أو سيدمرها ما إن يولد. لقد دمرها أصلاً. وكانت باتي تتربع على قمة العالم الآن. فهي ستنجب طفله، وستمتلكه طوال الحياة. كل ما فعلته هو شكره على جعلها سعيدة جداً، وأرادت الحميمية معه طوال

الوقت. لم يعد يسمي الأمر حبًّا، فهو ليس حباً. إنه مجرد علاقة، وتتولى باتي الأمر في كل مرة. ولأنه لا يريد إزعاجها كان ينفذ كل طلباتها. حاول أن يكون رقيقاً معها كي لا يؤذي الطفل، لكنها أصرّت على أن كل ما يفعلانه جيد. بدأ يتمنى لو أنه لم يلتقها قطّ. وكانت تراوده أفكار سوداء. كان يشرب كثيراً، وأخبر ليز مرات عدة أنه يتمنى الموت. لم تكن ليز تظن أن باتي ستقتل نفسها، لكنها قلقة بشأن تيد. لم تقل ليز أي شيء لآني، لكنها بدأت تفكر في أنه يجدر بها فعل ذلك. فإذا لم يشعر بالتحسن قريباً، فلن يكون أمامها خيار آخر.

ذهلت ليز بعد أيام قليلة عندما اتصلت بها آني. بدت جدية، وقالت إنها تريد نصيحة ليز. كانت ليز خائفة جداً من أن تسألها عن تيد. إلا أنها اعترفت لليز بدلاً من ذلك أن طوم قد دعاها إلى موعد حقيقي. فهو سيصطحبها إلى العشاء، وهي لا تملك شيئاً لارتدائه. ابتسمت ليز عندما سمعت النبرة المتوترة في صوت خالتها. هذا جميل.

ناقشتا المكان المحتمل للعشاء، ونوع الانطباع الذي تريد تركه لدى طوم. قالت إن كل ملابسها الجيدة ملائمة لاجتماعات مع الزبائن، لكنها لا تملك أي شيء مثير يروق لرجل.

سألت ليز بطريقة عملية: «كم تريدينه أن يكون مثيراً؟ أتريدين ياقة مفتوحة حتى البطن؟ تنورة قصيرة؟». وضحكت ليز.

«لم أقل إنني أريد أن يتم اعتقالي. قلت إنني أريد أن أبدو جذابة في الموعد».

«حسناً. قميص مكشكش جميل. شانيل. تنورة قصيرة وإنما محترمة. سترة من الفرو. أستطيع إعارتك سترتي. أسدلي شعرك. لا تجعلي أي شيء قاسياً. فليكن كل شيء ناعماً وأنثوياً وأنيقاً». ابتاعت آني عدة أكياس من الأغراض للاختيار منها في تلك الليلة. كانت تملك ستة أكياس مليئة، واختارت آني قميصاً جميلاً من الأورغنزا وتنورة سوداء. كلاهما أنيق وإنما مثير. كانت لا تزال تستعمل العكازين، وعليها انتعال

حذاء مسطح، ولذلك أحضرت لها ليز زوجاً من أحذية الساتان المسطحة مـع مشابـك زخرفية؛ طلبت من مساعدتهـا اختيارها لها. وأعارتها سترة سـوداء قصيـرة مـن فرو المينك أثارت إعجاب آنـي طوال سنوات. كل شيء جاهز!

بـدت آنـي رائعة ليلة السبت عندمـا اصطحبها طوم. ساعدتها كايت علـى ارتداء ملابسهـا، ووضعت لها مستحضرات التجميل، وطلبت منها إسدال شعرها على كتفيها. شعرت أنها تلميذة في الثانوية تذهب إلى أول حفلـة تخـرج عندما رنّ طوم جرس الباب. كان يرتدي سترة وسروالاً من الكشمير الأسود، مع قميص جميل ومفتوح. قال إنه متعب من السفر. لكـن، لـم يبـدُ ذلك عليه، وأبدى إعجابه بـكل ما ارتدته آني. أحب طلتها وطريقة ارتدائها ملابسها. لاحظ كل شيء.

سأل طوم وهو ينظر حوله: «بالمناسبة أين الجميع؟». كانت الشقة مهجورة وصامتة.

«فـي الخـارج. ذهبت كايت مع بول إلـى السينما. وليز ذهبت في عطلـة نهايـة الأسبوع، وتيد مشغول في الجامعـة. بالكاد أسمع أخباره. لا أعـرف مـاذا يجري. أتمنى أن يكـون بخير، وأن يبتعد قليلاً عن تلك المرأة».

طمأنها طوم: «سيعرف ذلك بنفسه». ثم غادرا الشقة واستقلا سيارة أجرة إلى المطعم. إنه مطعم راقٍ وأنيق، والجميع يعرفون طوم. وعرّفها إلـى نصـف دزينة مـن الأشخاص مرّا أمام طاولاتهم. واهتم بهما النادل المسؤول بشكل لافت. من الممتع الخروج معه. فبفضل ظهوره كل ليلة في نشرات الأخبار، بات معروفاً عالمياً، ومحترماً ومحط إعجاب كبير.

خـلال العشـاء، أخبرته آني عـن المنازل التي تعمـل عليها حالياً، وأخبرهـا كل شـيء عـن الصيـن. للمرة الأولى، تحدثت آني عن شيء غيـر الأولاد، وشعـرت معـه بأنها في موعد حقيقـي. وعندما اصطحبها إلـى المنـزل، رافقها إلى البـاب، ودعته للدخول وتناول الشراب. نظر

إليهـا بحـزن وتثاءب. قال إنه أمضى وقتاً رائعاً، لكن الفارق في الوقت أنهكه ويخشى أن ينام.

قال: «فلنعد الكرّة سريعاً». بدت فكرة جيدة لها أيضاً.

قالت: «أمضيت وقتاً رائعاً». ثم شكرته، وابتسم وقبّلها على وجنتها.

«وأنا أيضاً. سأتصل بك في الأسبوع المقبل، إلا إذا أرسلوني مجدداً إلـى النصـف الآخـر من العالم». وذكر أنّ عليه الذهاب إلى لندن قريباً. بدا الأمر ممتعاً بالنسبة إليها.

تركها طوم أمام باب الشقة وراقبها وهي تدخل. وحين دخلت غرفة الجلوس، كان بول وكايت يجلسان على الأريكة، وهما يشاهدان فيلم دي فـي دي. ولاحظـت آني أنهما يبدوان كتومين عندما دخلت. تساءلت عن سبب ذلك، وافترضت أنهما فعلا شيئاً في غرفة كايت في أثناء غيابها. لم تسأل كايت آني قطّ إذا كان باستطاعة بول تمضية الليلة عندها، لأن بول قال إنه يشعر بالغرابة حيال ذلك، ولا يعرف أي منهما كيف سيكون رد فعل آني. لم يمكث أي من أصدقاء كايت السابقين هنا قبلاً. ولم يحضر تيد وليز أحداً لتمضية الليلة معهما في المنزل أيضاً. وكان بول رزيناً جداً.

كانـت آنـي لا تـزال تفكر في الأمسية التـي أمضتها مع طوم عندما ذهبت إلـى غرفتها وخلعت ملابسها الجديـدة بعناية. لقيت إعجاباً كبيراً، وكانت طلّتها مختلفة تماماً. ووعدتها ليز بالعثور لها على بعض الملابس الأخرى لارتدائها في المواعيد المقبلة مع طوم.

كانـت آنـي لا تـزال تبتسم في صبـاح اليوم التالي فيمـا كانت تقرأ صحيفـة الأحـد. وكانت تفكر في طوم عندما دخلت كايت. تجولت كايت في المطبخ لبعض الوقت، ثم جلست إلى طاولة المطبخ وواجهت خالتها.

قالـت كايـت بهـدوء: «أريد أن أقول لك شيئـاً». ونظرت إليها آني مصدومة.

قالـت آنـي: «آه، أنـت حامل...». فيما نظـرت إليها آني وهزت رأسها.

«لا، لست حاملاً».

قالت آني وهي تبدو مرتاحة: «الحمد لله». إذ لم تكن مستعدة لهذا.

قالت كايت بحزم وهي تحضر نفسها لما سيأتي لاحقاً: «سأقوم برحلة مع بول. نحن نتحدث عن الأمر منذ بعض الوقت».

سألت آني باهتمام: «إلى أين؟». لم تصدم من فكرة رغبتهما في السفر مع بعضهما. فهما كبيران بما فيه الكفاية.

قالت كايت وهي تنظر مباشرة إلى عيني آني: «سنذهب إلى طهران». ساد صمت مطبق في المطبخ.

قالت آني: «لا، لن تذهبي إلى هناك». من دون أن تتردد ثانية واحدة.

«بلى، سأذهب».

قالت آني بصرامة: «هذا مستحيل. لن أسمح بذلك. قد يكون الأمر خطيراً عليك. والمكان بعيد. لن يحصل هذا. لا أمانع أن تسافري معه، ولكن ليس إلى مكان قد يكون غريباً».

«سنذهب. يمكننا المكوث عند عمه وزوجته. بدأت أسعى للحصول على تأشيرة دخول. أستطيع الحصول على تأشيرة خلال أسابيع قليلة، وتقدمت بطلب للحصول عليها. سأدفع تكاليف الرحلة من المال الذي أجنيه من محلّ الوشوم». لقد خططا للأمر وحسماه. صُدمت آني عندما رأت أنّ كايت تعتبر الرحلة بمثابة أمر واقع. فهي لم تطلب إذن خالتها. وبدت آني مذعورة من الفكرة.

قالت آني، وهي تبدو قلقة: «هذا جنون حقيقي».

قالت كايت بعناد: «لا، ليس جنوناً. لم يذهب إلى هناك منذ أعوام. ستكون الرحلة ممتعة لنا نحن الاثنين».

«ليس ممتعاً الذهاب إلى بلد قد يسبب المشاكل للأميركيين الذين يسافرون إليه. هذه حماقة، إذا لم تكوني مجبرة على الذهاب إلى هناك. ليس هذا ذكياً. لمَ لا تذهبان إلى مكان مختلف تستمتعان فيه؟». حاولت

آني إقناعها بكل الوسائل.

«لن يسمح بول بأن يحصل أي شيء لي، وستهتم عائلته بنا. فهو يريد رؤية أقاربه، وأنا أريد التعرف إليهم». هزّت آني رأسها وهي تنظر إليها، ثم وضعت رأسها بين يديها.

«كايت، هذه فكرة مريعة».

«لا، ليست مريعة. نحن نحب بعضنا، وأريد رؤية البلد الذي ولد فيه والتعرف إلى عائلته هناك». اعتبرتها فكرة رومنسية أن تزور بلده معه، وخافت آني عليها. فبسبب الجهل التام، قد تهين كايت أحدهم، وتتورط في مشكلة في أثناء وجودها هناك.

«اذهبا إلى مكان آخر. اذهبا إلى أوروبا واستمتعا. يمكنكما التجول في كل مكان هناك».

«إنه يريد الذهاب إلى بلده، وأنا أريد الذهاب معه. سنسافر فقط لمدة أسبوعين». لم تتزحزح كايت عن موقفها مطلقاً.

صرخت آني في وجهها: «لن تذهبي على الإطلاق!». وشعرت بالإحباط لأن كايت لم تستسلم. ليست هذه إحدى أفكارها الغريبة؛ مثل فكرة الانسحاب من الجامعة، التي كانت غبية أيضاً، بل إنها جنون صرف. وكالعادة، كانت كايت تتحداها وهي مصممة على فعل ما تريده، ومقتنعة بأنها تعرف الأفضل.

صرخت كايت في وجهها: «أنا راشدة، وأستطيع أن أفعل ما أريده». تحول الحديث إلى صراخ في المطبخ، إلى أن ركضت كايت إلى غرفتها، وأغلقت الباب وراءها بقوة. فيما كانت آني ترتجف من رأسها وحتى أخمص قدميها.

عندما عاد بول في وقت لاحق بعد الظهر، قالت آني الشيء نفسه له. لكنه كان واثقاً مثل كايت، وأصرّ على أنهما سيكونان بخير. قال إن المكوث مع عمه سيكون ممتعاً، وسيتم الاهتمام بهما جيداً. وقال إن طهران مدينة عصرية، ولن يكون هناك أي خطر على كايت. لم تصدقه

آني، واتصلت بطوم في تلك الليلة، لتخبره بذلك وأخبرته عن خطتهما. سألته عن رأيه، وتردد قليلاً قبل أن يجيب وهو يفكر في الأمر.

«لن يجن جنوني لو كنت مكانك. من الناحية النظرية، يفترض أن يكونا بخير، والمكان مذهل. إنها مدينة جميلة، وفيها ثقافة ممتعة، ولكن ليس لولدين لا يعرفان ماذا يفعلان. إذ إنّ كونها أميركية وهو إيراني قد يسبب لهمـا مشكلة، إن لم يعجب ذلـك أحداً في الشارع. أظن أن الأمر حساس. اطلبي منهما الذهاب إلى مكان آخر».

قالت آني بتعاسة: «طلبت منها ذلك، لكنها مصرة على أنهما سيذهبان مهما كلّف الأمر، وتقول إنني لا أستطيع منعها».

«هـذا صحيـح. لكن، عليها الإصغاء إلى المنطق، وإلى الأشخاص الذين يعرفون أكثر منها».

«تفعل كايت ما تريده. ستدفع أجرة الرحلة من مدخراتها. وسيقيمان عند عم بول».

قال بلطف: «أتمنى أن تقنعيها بعدم فعل ذلك. لكن، إذا أصرّت فأنا واثق بأنهما سيكونان بخير». كان قلقاً عليها أيضاً.

«أتمنـى أن أتمكّـن من إقناعها بالعكس. سأصاب بانهيار عصبي إذا ذهبـت إلـى هناك». إنّ السماح لهم بفعـل ما يريدونه وارتكاب أخطائهم شـيء مقبـول، لكن هـذه الرحلة ستكون خطرة جـداً إذا ارتكبا حماقة أو حصل خطب ما.

سألت آني طوم: «هلاّ تحدّثت إليها؟». لم تعرف ماذا تفعل.

«سأحـاول. لكننـي واثـق بأنها لـن تصغي إليّ أيضـاً. هل اتصلت بوالديه؟».

قالت بتعاسة: «كنت أنوي الاتصال بهما غداً».

وافقهـا طـوم الـرأي: «أظـن أنه يجدر بك فعل ذلـك. قد لا يحبان الفكرة أيضاً. إذ إنّ ذهاب بول إلى طهران مع فتاة أميركية قد يكون أمراً غريبـاً ومستنكـراً، بصفته إيرانياً. ربما يمكنك أنت ووالدي بول إقناعهما

بإعادة التفكير في المسألة. سأتحدث إليها أيضاً، لكن كايت فتاة عنيدة». لم يكن يعرفها جيداً، لكنه استنتج ذلك مما قالته آني.

اتبعـت آنـي نصيحته واتصلت بوالدي بول في اليوم التالي. لم تكن أمـه متحمسـة للرحلـة أيضاً، ولـم تكن مقتنعة بأنهمـا سيتصرفان بطريقة عقلانية عند وصولهما إلى هناك، ورأت أنهما صغيران جداً للسفر معاً إلى هذا المكان البعيد. وقالت لها إنها أول رحلة لبول مع فتاة، وأخبرت آني أنها حاولت التحدث إلى بول، ولكن من دون جدوى. ولم تكن متحمسة لتحمله مسؤوليـة فتاة شابة. ماذا لـو تعرضت كايت لحادث أو مرضت؟ قلقـت آنـي بشـأن ذلك أيضاً، بالرغم من أنهـا ارتاحت الآن لمعرفتها أن بول يملك عائلة هناك في حال احتاج إلى المساعدة.

قالت أمه إن بول ينوي استخدام المال الذي ادخره من العمل الصيفي لدفـع تكاليـف الرحلة بنفسه، وستدفع كايت تكاليف رحلتها بنفسها أيضاً. عبّـرت والـدة بـول أيضاً، بأكبر قدر ممكن مـن الدقة، عن أنّ سفر فتاة أميركية إلى طهران مع رجل إيراني أمر غير ملائم، حتى لو قالا إنهما مجرد صديقين. وأشارت إلى أنه في أثناء تواجده في إيران، سيعتبر بول إيرانيـاً، ولن يتم الاعتراف بجنسيته المزدوجة وجواز سفره الأميركي. وأوضحت جلياً أنها لا تريد أن تسبب له كايت المشاكل هناك. سمعت آني في صوتها عدم ارتياحها بشأن الرحلة، تماماً مثل آني نفسها. هذا مطمئن، لكـن معارضتهـم المشتركة لم تؤثر على ما يبدو في الولدين اللذين اعتبرا أنهم سخيفون، وكانا مصممين على الذهاب على كل حال.

«ماذا عن والد بول؟ ألا يستطيع منعه من السفر؟».

قالـت والـدة بول بتعاسـة: «لقد حاول. لكن بـول يريد رؤية عمه وزوجة عمه وأقربائه، وجده الذي أصبح كبيراً جداً في السن. لا أظن أن ولدينا يدركان أنهما قد يصادفان المشاكل هناك». ولم ترتح آني ممّا قالته.

قالت آني: «وماذا سنفعل الآن؟». وهي مدركة أنها لن تستطيع هي أو والدا بول السيطرة على ولديهما. فمن الناحية العملية، إنهما راشدان.

تذكرت آني كلام ويتني عن ضرورة السماح للأولاد بارتكاب أخطائهم، لكن القول أسهل من الفعل.

قالت والدة بول متنهّدة: «قد يكون كل ما نستطيع فعله هو أن نتمنى لهما رحلة آمنة. وسيهتم أخ زوجي وزوجته بهما جيداً». بدت مستسلمة، ولم تكن متفائلة بإمكانية عدول بول عن مشروعه، وكذلك الأمر بالنسبة إلى آني. لا يريد الشابان الإصغاء إلى أي كان. فهما مسيطران على مصيريهما، ولا تملك عائلتاهما أي خيار في المسألة، باستثناء السماح لهما بالتحليق وتمني كل الخير لهما. عرفت آني عندما أنهت المكالمة أنه لا مجال لمنعهما من الذهاب إلى إيران.

اصطحب طوم آني إلى العشاء في الأسبوع التالي، وتحدثا عن الأمر مجدداً. لم تتزحزح كايت إنشاً واحداً عن رغبتها. وجلس طوم وتحدث إليها قبل خروجهما لتناول العشاء. وقال إنه قد يكون صعباً عليها السفر إلى طهران مع مواطن إيراني ذكر. فأصرّت كايت مجدداً على أن كل شيء سيكون على ما يرام. لم يعد في وسع طوم قول أي شيء آخر، لأن كايت لا ترغب في السماع منه أو من أي شخص آخر. قالت إنها تقدّر قلقه، لكنها قررت هي وبول الذهاب. لاحظ طوم سبب انزعاج آني. لقد حسمت كايت أمرها، ولم يستطع أي شيء قالاه أن يغير رأيها. فمن الواضح أن بول جعل الأمر يبدو رومنسياً؛ بحيث يريد الذهاب معها إلى طهران ليريها كل الأشياء التي يتذكرها من طفولته. لكنه لا يعرف أبداً كيف ستكون طبيعة الذهاب إلى هناك مع فتاة أميركية؛ وخصوصاً مع فتاة عصرية ومتحررة ومستقلة مثل كايت، كما أنّه لا يعرف أن الأمر قد يسبب لهما مشكلة، حتى لو كانا مجرد صديقين. أصرّ بول على أن كل شيء سيكون بخير. وشعر طوم بالأسف على آني التي ستشعر بالقلق عليهما كثيراً.

حاول طوم طمأنتها خلال العشاء، لكنه شعر بالقلق أيضاً. فقد كانت كايت مصممة على الذهاب، مهما قالا لها. لم يحسد آني على المعركة

المستمرة التي تواجهها معها. وعرف أنها قلقة أيضاً بشأن تيد والمرأة التي يقيم علاقة معها. في هذه الأوقات، يفرح طوم لأنه لا يملك أولاداً. فالتعاطي مع هذه المسائل بدا مخيفاً له. وأعجب الآن بآني أكثر من أي وقت مضى بسبب طريقة تعاملها مع أولاد أختها. فهي ذكية، وحنون، وعادلة، وتحترم آراءهم. ولكن، بالرغم من ذلك، رفضت كايت الإصغاء إليها. ستذهب إلى طهران وانتهى الأمر. اعترف طوم أنه لو كان مكان آني، لأراد خنقها على الفور لكونها مستقلة جداً، وعنيدة ولا تصغي إلى نصيحة أحد.

قالت آني وهي تبتسم له: «خنقها ليس خياراً، بالرغم من اعترافي بأن الأمر مغرٍ أحياناً». بالرغم من قلقها على كايت، كان عشاؤهما ممتعاً مثل العشاء الأول. فهما يتعرفان إلى بعضهما بصورة أفضل. ضحكا، وتحدثا كثيراً، وبدا أنهما يستمتعان بالكثير من الأمور نفسها. كان طيباً في العديد من النواحي. وهذه المرة، عندما أوصلها إلى المنزل قبّلها. كانت قبلة رقيقة أثارت فيها مشاعر لم تراودها منذ أعوام. كانت مثل قبلة الأمير الوسيم للأميرة النائمة. بدأت تشعر بأنها امرأة مجدداً. جعلها طوم سعيدة، وأمضيا مع بعضهما وقتاً رائعاً.

دعاها إلى الاستوديو في وقت لاحق من ذلك الأسبوع وأراها المكان. كان مذهلاً. وشاهدته وهو يعرض برنامجه. اصطحبته إلى أحد مواقع البناء في يوم آخر، وشرحت له ما تفعله، وأرته الخرائط. تأثر جداً بدقة عملها وبالموهبة التي لديها. وحضّرا العشاء معاً في شقتها في عطلة نهاية الأسبوع التالية. كانت كايت في الخارج، وكان المنزل لهما فقط. تصرفا هذه المرة مثل ولدين صغيرين يجلسان على الأريكة في غرفة الجلوس. كانت رغبتهما في بعضهما تزداد تدريجياً، لكنهما رأيا أن الوقت لا يزال مبكراً للاستسلام. ليسا مستعجلين، ويريدان التعرف إلى بعضهما بشكل أفضل. وفكّرا أنه إذا كان ما يشعران به صحيحاً، وملائماً لهما، فبإمكانه أن ينتظر. سينتظران حتى تنضج مشاعرهما تجاه بعضهما

قبل أن يخطُوا الخطوة التالية. إنهما متفقان تماماً بشأن هذا.

الشـيء الوحيد الذي لا يزال يقلقه هو إن كان هناك مجال لوجوده فـي حياتهـا. فهي مشغولة جداً ومنهمكة مع أولاد أختها. وكايت لا تسهل حياتها في هذه الأيام، بإصرارها العنيد على الذهاب إلى إيران. تحدثت أني عن ذلك طوال الوقت وكانت قلقة جداً. نصف الوقت الذي يمضيانه معاً يتمحور حول الأولاد. وبالكاد ترى أني تيد في هذه الأيام، وهي قلقة بشأن هذا أيضاً. عرفت أنه يخبئ شيئاً ما، فقد اختفى مجدداً.

المشهـد فـي شقة باتي بـات الآن مشهد المعركـة المستمرة. فعندما لا تتحـدث عـن الطفـل، فهي تلح على تيد أن يتزوّجها قبل ولادة الطفل. اتهمتـه بالتفكيـر فـي أنها غير جيـدة كفاية له، أو بتأثـره بخالته وأختيه. أصبحـت معاملتهـا له سيئـة ومهينة. فقد كانت تتملّقـه، وتتوسل إليه، ثم تتهمه. وأخبرها تيد بصراحة أن السبب ليس ظنه بأنها غير ملائمة كفاية له ليتزوج بها، بل إنه شعوره بأنه صغير جداً.

صرخـت باتـي فـي وجهـه: «لقد فـات الأوان على ذلـك! سننجب طفلاً». باتا يتشاجران الآن طوال الوقت. وحين لا يتشاجران، فهي تريد علاقة حميمة معه، وصارت علاقتهما الحميمة شكل التواصل الوحيد الذي تعرفه. إنها تستخدمه من أجل كل شيء، للمكافأة، والعقاب، والمراوغة، والرشـوة، والابتـزاز العاطفي. شعر تيد بالهزيمة، وكان مستاء جداً من الوضـع. عـرف أنـه علق في فـخ، سواء أتزوّج بها أم لـم يتزوّج بها. وأدرك أنه سيتزوّجها عاجلاً أم آجلاً، ربما قبل ولادة الطفل. لكنه غير مستعجل لوضع الطوق حول عنقه.

بـات يحـاول الاتصال بأني بتواتر أكبر، كي لا تقلق عليه، لكنه لم يرها. وخاف جداً من أن تعرف بما يجري إذا رآها. إذ كانت هناك هالتان داكنتـان حـول عينيه، وخسر الكثير من وزنه. كانت باتي تبقيه مستيقظاً طوال الليل، إما للتشاجر معه أو لاغرائه، وكان مرهقاً جداً. شعر أنه مثل

وحش في معظم الأوقات، وكان يرسب في كل المواد، باستثناء مادتها. تأخر في تسليم فروضه، ووحدها باتي كانت تعطيه علامات ممتازة. ولم يعـد يهتـم؛ فبوجود طفل لإعالته، وزوجـة، عليه الانسحاب من الجامعة علـى كل حـال. لـذا، لم يعد يهتم إذا رسـب. كانت باتي الرابحة في كل الجبهات. إذا كانت تريد تدمير حياته، فإنها تبلي حسناً.

معركتها الكبرى الآن معه هي إقناعه بالزواج بها على الفور. فهي لا تريد الانتظار. وخافت أن يغير رأيه، وتشاجرت معه بشأن ذلك كل ليلة. كان رافضاً، ووافق على الزواج بها في شهر أغسطس، ولكن ليس قبل ذلك. فلن يولد الطفل قبل شهر سبتمبر. وصفته بالحقير والسادي لأنه سيجعلهـا تنتظـر. وكانت تريد منه أن يخبـر خالته بشأن طفلهما. أرادت تحقيق النصر على كل الجبهات. حاول تيد الحفاظ على ثباته، لكن باتي تملك كل الوسائل، وتملك الطفل إلى جانبها.

كان طـوم وآنـي يتنـاولان العشاء في مطعـم لا غرونوي ذات ليلة عندمـا رنّ هاتفهـا الخلـوي، فقد نسيت أن توقفه عـن العمل. ونظر إليها النـاس الجالسـون إلى الطاولات باستهجان عندما رنّ هاتفها. ألقت نظرة سريعة على هاتفها ورأت أنه تيد. فأنزلت رأسها نحو حقيبتها، وباعتذار سريع من طوم، أجابت على الاتصال. فهي نادراً ما تسمع أخبار تيد في هـذه الأيـام، ولذلك لا تريد تفويت الاتصال لأنها لا تعرف متى سيتصل بها مجدداً.

همسـت وهـي تكاد تختبئ تحت الطاولة: «مرحبا صغيري. هل كل شـيء علـى ما يرام؟ أنا أتناول العشاء مع طوم». راقبها طوم، وتساءل إن كان من الممكن أن تفعل هذا يوماً إذا كان الاتصال منه. عرف الآن أنـه مـا مـن شيء لا تفعله من أجل هؤلاء الأولاد. «هل أستطيع الاتصال بك لاحقاً؟».

قال وهو يبدو شبه نائم: «أنا... آه... أنا في المستشفى». امتلأت

عينا آني فجأة بالخوف، وألقت نظرة سريعة على طوم.

«أين أنت؟».

قال: «أنا في مستشفى نيويورك... واجهت مشكلة صغيرة مع باتي».

«ماذا حصل؟».

«طعنتني في يدي بواسطة سكين اللحم. أنا بخير. لقد قطبوا الجرح. كنت أفكر في الذهاب إلى منزلك».

قالت: «سآتي لاصطحابك على الفور». وأنهت المكالمة، وجلست منتصبة ونظرت إلى طوم. «تلك المجنونة طعنته في يده بسكين اللحم، ويقول إنه بخير!». بدت آني مصدومة.

«آه! هذا جنون». بدا مذعوراً مثلها، وأشار فوراً إلى النادل لإحضار الفاتورة. لقد تناولا فقط أول طبق من العشاء. لكن، لا مجال أبداً لأن تكمل آني الآن تناول عشائها.

قالت آني: «لا، إنها مجنونة». وهي تشعر بالامتنان لأنه أراد المغادرة معها. تحدثا عن الأمر خلال الرحلة في سيارة الأجرة. «لا أعرف ماذا حصل. لكن، لا شك في أنها فقدت صوابها».

قال طوم وهو يبدو قلقاً: «لم أكن أعرف أنها مجنونة إلى هذا الحد. قد تقتله في المرة التالية».

عندما وصلا إلى المستشفى لاحظا أن تيد يبدو بشكل مريع. كان يرتجف وبدا شاحباً جداً. قال الطبيب إنه خسر القليل من الدم، وجرى تقطيب الجرح في يده عشر قطب. تم وضع الكثير من الضمادات عليها، وكادت أن تقطع له وتراً وعصباً.

سألته آني: «ماذا حصل؟». فيما عادوا هم الثلاثة إلى شقتها.

لم يعد في وسع تيد إخفاء الأمر عنها أكثر. عليه إخبارها الحقيقة.

«إنها حامل. تريدني أن أتزوّجها. قلت لها إنني سأفعل ذلك في شهر أغسطس، لكنها تريدني أن أتزوّجها الآن. لا أريد ذلك. لن يولد الطفل

قبل شهر سبتمبر». بدت آني حزينة وهي تصغي إليه. ليست هذه أبداً طريقة لبدء الزواج، مع طفل على الطريق، وامرأة ترغب في طعنه إذا لم يفعل ما تقوله له. «كنا نناقش الموضوع الليلة في أثناء تناول العشاء، وفقدت صوابها».

قالت آني وهي تنظر إلى تيد متجهّمة: «لا يمكنك الزواج بامرأة كهذه». وأومأ طوم برأسه موافقاً. فهو يوافقها الرأي تماماً، وهو قلق كثيراً على تيد. بدا مرهقاً عاطفياً، وهو كذلك منذ فترة. لقد آذته الآن جسدياً أيضاً، وليس فقط قلبه وعقله. هذا مخيف.

قال تيد بحزن: «تقول إنها ستنتحر إذا لم أتزوّجها».

قالت آني بقساوة: «فلتفعل». فيما دفعت لسائق السيارة أجرته وصعدوا إلى منزلها. بدا وكأنه في صدمة. وضعت آني بطانية فوقه، وجعلته يستلقي على سريره في غرفته. إذ كانت الغرفة خالية وجاهزة دوماً لاستقباله، بالرغم من أنه يستخدمها نادراً. لكن، لا يزال هذا منزلهم. طمأنته آني: «لن تقتل نفسها تيد. إنها تحاول فقط السيطرة عليك». لكنها سيطرت عليه فعلاً.

قال تيد، فيما انهمرت الدموع على وجنتيه: «لا أعرف ماذا أفعل. أريد فعل الشيء الصحيح. لكنني لا أريد طفلاً أبداً. ليس الآن. ولا أريد الزواج بها. لكنني لا أملك خياراً آخر». كان طوم يقف عند الباب، وهو محطم من الألم الذي بدا على وجه آني، وشعر بالكثير من الأسف على الصبي.

قالت آني بهدوء وهي تجلس على سريره: «كل ما عليك فعله هو إعالة الطفل. لست مجبراً على الزواج بباتي إذا كنت لا تريد ذلك».

«لا أريد ذلك. إنها تخيفني». ثمة سبب وجيه لذلك، مثلما أثبتت حادثة الليلة.

قالت آني وهي تنظر إليه مباشرة: «أريد أن أقول لك شيئاً تيد. هذه المرأة مريضة نفسياً. إنها تسيء معاملتك، وستجعل ما حصل الليلة

يبدو وكأنه غلطتك. هذا ما يفعله الذين يسيئون معاملة الآخرين. ستقول لك إنك جعلتها غاضبة، وإنك آذيتها كثيراً بما قلته لها، لكي تبرر طعنها لك. في الغد، ستصوّر نفسها الضحية، وستكون أنت الرجل السيئ. تذكر كلماتي. لن تعتذر منك حتى على ما فعلته بك الليلة، وستلومك. ليست هذه غلطتك. جعلتها تحمل، وهذا تصرف غبي وطائش من قبلك، لكنك لست الشخص الذي يسيء معاملتها. وستفعل كل ما في وسعها لإقناعك بأنها غلطتك. أريدك أن تبقى بعيداً عنها. أظن أنها خطرة عليك».

الضمادة الهائلة الموضوعة حول يده تؤكد وجهة نظرها. شكرها تيد على دعمها، ونظر إلى طوم بإحراج. خففت آني الأنوار، ووضعت بطانية أخرى فوقه، وتركاه بمفرده ليرتاح قليلاً، فيما ذهبت هي وطوم إلى المطبخ لتناول شيء ما. كانا يتضوران جوعاً لأنهما لم ينهيا العشاء، وعرضت عليه إعداد شطيرة أو عجة. شكرها طوم لكنه قال لها إنه منزعج جداً، ولا يريد تناول الطعام. تناولا البوظة بدلاً من ذلك، وناقشا ما حصل. هذه هي الأشياء التي ترعب آني الآن. الحماقات التي يرتكبونها، ظناً منهم أنهم ناضجون. رحلة كايت إلى طهران مع بول، وتورط تيد مع تلك المرأة المجنونة التي طعنته. لا يمكن أن تكون الأمور أسوأ أو أخطر من هذا.

ذكّرها طوم: «لا يمكنك حمايتهم إلى الأبد». وهزّت رأسها لأنها لا توافقه الرأي.

«ربما لا. لكن، يجدر بي المحاولة على الأقل».

«لكن، لا يمكنك منعهم، وسيفعلون ما يريدونه. انظري إلى كايت، وتيد. أعتقد أنه سيعود إلى تلك المرأة بدافع الإحساس بالذنب». خشيت آني أن يكون محقاً، وتوقعت حصول ذلك أيضاً.

جلسا وتحدثا لوقت طويل بعدما أنهيا البوظة. وأخيراً، وقف طوم للذهاب إلى منزله. قبّلها قبل أن يغادر، وطلب منها الاتصال به إذا احتاجت إلى أي شيء. فوعدته بأن تفعل ذلك، وشكرته على مساعدته.

بدا منزعجاً جداً، وكذلك هي.

سمعت آني هاتف تيد الخلوي يرنّ بعد منتصف الليل، فدخلت غرفة نومه على رؤوس أصابعها. إلا أنه استيقظ حينها، وفيما غادرت آني الغرفة، عرفت أن باتي هي المتصلة. لم تشأ التنصت عليه، لكنها شعرت بأن المحادثة بدأت مثلما ظنت. لامته باتي على تصرفاته معها. وكانت تقول إن الطعنة في يده قد حصلت بسببه، وإنه هو المخطئ. سمعته آني يعتذر منها. لقد سيطرت عليه باتي تماماً. وشكت آني في أن باتي غاضبة لأنه اتصل بخالته. لامته على ذلك أيضاً، وبدا تيد مرهقاً عندما قبلته آني.

اقترحت عليه آني: «حاول النوم قليلاً. لا تفكر في أي شيء الليلة. لمَ لا تبقى هنا لبعض الوقت؟». وضغطت على زرّ المصباح فصارت الغرفة مظلمة.

قال بصوت مخنوق: «إنها تريد مني أن أعود إليها». قالت كل ما توقعته آني. إنها تلومه.

«سنتحدث عن هذا غداً. لا تقلق بشأن هذا الليلة». أومأ برأسه وأغمض عينيه، وهو يشعر بالامتنان لأنه في المنزل. طرفت عيناه قليلاً، وشكرها مجدداً. قبّلته على جبينه وخرجت من الغرفة. كانت ليلة طويلة، وشعرت بالأسف لأن طوم تورط في ذلك أيضاً. كان متفهماً جداً لوضعها ولعشائهما غير المكتمل في لا غرونوي.

في الصباح، كان تيد نائماً عندما نهضت آني. إذ كان لديها اجتماع باكر وعليها المغادرة. وكانت كايت في غرفتها، لذا غادرت آني الشقة بهدوء، وتركت ملاحظة لتيد تطلب منه فيها ألاّ ينزعج كثيراً وأن يبقى في الشقة طوال اليوم. فآخر ما تريده هو أن يعود إلى باتي. فمن يعرف ماذا ستفعل هذه المرة؟ وطلبت منه آني في الملاحظة أن يتصل بها عندما يستيقظ.

كان في المطبخ، ويبدو مثل الشبح عندما دخلت كايت لتناول شيء ما. لم تكن تعرف أنه نام في المنزل، وبدت مذهولة عندما رأت الضمادة

الكبيرة على يده. وكانت يده تؤلمه كثيراً حينها بعد أن زال مفعول الدواء المسكن للألم.

سألته وهي تحدق إلى يده بنظرة قلقة: «ماذا حصل لك؟ هل تشاجرت مع أحد؟». يصعب تخيل ذلك. فهو لم يتشاجر مع أحد يوماً، حتى عندما كان صغيراً. وتساءلت إن كان قد صادف سارقاً أو تعرّض لشيء ما.

أومأ برأسه ونظر إلى أخته بعينين متعبتين: «نعم، تشاجرت مع باتي. أغضبتها، وفعلت شيئاً غبياً. لم تكن تقصد ذلك، لكنني ضايقتها. إنها فعلاً غلطتي». أقنعته باتي بذلك في الليلة الماضية. كانت آني لترتجف لو كانت هنا وسمعته يقول هذا. إنه الضحية المثالية بين يدي باتي. وهو لا يعرف أبداً ماذا أصابه. إنها حالة سوء معاملة كلاسيكية، ويقع الآن كل اللوم عليه؛ حسب باتي. وصدقها تيد.

سألته كايت بعد أن جلست ونظرت إليه: «ماذا حصل ليدك؟». بدت عيناه ميتتين، ومحاطتين بهالتين سوداوين.

«طعنتني بسكين اللحم. لم يكن يجدر بي إغضابها».

نظرت إليه كايت مصدومة، وقالت: «هل تمزح؟ الناس يزعجونني طوال الوقت لكنني لا أطعنهم بسكين المطبخ. هل هي مجنونة؟». وكان رد فعلها صحيحاً.

شرح قائلاً: «إنها إنسانة عاطفية جداً، وأنا أغضبتها».

«تبدو لي مجنونة وخطيرة. ولو كنت مكانك، لما بقيت معها».

قال: «سنرزق بطفل. في شهر سبتمبر. وهي تريد أن نتزوج». فيما اتسعت عينا كايت.

قالت كايت: «أراهن على ذلك. لكنك لن تتزوج منها؛ حسبما أتمنى. إنها أكبر منك باثني عشر عاماً».

قال وهو يبدو تعيساً: «لقد فات الأوان قليلاً للتفكير في ذلك». ثم سمع هاتفه الخلوي يرنّ فأسرع إلى غرفة نومه.

عندما رأته كايت لاحقاً، كان قد ارتدى ثيابه، ومشط شعره بطريقة

عشوائية، بأفضل ما يمكنه بيده اليسرى، وأخبرها أنه ذاهب إلى شقته لإحضار بعض الأغراض. عرفت أنه يكذب عليها وأنه ذاهب لرؤية باتي. أرادت منعه، لكنها لم تعرف كيف. شعرت أنه ما من شيء سيمنعه. إنه رجل في مهمة؛ رجل آلي يتحكم به شخص آخر. استدار فيما كان متوجهاً إلى الباب الأمامي ونظر إلى أخته، فيما حدّقت إليه وقال لها:

«إذا اتصلت آني، قولي لها إنني نائم. سأعود قريباً».

قالت له كايت بصوت مليء بالشفقة: «أنا ذاهبة إلى العمل. كن حذراً». بدت قلقة، وأومأ لها برأسه، ثم غادر.

حين وصل تيد إلى شقة باتي، كان كل شيء على ما يرام. أمسكت به، وحضنته. عاملته مثل طفل صغير، وداعبت يده المصابة. أخبرته أنها سامحته على كل شيء فعله في الليلة الماضية، فشكرها ثم انفجر في البكاء. كان لا يزال يبكي حين بدأت تداعبه، ثم تطوّر الأمر بينهما إلى علاقة حميمة للتعويض عما فعله. لقد فوّت كل صفوفه ولم يعد إلى منزل آني قطّ في تلك الليلة. ربحت باتي جولة أخرى.

الفصل السابع عشر

اتصـل طـوم بآنـي في مكتبهـا بعد يومين من اعتـداء باتي على تيد بسكين اللحم. كان يعمل على تغطية خبر عاجل في اليوم السابق؛ فضيحة سياسيـة فـي واشنطن تـم الكشف عنها مؤخراً، وتطـال اثنين من مجلس الشيـوخ، ولـم يملك الوقت للاتصـال بها. أصبحت آني تعرف أنه عندما لا يتصـل بهـا طـوم، فهذا يعني أن هناك سبباً مهمًـا. فهو لا يتعاطى مع أزمات محلية أو مقاولين غير موثوق بهم، وإنما يغطي أحداثاً عالمية في الأخبـار، أو أزمـات دوليـة، أو يتم إرساله إلى النصف الآخر من العالم من دون سابق إنذار.

سألها في لحظة هادئة، قال إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة عادة في عملـه: «كيـف حال تيد؟». بدا جلياً، أنه بالرغم من اللحظات الضاغطة، والمتطلبـات الكثيـرة، والسياسات المتشعبة، فهو يحب عمله، وكانت آني مفتونـة بـه. إنه يعيش في عالـم واسع جداً، ويعرف كل ما يجري وراء الكواليس في الأحداث العالمية، وأحبت سماع ذلك منه. لكنها بدت محبطة عندمـا أجابـت. فحياتها أصغر كثيراً مـن حياته، وتركيزها الآن يتمحور حول تيد والمعضلة التي يعانيها.

«لا أعـرف. كان معهـا البارحـة. ذهـب إليها مـا إن غادرت إلى العمل. تقول كايت إنها اتصلت به، وقال إنّ عليه أن يراها. لم يعد إلى المنزل في الليلة الماضية. وأنا واثقة بأنها لم تسمح له بذلك. والآن، في كل مرة لا أسمع فيها أخباره، أخاف كثيراً من أن تؤذيه». برأي آني، إنّ طعنهـا يـده بسكيـن اللحم ليس أمراً صغيراً، ووافقها طوم الرأي. لقد تجـاوزت باتـي الخطوط الحمراء، وبمـا أنها فعلت ذلك مرة، فلا مجال

أبدأ لمعرفة الحدود التي ستصل إليها، أو أين ستتوقف. لقد وقع تيد في مخالب امرأة خطيرة وغير متوازنة، وهي ربما مريضة نفسية. بدت مريضة نفسية بالنسبة إلى آني، ويملك تيد عشر قطب في يده تثبت ذلك.

قال طوم بهدوء، وهو يشعر بالأسف عليه وعلى آني: «أخشى أن يعود إليها». عرف كم هي قلقة بشأنه. «عشت وضعاً مماثلاً ذات مرة، عندما كنت في مثل سنّه. فقد تعرّفت إلى فتاة رائعة ومجنونة ومدمنة على المخدرات. مثل هذه الأوضاع سيئة جداً، ويصعب الخروج منها بعد التورط فيها. تنتظرين دوماً هدوء الأمور، لكنها لا تهدأ أبداً. الناس مثلها يعيشون على الفوضى».

قالت آني بحزن: «وهو ساذج جداً. إنه مختلف جداً عن الشبان في مثل عمره. والآن، مع طفل على الطريق....».

طمأنها طوم: «إنه ولد ذكي، وسيخرج من الورطة في النهاية. لكن الأمر قد يستغرق بعض الوقت، وأعرف أنه صعب عليك».

«الأمر أكثر صعوبة عليه». وكانت قد تحدثت إلى كايت عن الموضوع في الليلة السابقة حتى ساعات الفجر، على أمل عودته إلى المنزل، لكنه لم يعد، ولم يجب على هاتفه. أجاب كايت برسالة هاتفية ذات مرة، قائلاً إنه بخير. لكن، كان هذا كل شيء. إنهم يعرفون على الأقل أنه على قيد الحياة.

«كنت في الواقع أتصل بك لأسألك إذا كنت تريدين تناول العشاء معي. ثمة مطعم جديد أريد تجربته. قد يكون ممتعاً». لم تكن تشعر براحة البال، لكنها قدّرت اتصالاته الهاتفية، وأحبت تمضية الوقت معه.

قالت باعتذار: «أنا آسفة لأن حياتي فوضوية جداً في الوقت الحاضر. كنا جميعنا بخير قبل أسابيع، أو قبل شهرين على كل حال. أمّا الآن فقد أصبح تيد رهينة مريضة نفسية وعلى وشك أن يرزق بطفل، فيما كايت تهدد بالذهاب إلى إيران. الشخص الوحيد العاقل في الوقت الحاضر هو ليز». بالرغم من انفصالها عن صديقها؛ الأمر الذي بدا أنها تتحمله جيداً.

كانت منطقية جداً حيال ذلك، وقالت إنها ستأخذ استراحة من المواعيد العاطفية لبعض الوقت، إلى أن تشعر بأنها مستعدة للالتزام. «ولا أشعر أنني بخير مع كل ما يجري». كانت قلقة جداً بشأن رحلة كايت المحتملة، لكنهما لم يحددا أي مواعيد بعد على الأقل. في الوقت الحاضر، إنها مجرد فكرة، واعتبرتها آني تهديداً. أملت أن يبدلا رأيهما. لكن، ما من شيء في الأجواء يجعلها سعيدة أو مسترخية، أو مستمتعة بوجود رجل جديد في حياتها. وعرفت آني أن الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليه أن يحاول التعرف إليها ومعرفة من تكون. لكن، لغاية الآن، تعاطى طوم مع العقبات جيداً.

قال طوم بهدوء: «لا تقلقي. يحصل ذلك غالباً. إنها الحياة الحقيقية. لا أحد تكون حياته هادئة طوال الوقت. وعندما تصبح الأمور سيئة عادة، فهي تأتي مع بعضها في رزم. يحصل الأمر معي أنا أيضاً. توفيت أمي فجأة فيما كنت أطلّق، وأصيب والدي بداء الألزهايمر، وتوجب عليّ وضعه في دار للرعاية، فيما كنت أحاول إنهاء حياتي مع زوجتي السابقة. لم يكن الأمر ممتعاً لي أيضاً». عاش أيضاً قصة عاطفية وجيزة فشلت سريعاً بسبب ذلك. فهو لم يستطع التركيز على عدة أشياء دفعة واحدة. لذا، انفصل عنها، وعندما اتصل بها بعد أشهر قليلة، كانت قد التقت شخصاً آخر. هكذا هي الحياة أحياناً، وعرف أن آني تواجه الكثير من الضغوطات في الوقت الحاضر.

اقترح قائلاً: «ما رأيك بتناول العشاء الليلة؟ أعرف أنني أبلغك قبل وقت قصير، لكن هذا قد يفيدك».

قالت: «أودّ ذلك». وهي مصممة على جعل السهرة ممتعة، وعلى عدم إخباره عن مشاكلها. أرادت وقتاً للاستمتاع به أيضاً. وفي الفترة المتبقية من بعد الظهر، حاولت التركيز على تحسين مزاجها. كادت تنجح تقريباً إلى أن انفجر أنبوب في أحد المنازل التي تصممها وسبب أضراراً بقيمة مئة ألف دولار، وقضى على لوحة فنية مهمة. وتوجب عليها نقل الخبر إلى الزبون الذي جنّ جنونه. كانت لا تزال منزعجة بسبب ذلك

عندمـا ارتـدت ثيابهـا للخروج إلى الموعد في تلـك الليلة، ولم تصلها أي أخبـار جديـدة من تيد. حاولـت نسيان ذلك أيضاً، لأنه لا يمكنها فعل أي شـيء حيـال هذا في الوقت الحاضر. فمهما كان تيد ساذجاً، فهو يبقى في النهاية شخصاً راشداً، وهو من أوقع نفسه في الورطة أساساً. الآن، صار دور آني للاستمتاع بأمسية هادئة وتناول العشاء مع رجل تستلطفه. ليس هذا كثيراً.

ارتـدت آنـي ثياباً جديدة من تلك التـي اختارتها لها ليز، وكانت قد بـدأت تشعـر بالتحسـن عندما دخلـت كايت غرفتها مـع تعبير جدي على وجهها.

سألـت: «هـل أستطيـع التحدث إليك؟». فيما تـرددت آني ونظرت إليها.

سألتهـا آنـي فيمـا كانـت تضع أحمـر الشفاه: «لماذا يبـدو لي الأمر مشؤومـاً؟». يفترض أن يصـل طوم في أي دقيقـة. تساءلت أيضاً لماذا يتطرق الأولاد إلى الموضوعات المهمة عندما تكون على وشك الخروج مـن المنـزل؟ أو لماذا تتلقى الاتصال الهاتفـي الحاسم المنتظر منذ أسابيع وهـي تستعـد للخروج؟ إنه قانـون مورفي. «إذا كان ما تودّين قوله شيئاً لطيفـاً فقوليـه. أنت لا تطلبين الإذن منـي للتحدث إليّ». ابتسمت كايت. «وينبئني هذا بأنه شيء لا أريد سماعه». لم تنكر كايت ذلك، بل اعترفت وهي تنظر إليها بحزن:

«نعم، ربما هذا صحيح».

سألت آني: «هل الأمر مهم؟». ثمّ وضعت أحمر الشفاه في حقيبتها.

اعترفت كايت: «نوعاً ما».

«إذاً، فلنتحدث عن الأمر لاحقاً أو غداً. أنا على وشك الخروج من الباب، وأريد الانتباه إلى ما ستقولينه. والآن لديّ موعد مع طوم، وأريد التركيز على هذا والاستمتاع معه».

قالـت كايـت بتجهم: «حسناً». لـم تكن مسرورة، لكنها لاحظت أن

آني خارجة. «بالمناسبة، تبدين جميلة».

«شكـراً. أتمنـى أن أحظـى بأمسية محترمة مع طوم، من دون أن يتعرض أحد للطعن، أو يخيفني حتى الموت أو تعلن إحداكما أنها حامل. أعتقد أنه بدأ يظن أننا جميعاً مجانين».

وصـل طـوم في الموعـد المحدد، وبدا وسيمـاً ومسترخياً. وابتسم ابتسامة عريضة عندما رأى آني. فقد كانت الإضافات الجديدة إلى خزانة ملابسها مناسبة لها تماماً. اتصل بها المقاول في موقع البناء المغمور بالماء في أثناء خروجهما من الباب وأخبرها أنهم اكتشفوا تعرض لوحة فنية ثانية للتلف. إنها لوحة لبيكاسو. فقالت له آني بهدوء إنها ستتصل به غداً، فهي لا تستطيع فعل أي شيء في الوقت الحاضر. إنه وقتها مع طوم.

«هل من مشكلة؟». أحسّ بتوترها عندما تلقت الاتصال.

«واجهنـا فيضانـاً في موقع بناء بعد ظهر اليوم، وتعرضت لوحتان فنيتـان مهمتـان للتلف. كان الزبون منزعجاً جداً. المقاول هو من اتصل بي. سأعالج المشكلة غداً».

قال فيما دخلا المصعد: «لم أدرك قطّ أن الهندسة المعمارية مسببة للتوتر».

«يكون الأمر دوماً مسبباً للتوتر عندما تواجه مواعيد نهائية، وزبائن مـن أصحـاب النفوذ. كما أن تشييد منزل أو تغيير هندسته يخرج أسوأ ما في الأشخاص. يتطلق تقريباً واحد من خمسة من زبائني، أو حتى واحد من أربعة في أثناء تشييد المنزل أو تغييره. فإذا كان الزواج متزعزعاً، فإن آخر ما يريده الشخص هو بناء منزل مع شريكه».

قـال: «هـذا صحيح. كنت قد نسيـت الأمر، لكن القشة التي قصمت ظهـر البعيـر فـي زواجنا كانت قرارنا بـأن نغيّر ديكـور المنزل. كلّف الأمـر ثـروة، ممـا أزعجني، وجنّ جنونها لأنني لـم أتواجد قطّ للتحدث إلى المقاول. وعندما قررنا الانفصال، بعنا المنزل، وكنت متحمساً».

«إذاً، أنـت تفهـم ما أقصده. أشعـر أنني مستشارة زواج أحياناً. إذ

يتحـول الأشخاص العاقلون إلى وحوش عندمـا يرممون منازلهم، وإذا كان الزواج جيداً، فهم يصبون جام غضبهم عليّ. وفي الزيجات السيئة، أعلق بين نارين».

مازحها قائلاً: «هل فكرت في التقاعد؟». وعرف أنها لن تفعل هذا.

قالـت بصراحـة: «لا، لأنني عندما سأضجر كثيراً، وقد عملت بكدّ كبيـر للوصـول إلـى هنا. بالإضافة إلـى ذلك، بدأ مـال بوليصة التأمين الخاص بالأولاد بالنفاد قبل أعوام عدة، وأريد مساعدتهم». وكانت هي التي تدفع قسط تيد في كلية الحقوق.

قال لها: «إنهم محظوظون بك». فيما دخلا السيارة التي استأجرها مـع سائقهـا لهـذه الليلة لأن الطقس بارد جداً؛ فهـو لا يريد أن تتجمد آني فيمـا ينتظـران مرور سيارات الأجرة. وهـي لا تستطيع المشي مسافات طويلـة مـع عكازيها. حـاول تسهيل الأمور عليها، ولم يفعل أحد هذا من قبل مطلقاً.

المطعم الجديد الذي اصطحبها إليه كان جميلاً، وكان الطعام لذيذاً. لم تكن آني جائعة بعد كل الأزمات التي واجهتها، لكنها فرحت بوجودها هناك. لم تتناول آني طبقها بكامله، ولاحظ طوم ذلك وسألها إن لم يعجبها الطعام. بدا خائب الأمل، فقد أراد أن تكون الأمسية مميزة، ولاحظ أنها متعبة، بالرغم من أنها بذلت جهداً للتحدث إليه.

اعترفت له: «لست معتادة على الحياة الاجتماعية. فأنا أعود متأخرة من العمل إلى المنزل عادة وأخلد إلى النوم. أستطيع تدبر مشاكل الأولاد والعمل وكل ما يترافق مع ذلك، لكنني لست معتادة على ارتداء ملابسي والخـروج أيضـاً». يواجه هو أيضـاً المشكلة نفسها بعد يوم عمل طويل، لكنه لم يشأ الانتظار حتى عطلة نهاية الأسبوع لرؤيتها.

قال لها فيما تشاركا طبق الحلوى: «لديّ فكرة». كانت وجبة لذيذة، وأرسل لهما الشيف أنواعاً عديدة من الحلويات والمفاجآت لكسب إعجابهما. غالباً ما تفعل المطاعم ذلك عندما يخرج لتناول الطعام. «أعرف أن الوقت

لا يزال مبكراً، وأننا نريد أن نكون منطقيين ونتحرك ببطء. لكننا نخرج مع بعضنا منذ شهر تقريباً، ولا أظن أننا سنحظى بأي هدوء أو سلام هنا. ما رأيك بأن نذهب بعيداً في إحدى عطل نهاية الأسبوع؟ يمكننا النوم في غرفتين منفصلتين إذا كنت تفضلين ذلك. لكنني أودّ اصطحابك إلى مكان ما. ما رأيك؟». بدا الأمر رائعاً وموتراً قليلاً بالنسبة إلى آني. إنها خطوة لـم تكـن مستعـدة بعد للقيام بهـا، لكنها لاحظت أنه شعـر بالإحباط نتيجة الفوضـى فـي حياتها وحاجته إلى المكافحة للحصول على وقتها وانتباهها. إنهـا محظوظـة لأنه يرغب في الاستمرار معها، وليست واثقة بأنها كانت لتفعل الشيء نفسه لو كانت مكانه.

قالـت بهـدوء: «يبدو هـذا رائعاً. ما المكان الـذي تفكّر في الذهاب إليـه؟». فمـع وجـود تيد في مثل هذا الوضـع الصعب، لم تكن واثقة من قدرتها علـى الذهـاب بعيداً، لكنه ليس ولداً فـي الخامسة من عمره، ولا تريد قول ذلك لطوم. فهو يحاول جاهداً إرضاءها ومنحهما أفضل فرصة ممكنة للنجاح. لا يمكنها طلب المزيد من أي رجل. وهو يستلطفها فعلاً، وأراد منح علاقتهما صفة محترمة. وهذا أكثر مما تستحقه بحسب رأيها.

«لماذا لا تتركين الأمر لي؟ سأرى إذا كان في وسعي العثور على مكان للذهاب إليه، حيث ننعم بالسلام». ابتسم لها، ووضع يده على يدها فـوق الطاولـة. لغاية الآن، اقتصر التعبير الجسـدي بينهما على القبلات فقـط. «مـاذا تفضلين؟ غرفتين أو غرفة واحدة؟». أرادت القول غرفتين لكنهـا لـم تملـك الشجاعة. وعرفت أنها ستكـون متوترة حيال ذلك عندما يبدآن المغامرة.

قالت بصوت هادئ: «غرفة واحدة». بحيث بالكاد استطاع سماعها، فابتسم لها، ووضع ذراعه حولها.

«ما رأيك في غرفتين، ونستطيع اللعب بالأصوات».

سألتـه وهـي تنظر إليه بذهول: «كيف يعقل أن أكون محظوظة إلى هذا الحد؟ يمكنك أن تطلب مني الذهاب إلى الجحيم».

«نعم، لكن فكري في ما سأخسره. قد يكون الحب فوضوياً، وفي عمرنا يحتاج إلى القليل من التنظيم والتعديل. حياتي ليست سهلة دوماً أيضاً».

قالت بامتنان: «شكراً». وانحنى لتقبيلها.

«لا تسأليني لماذا، لكن ما إن رأيتك في قاعة الانتظار في قسم الطوارئ حتى عرفت أنك شخص مميز جداً، وأردت التعرف إليك بصورة أفضل». ولغاية الآن، لم يندم على ذلك، ولا هي أيضاً. «علينا أن نتصور فقط كيفية إفساح كل منّا المجال في حياته للآخر». عرفا أن هذه الخطوة ليست سهلة. فقد خسرت سيث بسبب التزامها بأولاد أختها، ولم تكن تملك الخيار حينها. لكن بعد ستة عشر عاماً، إنه أمر غير عادل أن تتخلى عن طوم من أجلهم. عليها أن تعرف فقط كيف تكون موجودة من أجلهم ومن أجله، وكيف تنجز عملها في الوقت نفسه. عرفت أنها تدين لنفسها بحق التجربة. قالت لها ويتني ذلك لأعوام عدة. والتقت أخيراً شخصاً يستحق ذلك. لم تخبر ويتني عنه بعد. فقد ذهبت صديقتها برفقة فريد في رحلة بحرية لمدة أسبوعين، وبعد عودتهما، كانت آني مشغولة جداً بحيث لم تتمكن من إخبارها بما يجري في حياتها. غريب أن تدرك أنها تراه منذ شهر تقريباً من دون أن تعرف أفضل صديقة لها ذلك. لكنها لم تأخذ المسألة على محمل الجد في البداية، وظنت أنهما مجرد صديقين. لكن، مع دعوته إيّاها لتمضية عطلة نهاية الأسبوع برفقته، تأكدت مجدداً أن الحال ليست كذلك.

اصطحبها طوم إلى منزلها بعد العشاء، ورافقها إلى الأعلى. سألها عن عطلات نهاية الأسبوع التي تكون حرة فيها ليتمكنا من التخطيط لعطلتهما، وقبّلها برفق، فشكرته على العشاء، ثم غادر. وعندما دخلت الشقة، لاحظت أن كايت كانت تجلس بانتظارها. برز الترقب على وجهها، وأحست آني أنها لو عادت إلى المنزل عند الساعة الثانية من بعد منتصف الليل، لوجدت كايت جالسة أيضاً بانتظارها.

قالت آني فيما علّقت معطفها متنهّدة: «لا بد من أن الأمر مهم». من الجميل تمضية أمسية واحدة من دون دراما. إنها متشوّقة إلى الذهاب بعيداً مع طوم الآن. ولا تريد أن تفسد كايت الأمر عليها، لكنها بدأت تدرك أن أي شيء ممكن في أعمارهم الآن. كايت وبول مغرمان جداً. دخلت آني غرفة الجلوس وجلست على الأريكة ونظرت إلى كايت قائلة: «حسناً ما الأمر؟».

قالت كايت بتعبير جدي: «أريد أن أخبرك بأمر مهم». ولاحظت آني أنها مستعدة لمعركة. انتظرت آني لسماع الخبر. «سأذهب إلى إيران لمدة أسبوعين مع بول. حصلت على الفيزا، ودفعنا ثمن تذكرتي السفر. أردت فقط إخبارك. لا يمكنك منعي، ولا أريد أن أكذب عليك، ولذلك أنا أخبرك. سنغادر قريباً لمدة أسبوعين». ساد صمت مخيف في الغرفة بعدما تحدثت. ولم يكن رد فعل آني مثلما توقعت كايت. فقد تحدثت خالتها بصوت منخفض وهادئ ومسيطر. لقد أفادتها الأمسية مع طوم على ما يبدو. الوقت الذي أمضته معه أفادها.

قالت آني بهدوء: «سأكون صريحة جداً معك». كانت حزينة وإنما غير غاضبة. «أظن أنها فكرة غبية جداً، إلى درجة الخطورة. لن تكونا فقط في خطر هناك، وإنما أنتما تذهبان معاً كثنائي إلى بلد حيث سيتم نبذكما معاً. أظن أن ما تفعلانه خطر جداً، وسأقلق مثل المجنونة في أثناء وجودك هناك، وقال لك طوم الشيء نفسه لكنك لم تصغي إليه أيضاً. إنه يعرف عن إيران أكثر مما أعرف أنا، أو حتى بول. لكنك محقة. أنت راشدة، ولا أستطيع منعك. لديك الحق في اتخاذ خياراتك وقراراتك، وفي ارتكاب أخطائك». امتلأت عينا آني بالدموع فيما تحدثت إليها. «الخلاصة هنا بالنسبة إليّ ليست مسألة النفوذ. فأنا لا أحاول السيطرة عليك. لقد دفنت أختي، ولا أريد أن أدفن ابنتها أيضاً. أتمنى فقط أن تكوني بخير». وقفت آني وحملت عكازيها، ودخلت غرفتها.

جلست كايت تحدق إليها ولم تتفوه بأي كلمة. توقعت معركة شرسة،

وساعات من الصراخ والدموع. إلا أن آني فعلت بدلاً من ذلك ما عرفت أنه يجب فعله؛ فقد احترمت حق ابنة أختها في اتخاذ قراراتها وسمحت لها بالذهـاب. عرفـت أن كايـت مخطئة، لكنها لم تحاول منعها حتى. عليهما الآن التعايش مـع الوضع: آني مع القلـق، وكايت مع المسؤولية الكاملة لكونهـا راشـدة. أدركـت كايت أن ما فعلته آنـي للتو كان مؤثراً أكثر مما لو صرخت ومنعتها من الذهاب. وفجأة، أصبحت كايت قلقة أيضاً. لكنها وعدت بول بالذهاب معه. فقد أراد منها أن تعرف كل شيء عن عالمه. الجزء الأصعب بالنسبة إلى كايت هو أنّ طوم وآني ربما يكونان محقين. وفيمـا دخلـت كايت غرفـة نومها، انهمرت دمعتان على وجهها. في هذه الحالة، وللمرة الأولى، لم يكن نصر سن الرشد حلواً جداً.

الفصل الثامن عشر

كانـت عطلـة نهاية الأسبوع مع طوم حلمـاً تحول إلى حقيقة. فهي لـم تكـن تعرف أن الناس يفعلون مثل هذه الأشياء، ويدللون أنفسهم بمثل هـذا الترف. فطوال حياتهـا كامرأة راشدة، عملت واهتمت بأولاد أختها ولم تفكر قطّ في تدليل نفسها. رحلاتها كانت إلى ديزني لاند عندما كانوا صغاراً، والتنقل في أرجاء البلاد للقاء الزبائن، والسفر إلى أوروبا مرتين مـع الأولاد، ومـن ثـم التخطيط لرحلاتهم. لم تأخذ قـطّ إجازة لنفسها، ولـم تكـن تعـرف ماذا تفعل بها لو أخذتها. لـذا، ملأت وقت فراغها في السنـوات الأخيـرة بالعمـل. فتح لها طوم عالماً جديـداً تماماً. قال إنه لم يذهـب قـطّ إلـى هذا المكان من قبل، لكنه بحث جيـداً عن المكان المثالي الذي ينوي اصطحابها إليه. وهذا هو. أخذها إلى جزر الترك والكايكوس في الكاريبي.

طـارا مباشـرة مـن مطار كنيدي إلـى بروفيدانسيـال، واستغرقت الرحلـة ثـلاث ساعات ونصف الساعـة. استقبلتهما قـرب المطار سيارة ليموزين وأقلّتهما إلى الفندق، حيث حجز لهما جناحاً، مع حوض سباحة خاص به، ولديه شاطئ خاص أيضاً. كان الرمل بلون العاج وناعماً مثل السكر، وكانت المياه شفافة وفيروزية اللون. ومثلما وعدها، كانت هناك غرفتا نوم في الجناح. لم ترَ قبلاً أي شيء بهذا الترف، وكان هناك خادم لتلبية كل احتياجاتهما. ثمة سلة كبيرة من الفاكهة موضوعة على الطاولة، وقنينـة شـراب. شعرت وكأنهـا ماتت، وذهبت إلى النعيم. هذا أفضل ما يمكـن فعلـه للهروب من توترات الحياة اليوميـة وضغوطها. كانا ينويان البقـاء فـي هذا المكان مدّة ثلاثـة أيام، وتمنت ألا يحدث أمر طارئ لأي

منهما يعرقل مشروعهما. في حالتها، هناك أولاد أختها، وفي حالته، هناك أزمات العالم. إنه معرض لهذا في أي وقت.

قالت بنظرة طفولية: «لا أصدق هذا». كان الأمر أشبه باكتشاف أن سانتا موجود فعلاً، وهو طوم، باستثناء البذلة الحمراء واللحية البيضاء. لقد خطط للعطلة المثالية لهما. فهما يستطيعان الذهاب إلى مطاعم مجاورة، أو تناول الطعام في الجناح، والاستلقاء قرب حوض السباحة، والتنزه على الشاطئ، والسباحة في المياه الشفافة، وعدم رؤية أي كائن بشري طوال ثلاثة أيام إذا أرادا ذلك. الأمر أشبه بالهبوط في النعيم. وضع ذراعيه حولها فيما نظرت إلى كل شيء بسرور ودهشة. إنها أجمل هدية حصلت عليها في حياتها. هدية الوقت والراحة، وتشاركهما معه. إنه أشبه بشهر العسل. قالت وهي تبتسم له: «لا بد من أنني المرأة الأكثر حظاً في العالم». عندها قبّلها.

«إنها مكافأة لك من أجل كاحلك الملتوي، ولكونك فتاة شجاعة جداً في كل ما تفعلينه». تلألأت الدموع في عينيها عند قوله ذلك. وأضاف: «لم أعرف قبلاً أي شخص يواجه مثل هذا القدر من الأمور ويتعاطى معها بشكل جيد. أريد أن أهوّن عليك الأمور قليلاً، لكي نملك وقتاً لبعضنا». هذا المكان رائع لذلك. شعرت أنها بعيدة تماماً عن الحياة الحقيقية، وحتى عن الأولاد، بالرغم من معرفتهم كيفية الاتصال بها والوصول إليها. ووعدت نفسها بعدم التحدث عنهم باستمرار في الأيام الثلاثة المقبلة.

تنزها على الشاطئ تلك الليلة قبل أن يخلدا إلى السرير، وسبحا في حوض السباحة الخاص بالجناح. ارتديا ثوبي سباحة لأنهما لم يتجاوزا هذا الجسر بعد، وتحدثا لساعات طويلة تحت ضوء القمر، وعندما توجها إلى السرير أخيراً، بدا وكأن تشاركهما غرفة النوم نفسها هو الأمر الأكثر طبيعية في العالم. استلقت بين ذراعي طوم، وشعرت بارتياح كبير معه. كانت ترتجف قليلاً لكن ذلك ناتج عن الشوق، وليس عن الرعب، ولم يخب أمل أي منهما. كان الأمر تماماً مثلما تمنياه، بحيث اجتمع نصفان

ليصبحا واحداً. وشعرا أن هذا ما يفترض حصوله.

جلسا على المصطبة بعد ذلك، وهما يمسكان بيدي بعضهما ويقبّلان بعضهما، وسبحا في حوض السباحة مجدداً، ثم عادا إلى السرير حيث اكتشفا بعضهما، واستلقيا متعانقين طوال الليل. ناما مثل ولدين صغيرين واستيقظا باكراً، وكررا الأمر مجدداً. كان قد حلّ الظهر عندما طلبا الفطور إلى المصطبة، وقاما بنزهة على الشاطئ بعد ذلك. سبحا في المحيط طوال النهار، وتناولا العشاء على المصطبة في تلك الليلة. ضحكا على أشياء سخيفة. وأخبرته أني عن خسارتها أختها فيما أمسك بها طوم. تحدثا عن طفولتيهما، وآمالهما، وخيبات أملهما، وأحلامهما. وتعرفا إلى بعضهما، وكان الأمر فعلاً أشبه بشهر عسل. إنه الأساس الذي يحتاجان إليه؛ الوقت بعيداً عن كل شيء.

في نهاية الأيام الثلاثة، اندمج جسماهما وقلباهما معاً. لم تشعر أني قطّ بهذا القدر من الارتياح في حياتها مع أي كان، وشعر طوم أنه متزوج بها أكثر مما كان يشعر حيال زوجته السابقة. فقد كان وزوجته السابقة مختلفين جداً مع عدد قليل من القواسم المشتركة بينهما. كان الأمر مقتصراً بينهما على الشغف، وقد اختفى بسرعة كبيرة. أما المسألة الآن فأكثر عمقاً. شعرت أني أنهما يتشاركان روحاً واحدة. ما يتشاركانه يمكن القول عنه إنه روح شقيقة أو روح واحدة. لم تشأ المغادرة مطلقاً، غير أنهما أرغما نفسيهما على الابتعاد عن بعضهما يوم الأحد. أخبرته أني أنها لن تتمكن أبداً من شكره كفاية على ما فعله من أجلها عبر منحها هذه الإجازة.

صباح يوم الأحد، جلسا على المصطبة وهما يحاولان أن يفكرا في ما سيفعلانه بعد ذلك. فالأولاد الذين ربتهم أصبحوا راشدين الآن وكباراً كفاية ليتفهموا تمضيته ليلة أو عطلة نهاية الأسبوع معها، بالرغم من اعتقادهما معاً بأن الوضع سيكون أكثر هدوءاً في منزله. تحدثا عن عيشهما مع بعضهما في مرحلة معينة، وسألها عن رأيها في الزواج. لم تكن واثقة بأنها تهتم. إذ لم يعد هذا هدفاً أو حتى احتمالاً بالنسبة إليها منذ

زمن بعيد جداً، بالرغم من أنه أصبح الآن خياراً مجدداً. في النهاية، قررا ترك الأمور للقدر لمعرفة ما سيحصل. وأقسما لبعضهما بأن يحاولا على الأقل عدم السماح لأي كان بالتطفل عليهما، وأن يجعلا علاقتهما أولوية. لم تكن تهتم بمقدار سفره في عمله. وقال إنه راضٍ بعملها وبالأولاد، طالما أنه يوجد مكان له أيضاً في كل ذلك. ستبدأ علاقتهما الحقيقية بعد أن يغادرا التوركس والكايكوس. وغادرا الجناح يداً بيد. نظرا إليه وابتسما، وهما يعرفان أنهما لن ينسياه أبداً؛ فهو المكان الذي ولد فيه حبهما.

يوم غادر طوم وآني إلى التوركس والكايكوس، كانت ليز في مكتبها في مجلة **فوغ**، تنجز بعض الأبحاث لمقال خاص بعدد شهر يونيو. واتصلت بها مساعدتها المؤقتة عبر الهاتف الداخلي لتقول لها إن لديها اتصالاً من شخص اسمه جورج. عفواً السيد جورج. أوحى لها الاسم بأنه مزين شعر، ولم تعرف ليز مطلقاً من يكون. كادت أن تطلب منها أن تأخذ منه رسالة، ثم تلقت الاتصال بنفسها؛ فهذا أسرع من الشرح.

قالت بصوتها الرسمي: «نعم؟ ليز مارشال». الصوت الذي أجابها كشف عن لكنة إيطالية قوية لكنه تحدث الإنكليزية بطلاقة. لم تعرف من يكون في البداية، ثم عرّف عن نفسه مجدداً. أليساندرو دي جيورجيو، مصمم المجوهرات الروماني الذي أنقذها في جلسة التصوير في ساحة الفاندوم. كان هذا قبل أكثر من شهر.

قالت وهي تشعر بالإحراج لأنها لم تتعرف إليه: «آه، أهلاً. كيف أستطيع مساعدتك؟ هل تتصل من روما؟». كانت قد وعدته بأن ترسل له صوراً مسبقة، لكنها لم تجهز بعد.

شرح لها: «لا أنا في نيويورك. أتصل فقط لألقي التحية». كان الكثير من مصممي المجوهرات يبقون على اتصال معها لكي تتذكرهم، ولذلك لم تتفاجأ لتلقيها هذا الاتصال منه، بالرغم من أنه لم يسبق لها أن تلقت منه أي اتصال مباشر إلى أن التقته شخصياً في باريس. ولم تسمع

منه أي شيء منذ ذلك الحين.

«ماذا حصل لزوجة الأمير؟ هل اشترت شيئاً من المجوهرات الأخرى؟». تذكرت أنه أحضر لها المجوهرات إلى باريس.

«اشترت كل القطع الخمس التي قمت بتصويرها. إنها مسرورة جداً لأنها ستظهر في مجلة **فوغ**». تذكرت ليز أن تلك المجوهرات تساوي خمسة أو ستة ملايين دولار، وهذا مؤثر جداً. لكن دي جيورجيو اسم مهم.

سألته ليز بتهذيب: «ماذا تفعل في نيويورك؟». إنه رجل لطيف، ولا شك في أنه ساعدها.

«أنا أبحث عن متجر، لكنني لم أقرر بعد إن كان يجدر بنا افتتاح واحد هنا. فلطالما تجادلنا حول هذا الأمر أنا ووالدي. هو يقول نعم، وأنا أقول لا. فأنا أفضل أن نكون أكثر حصرية، وأن نبقى في أوروبا. أمّا هو فيريد افتتاح متاجر في نيويورك وطوكيو ودبي. في هذه الحالة، يبدو الأكبر في السن أكثر عصرية في تفكيره، فيما أنا الأكثر تحفظاً. لا أعرف. ربما يجدر بنا افتتاح متجر هنا. أنا هنا للبحث عن بعض المتاجر المتوافرة. واتصلت بك لأرى إن كنت ترغبين في تناول الغداء معي؛ إذا كان لديك الوقت. هل ستكونين في المدينة في عطلة نهاية الأسبوع؟».

كانت ليز تحبّ الابتعاد عن المدينة في عطلات نهاية الأسبوع عند الإمكان، لكنها تعمل في معظم الوقت على إنجاز أبحاث أو القيام بجلسات تصوير. وهي تعمل أحياناً سبعة أيام في الأسبوع. وكانت تأمل أن تذهب للتزلج في عطلة نهاية الأسبوع، لكن خطتها فشلت.

قالت بسرور: «في الواقع، سأكون هنا».

«هل يمكنك تناول الغداء معي ظهر يوم السبت؟ أنا أقيم في فندق شيري نيثرلاند، ومطعم هاري سيبرياني فيه جميل جداً». إنه أحد مطاعمها المفضلة، وأحد أكثر المطاعم رواجاً في نيويورك. ابتسمت. جعل الأمر يبدو وكأنه مطعم صغير صودف وجوده في فندقه.

«أودّ ذلك. سألاقيك هناك».

اقترح عليها: «أستطيع المرور لاصطحابك إذا شئت».

«أنـا أعيش فـي وسط المدينة، والمكان بعيد جـداً. سألاقيك في المطعـم». كان مهذبـاً جـداً، وكشف عن أصول التصـرف واللياقة التي باتت نادرة في الولايات المتحدة، لكنها أحبت ذلك. جعلها تصرّفه تشعر بأنّه يحميها، وراودها الشعور نفسه حياله في باريس.

التقته ليز في اليوم التالي في مطعم هاري سيبرياني، وكان ينتظرها فـي الخـارج. ارتدت ليز سـروالاً أسود وكنزة سـوداء، وانتعلت حذاء بالانسياغـا عالـي الكعب. إنه أطول منهـا بكثير، وشكلا ثنائياً لافتاً للنظر عندمـا دخـلا المطعم معاً. فقد أسدلت شعرها الأشقر الطويل إلى الأسفل، وارتـدت معطفـاً من فـرو اللينكس اشترته من باريس فـوق ثيابها. كانا رائعين مع بعضهما، وتحدث أليساندور إلى النادل باللغة الإيطالية بصوت عميق وعال، وبدا مثل معظم الرجال الذين التقتهم ليز في روما وميلانو.

كان التحـدث إليـه ممتعـاً، وأخبرهـا قصصاً عديدة عـن متاجرهم وأعمالهـم، وبعضـ زبائنهم المشهورين الذيـن قاموا بأشياء فاضحة على مـرّ السنـوات. لـم تكن أي مـن رواياته حقيرة، وجعلهـا تضحك طوال الغـداء. أمضيـا مـع بعضهما وقتاً رائعـاً، وكانت الساعـة الرابعة عندما غادرا المطعم.

سألهـا: «هـل تودين رؤية المتاجر التي أفكر فيها؟». إنها جميعاً في جـادة ماديسـون وغير بعيدة كثيراً. مشيا إلـى شارع ماديسون، وكانت هنـاك ثلاثـة متاجر، مع مساحات عملاقـة، وكلفة إيجار هائلة. لم يغرم بأي منها، وهي أيضاً، فثمة شيء بارد فيها.

اقترحت ليز بعفوية: «خالتي مهندسة معمارية. عليك أن تطلب منها تصميم شيء لك». كان ذلك بمثابة نكتة أكثر مما هو اقتراح جدي، لكن بـدا وكأنـه أحـب الفكرة. ثم أخبرته ليز أنهـا ترعرعت معها وأنها بمثابة أم لها.

«هل تركك والداك معها؟». بدا متفاجئاً. لم تذكر الأمر خلال الغداء، لكنهمـا لـم يتشـاركا أي تفاصيل شخصية. عرفـت أنه عازب، ولديه أخت تعمل في هذا المجال أيضاً. إنها مسؤولة عن الإعلان، وليس عن التصميم.

قالت ليز ببساطة: «توفي والداي عندما كان عمري اثني عشر عاماً، وتولـت خالتـي تربيتي مع أخي وأختي. أنـا الأكبر سناً». بدا متأثراً جداً حين قالت ذلك.

قـال بنبـرة متعاطفـة: «لا بد من أن الأمر كان مريعاً بالنسبة إليك، أقصـد أن تخسـري والديـك وأنت صغيرة في السـنّ. لا أتخيل ذلك. أنا قريب جداً من والديّ وأختي، وجدّيّ. العائلات الإيطالية هكذا».

«ونحن أيضاً. أنا قريبة جداً من خالتي وأختي وأخي».

«لا بـدّ مـن أنهـا امرأة لطيفة جداً لأنها اهتمت بكم. هل تملك أولاداً هي أيضاً؟ هل لديك أقارب؟».

«لا، إنها عازبة. لم تتزوج قطّ. كانت مشغولة بنا جداً. فقد كانت فـي السادسـة والعشرين عندما حصل ذلـك. إنها رائعة معنا». بدا متأثراً جـداً بمـا قالته له. عـادا إلى جادة ماديسون سيراً علـى الأقدام، وكانت الساعـة قـد أصبحت الخامسة حينها. شكرتـه على الغداء، وعرض عليها اصطحابها إلى المنزل.

ابتسمت له قائلة: «لا بأس. أنا أعيش في الفيلاج».

بـدا متـردداً، لكنـه لم يشـأ أن يتركها. «هل تودين تنـاول العشاء معـي الليلـة؟». لـم يكن لديه شيء آخر ليقوم به فـي نيويورك، باستثناء رؤية المتاجر الثلاثة، ورؤية زبونة يوم الاثنين. إنه حرّ في عطلة نهاية الأسبوع.

«سيكـون هـذا ممتعـاً. لـمَ لا تأتي إلى شقتي لاحتسـاء الشراب عند الساعة الثامنة؟ ثمة مطعم إيطالي جميل قربي، اسمه دا سيلفانو. سأحجز طاولـة لنـا عند الساعة التاسعة أو التاسعة والنصف. الجو أكثر حيوية في وسط المدينة، وهناك الكثير من الشباب الذين يعيشون هناك. والجو أكثر

عفوية. يمكنك ارتداء سروال جينز، إذا كنت قد أحضرت واحداً معك». لقد أحضر معه واحداً لكنه لم يجرؤ على ارتدائه في أعلى المدينة. بدا سعيداً لأنه سيراها مجدداً قريباً.

دوّنت له عنوان منزلها، وأوقف لها سيارة أجرة. وفيما انطلقت السيارة بعيداً، لوّحت له. إنه لطيف، ومهذب، وذكي، ومرح، ومبدع، واستمتعت بالتحدث إليه. من الممتع وجود شخص يمكن تمضية الوقت معه في عطلة نهاية الأسبوع. إنه نعمة غير متوقعة. أحضرت الكثير من الأزهار في طريق عودتها إلى المنزل لتزيين الشقة، ووضعت قنينة من الشراب الأبيض في البراد.

حجزت طاولة في مطعم دا سيلفانو عند الساعة التاسعة والنصف. وعندما وصل أليساندرو إلى شقتها عند الساعة الثامنة، بدت الأزهار جميلة، وكانت الموسيقى هادئة، وكانت ترتدي سروالاً ضيقاً من الجلد الأسود وكنزة بالانسياغا طويلة. كان أليساندور يرتدي كنزة سوداء وسروال جينز. بدا عفوياً وأصغر سناً مما كان عليه خلال الغداء.

نظر إلى أقراصها الموسيقية، واكتشف أنهما يحبان الكثير من الأشياء نفسها، وأحب شقتها. أحضر معه قنينة شراب وشمعة معطرة. تحدثا كثيراً إلى بعضهما بحيث كادا يفوّتان الحجز في مطعم دا سيلفانو عند الساعة التاسعة والنصف. صادفت ليز عدداً من الأصدقاء هناك، جميعهم في مجال عملها، وعرّفتهم إلى أليساندرو. لاحظت أنهم تأثروا جميعاً بوسامته. أما هي فتأثرت أكثر بلطفه وحديثه الممتع. إنه مثال الأوروبي المثقف والمتكلف.

لم يعودا إلى شقتها إلا عند منتصف الليل، وكان مهذباً جداً فيما تركها في الأسفل وقبّلها على وجنتها. حدّدا موعداً ليلتقيا مجدّداً ويتناولا الغداء في فندق ميرسير في سوهو في اليوم التالي، وليتنزّها في سنترال بارك بعد ذلك. تماماً كما حصل في باريس، هبط أليساندرو حاملا معه الدفء والطمأنينة.

الفصل التاسع عشر

بالرغم من كل ما قاله لها طوم وآني ليبدّلا رأيها، وبالرغم ممّا قاله والدا بول له، غادر بول وكايت إلى لندن بعد أسبوعين، للانطلاق من هناك إلى طهران. كانا متحمسين للرحلة، وبدا بول متشوقاً لرؤية أقاربه مجدداً، خصوصاً جده الذي أحبه كثيراً عندما كان صغيراً. كانا ينويان البقاء مع عائلة بول لمدة أسبوعين. ذهبت آني مع والدَي بول إلى المطار لتوديعهما. تحدث الكبار مع بعضهم بطريقة ودية، وكان والدا بول لطيفين جداً مع آني وكايت. ساعدهما والد بول على نقل حقائبهما، وأعطت والدته كايت وشاحاً للرأس مطوياً بطريقة مرتبة مع معطف رمادي رقيق من القطن. وشرحت لكايت أنّه يجب عليها وضع وشاح الرأس عندما تنزل من الطائرة في طهران، وربما في أثناء الرحلة. إذ يجدر بكايت إبقاء شعرها مغطى طوال الوقت، وقد تحتاج إلى المعطف القطني في بعض المناسبات. ستخبرها عائلة بول متى. أقنعتها آني بترك معظم تنانيرها القصيرة في المنزل كي لا تلفت الانتباه إلى نفسها، أو كي لا تهين أيّاً كان في أثناء وجودها هناك، فوافقت كايت بسهولة. فهي لا تريد إهانة عائلة بول أو أي كان. شعرت آني بالارتياح لذلك.

عانق بول وكايت أهلهما ولوّحا لهم في أثناء عبورهما حاجز الأمن. وبعدما غادرا، طمأن والد بول آني وقال لها إنهما سيكونان بخير. قال إن طهران جميلة مثل نيويورك، ووعدها بأن تقوم زوجة أخيه بالاهتمام بكايت، كما أن بول شاب مسؤول. بالنسبة إلى آني، كانا صغيرين جداً للسفر إلى أي مكان، خصوصاً إلى هذا المكان البعيد. إنها أبعد مسافة سافرتها كايت على الإطلاق، وبدت مثل الطفلة الصغيرة عندما رفعت

حقيبة ظهرها واجتازت حاجز الأمن مع بول. اشتاقت إليها آني في أثناء عودتها إلى المنزل. سيبدو المنزل فارغاً جداً من دونها. إنّ لكايت حضوراً قوياً في حياتها اليومية، وستشعر بغيابها كثيراً. قالت لنفسها إن الرحلة إلى طهران ستتم بخير، وسوف يعودان إلى المنزل بعد أسبوعين.

دعت طوم للإقامة عندها في أثناء غياب كايت، وكانا متشوّقين إلى ذلك. فالأسبوعان اللذان تليا رحلتها إلى التوركس والكايكوس كانا هادئين جداً. لم ينسحب أي من المقاولين، وأحسن زبائنها التصرف، وكانت ليز مشغولة في المجلة، ولم تسمع الكثير من أخبار تيد الذي كان يواجه معضلته الصعبة، فيما كانت كايت مشغولة في تحضيراتها لرحلتها. وباستثناء قلق آني بشأن ذلك، كانت الأمور هادئة. نجحت هي وطوم بتناول العشاء مرات عدة في مطاعم جيدة. حتى إنّ أخبار الساحة العالمية بدت هادئة في الوقت الحاضر.

الشيء الوحيد على مفكرة توتر آني في الوقت الحاضر هو رحلة كايت، وحاولت التحلي بالهدوء حيال ذلك. لقد أقنعت نفسها تقريباً أن كايت ستكون بخير، ووعدها بول علناً بالاهتمام بها. رأتهما آني بريئين جداً عندما غادرا. ودعت لهما في طريق عودتها إلى المنزل في سيارة الأجرة.

اتصلت آني بويتني وتحدثت إليها في وقت لاحق من بعد الظهر. أخبرتها عن طوم، وكانت ويتني متحمسة جداً للأمر، وأرادت منها أن تحضره للتعرف إليهما. إلا أن زيارتها لهما ليلة رأس السنة أثبتت لها جلياً أن حياتيهما مختلفتان. فهي وويتني تتشاركان الماضي والكثير من السنوات. لكن بالنسبة إلى شخص غريب، وحتى بالنسبة إليها، تعتبر حياة ويتني وزوجها الهادئة في فار هيلز مضجرة جداً. ويشرب أصدقاؤهما كثيراً، ويتحدثون عن أولادهم كثيراً. معظمهم أطباء، وتتمحور أحاديثهم حول الطب، أو أحدث رحلاتهم، أو أولادهم. لم تكن تريد تعريض طوم لسهرة طويلة ومملة، كما أن فريد وويتني لا يأتيان أبداً إلى المدينة

لتناول العشاء. لذا، لم يلتقيا به بعد. تأثرت ويتني كثيراً لأن آني تواعد شخصاً مشهوراً. ولم تشأ آني أن تتطرق صديقتها إلى هذا الموضوع إذا جاءا لرؤيتها، وعرفت أنهما سيتطرقان إلى الموضوع. تصعب مقاومة شهرته، وقد لاحظت ذلك كلما التقيا أشخاصاً جدداً أو ذهبا إلى المطاعم. إنه نجم في مجاله، ويتفاعل بعض الأشخاص مع ذلك بطريقة غريبة، عبر التبجح أو محاولة المنافسة أو التعاطي بسلبية وعدائية وإطلاق تعليقات قاسية. لطالما كان طوم مهذباً، لكنها لم تشعر بأنه سيستمتع بسهرة مع ويتني وفريد وأصدقائهما في نيوجرسي. الحقيقة هي أنها لا تستمتع بدائرة أصدقائهما أيضاً، وكانت سهرة رأس السنة الأخيرة التي أمضتها معهما إحدى أسوأ سهراتها على الإطلاق، من دون ذكر الموعد الغرامي المريع. لقد أنقذها طوم من تلك السهرات ومن رجال مثل بوب غراهام، وشعرت آني بالكثير من الامتنان له من أجل ذلك.

هنأتها ويتني على نضوجها مؤخراً، لأنها سمحت لكايت بالذهاب إلى طهران مع بول. وقالت إنها ستكون تجربة مذهلة بالنسبة إليها، وثقافة جديدة لاكتشافها، وتأثرت لتعاطي آني بمنطقية مع الموضوع.

«لم أملك أي خيار آخر. لست مرتاحة للوضع. لكنني أدرك أنك محقة، وعليّ السماح لهم بارتكاب أخطائهم. لكن، لا تظني لثانية واحدة أن الأمر سهل». عاشت كوابيس طوال أسابيع عدة بسبب ذلك. لكن كايت أخذت معها جهاز البلاكبيري، والكثير من المال، وبطاقة اعتماد، وتذكرة العودة إلى الوطن، وأخبرتها آني بضرورة الاتصال بها أو إرسال رسالة هاتفية إذا واجهت أي مشكلة. وضحكت كايت حين قالت لها ذلك.

سألتها ويتني: «ماذا ستفعلان أنت وطوم في أثناء غيابها؟». عرفت أن عيش كايت في المنزل، وليس في مسكن الطلاب هذا الفصل قد عرقل قليلاً علاقتهما، لكن آني أمضت ليالي عدة مع طوم في شقته. وشكت آني في أن بول كان يمضي الليلة مع كايت عند غيابها. إنهما يتواعدان، لكن

إذا قررا الزواج وإنجاب الأولاد فسيكون الأمر معقداً جداً. إلا أن كايت في الحادية والعشرين، وهما لم يناقشا أمر الزواج، وإنما فقط مشروع رحلة. حاولت آني التحلي بالهدوء وعدم القلق كثيراً.

لم يعد تيد إلى المنزل منذ حادثة الطعن بالسكين، بالرغم من أن آني قد التقته، وتناولا الغداء معاً. بدا أنه بخير، نظراً إلى الظروف، بالرغم من إحساس آني بأنه يبدو متوتراً وعصبياً جداً. كان لا يزال منزعجاً بشأن الطفل. وبالرغم من إلحاح باتي المستمر، لم يوافق على الزواج منها قبل شهر أغسطس. قالت إنه أمر مذل أن يتزوّجا حين تصبح في مرحلة متقدمة من الحمل، لكن تيد لم يتراجع عن ذلك. شهر أغسطس هو أفضل ما يمكنه تقديمه، مهما بكت وانتحبت. شعر بالكثير من الضغط، وكان لا يزال يعتقد أن إنجاب الطفل خطأ كبير يقومان به. فهو ليس مستعداً لتحمل ذلك، لكنه وافق على قبول الأمر الواقع. كان جيداً جداً معها، واستلم عنها كل الواجبات المنزلية. وكان صريحاً مع آني، وأخبرها عن تأخره في دروسه، وشعوره بالقلق حيال امتحانات منتصف الفصل. حتى إنّ العلامة الممتازة من باتي التي لا يستحقها لن تعوض له مجموع علاماته العام.

وقالت ليز شيئاً لآني عن رجل جديد في حياتها، لكنها لم تقل لها من. إنها غامضة حيال الموضوع، ولم تلحّ عليها آني. وافترضت أنه واحد من رجالها النموذجيين؛ مصوّر أو عارض أزياء أو شخص التقته في العمل.

ذكّرتها آني: «أعتقد أنك قلت إنك في فترة استراحة». فضحكت ليز.

«أنا هكذا... أو بالأحرى كنت كذلك... لا أعرف... حصل هذا مؤخراً. ما من شيء جادٍ بعد. إنه يعيش في روما، ورأيته فقط مرات قليلة. التقيته في باريس خلال عطلة رأس السنة، وجاء إلى هنا في عمل قبل بضعة أسابيع. تناولنا الغداء والعشاء معاً، لكن العلاقة ربما لن تصل إلى أي مكان. فهو بالكاد يأتي إلى نيويورك، وأنا أستطيع الذهاب إلى

روما مرتين فقط في السنة». العلاقة مع أليساندرو ليست أمراً واقعياً جداً، لكنه يتصل بها مرات عدة في اليوم، وتجري ليز محادثات رائعة معه، بشأن موضوعات جدية. وعدها بالذهاب لرؤيتها في باريس عند سفرها في المرة القادمة إلى هناك.

ذكّرتها آني: «تعرفين أنه يمكن تخطي عقبات الجغرافيا من أجل الرجل الصحيح. إذا أصبحت العلاقة جدية، فربما يمكنك الحصول على وظيفة في مجلة فوغ الإيطالية».

قالت ليز: «هذا ما يقوله، لكن الطريق لا يزال طويلاً. لا أريد الانجراف مع رجل قد لا أراه أبداً مجدداً». لكن، عليها الاعتراف لنفسها، إن لم يكن لآني، أن المقاومة كانت صعبة. قبّلها عندما تنزها في سنترال بارك، وكادت تذوب بين ذراعيه، وحصلت مداعبات جدية على أريكتها في تلك الليلة، لكنهما نجحا في كبح نفسيهما، وفرحت ليز لأنها فعلت ذلك.

علّقت آني مبتسمة: «لا أعتقد أنك لن تريه أبداً مجدداً». فهي لم تسمع ليز قطّ تتحدث هكذا عن أي رجل. لكن الرجال الذين تخرج معهم مجرد صبيان، أما أليساندرو فرجل بكل ما للكلمة من معنى. وهي لا تبدو خائفة هذه المرة. فللمرة الأولى في حياتها، كانت ليز راغبة في المجازفة بقلبها. فرحت آني من أجلها، وشعرت بالارتياح. فليز تستحق رجلاً جيداً، وليس أولئك الحمقى الذين خرجت معهم طوال أعوام. وتمنت أن يعثر تيد على فتاة جيدة أيضاً. لا شك في أن الحال ليست كذلك في الوقت الحاضر.

ذهب تيد لحضور مباراة في كرة السلة في جامعة نيويورك مع أحد أصدقائه ليلة الجمعة، في عطلة نهاية أسبوع كان فيها ولدا باتي مع والدهما، وتذمرت لأنها تريد بقاء تيد في المنزل معها. قالت إنها تعاني صداعاً، لكنه أصرّ على حاجته إلى استراحة. فهو لم يعد يرى أصدقاءه

منذ أن تعرّف إليها. ولقد أصرّت على أن يبقى دوماً معها منذ أن أخبرته بأنها حامل. لكنه أخبرها هذه المرة بأنه سيخرج، وأنه سينام في شقته بعد ذلك لأنه سيحتسي الكثير من الشراب ولم يعجبها ذلك أيضاً. احتاج إلى القليل من المساحة لبسط جناحيه.

لكنه لم يشرب كثيراً في المباراة مثلما اعتقد، وخسر فريقه، وشعر بالذنب وهو في طريقه إلى منزله، فترك صديقه وعاد إلى شقة باتي لمفاجأتها. كانت مستلقية على الأريكة مع وعاء من البوشار، تشاهد مسلسلاً رومنسياً، وتحمست عندما دخل عبر الباب بعد أن فتحه بمفتاحه.

سألته بسرور: «ماذا تفعل هنا؟». كانت لا تزال تبدو على حالها. فهي لم تكتسب أي وزن بعد، لكنها حامل فقط منذ شهرين ونصف الشهر، وهي امرأة طويلة وقوية البنية.

قال ببساطة: «اشتقت إليك». وابتسم لها. هذا صحيح جزئياً، فقد أصبح معتاداً عليها الآن. لكنه عرف أيضاً أنها ستجد طريقة لمعاقبته في اليوم التالي لذهابه إلى المباراة مع أصدقائه. فهي لا تملك أي أصدقاء، وتعتمد حصرياً على تيد للحصول على التسلية، والدعم العاطفي، واللهو. لذا، لم تكن تريد تمضية خمس دقائق بعيداً عنه، ولذلك من الأسهل العودة إلى شقتها بدلاً من سماعها تتذمر بشأن ذلك لاحقاً.

سألته وهي مستلقية على الأريكة: «هل تناولت العشاء؟». لم تكن طاهية ممتازة، لكنها تشبعه. عاشا على البيتزا والوجبات الصينية الجاهزة التي يدفع ثمنها بنفسه، وكانت تطهو الطعام مرات نادرة. كان ثمة دلو من محلات كيه أف سي في المطبخ، وتناول منه قطعة من الدجاج.

قال: «تناولت الهوت دوغ والناتشوز في أثناء المباراة». ثم أنهى قطعة الدجاج، وفتح قنينة من شراب الشعير، وقرر الذهاب إلى الحمام أولاً. أغلق الباب وأضاء المصباح ثم حدّق إلى ما رآه في المرحاض. لم يفهمه. إذ لا يفترض وجوده هنا، لكن لا يوجد أحد في الشقة غيرها. بدا ما رآه مثل فأرة مجروحة، لكنه فوطة نسائية مبللة بالدم، وثمة دم

في المرحاض أيضاً. نسيت رحض المرحاض. ويبدو جلياً أنها لا تعاني الإجهاض. كانت تضحك بصوت عالٍ على الفيلم الذي رأته عشرات المرات قبلاً، وابتسمت له حين خرج من الحمام.

كان رأسه يدور مثل الدوامة، لكنه لم يقل لها شيئاً. ذهب إلى المطبخ، وحدّق خارج النافذة، محاولاً فهم ما رآه وما يعنيه ذلك. لا يبدو محتملاً أن تفعل به ذلك. لكن، ماذا لو فعلت؟ ماذا لو كان كل الأمر كذبة وخدعة؟ كان كل جسمه يرتجف فيما كان يقف هناك، وأراد معرفة الحقيقة. أمسك بمعطفه، وتوجه مسرعاً إلى الباب، وقال شيئاً غامضاً لباتي عن عودته خلال دقائق قليلة.

«إلى أين أنت ذاهب؟». بدت متفاجئة لأنه يغادر.

قال وهو يبدو متوتراً: «سأعود بعد خمس دقائق». ثم غادر من دون أي شرح إضافي. لم تشعر بالقلق، فقد عرفت أنه سيعود. فهو يتصرف مثل الولد الصغير أحياناً.

ثمة صيدلية بعد مبنيين تبقى مفتوحة طوال الليل. اشترى منها أداة اختبار الحمل، ووضعها في جيبه، ثم أسرع إلى الشقة، وصعد الدرج بسرعة. كان لا يزال يرتجف، وكشف عن نظرة في عينيه لم ترها مطلقاً من قبل. تمددت ولمسته، فأمسك بيدها، وشدها بقوة عن الأريكة. كان لا يزال يرتدي معطفه، وظهرت نظرة مخيفة في عينيه.

«ماذا تفعل؟». بدت مذهولة ومرتبكة، فيما قادها إلى الحمام ولحقت به. «ما هذا تيد؟». لم تكن تعرف ما يفكر فيه أو لماذا خرج من المنزل.

قال بصوت محطم: «أنت قولي لي». تمددت صوبه، ظناً منها أنه يريد شيئاً منها. لكن، بدا جلياً أنه لا يريد ذلك، ولم يسمح لها بلمسه. مد يده إلى جيبه وأعطاها أداة اختبار الحمل، فبدت باتي مذهولة. قالت وهي تضحك: «لا أحتاج إلى هذا. لا تكن سخيفاً». حاولت تحويل الأداة إلى لعبة، وربّتت بها فوق سروال الجينز. لم يتحرك إنشاً واحداً، وفتح لها غطاء العلبة وأعطاها جهاز الاختبار، فأصبح وجهها شاحباً.

قال بصوت بدا وكأنه صوت شخص آخر: «هيا». بدا بارداً، وكان يرتجف. لقد حاولت تدمير حياته، وكانت تبتزه للزواج بها بسبب طفل يعتقد الآن أنه غير موجود. خرج من الحمام وانتظر خارج الباب. أخذت وقتاً طويلاً، واستطاع سماعها تبكي. لقد انتهت اللعبة. ثم خرجت أخيراً، من دون أداة الاختبار، ونظرت إليه بيأس.

همست: «أنا آسفة». فيما انهمرت الدموع على وجنتيها. بدت مذعورة. عرفا كلاهما أنها إن أجرت فحص الحمل، فستثبت النتيجة أنها ليست حاملاً. فهم الآن سبب قولها له إنها تعاني صداعاً بعد الظهر. فللمرة الأولى، أرادت الامتناع عن إقامة علاقة حميمة، لأنها لم تشأ أن يكتشف أنها في فترة حيضها الشهرية. لكن اللعبة انتهت الآن. رأى الحياة كلها تخرج منها فيما وقفا هناك.

همست له وهي تبكي: «أحبك تيد. أنا آسفة».

قال وهو يرتجف من الغضب والارتياح: «كيف استطعت فعل هذا بي؟ هددتني وقلت لي إنك ستقتلين نفسك والطفل، وإنه يجدر بي الزواج بك الآن وليس لاحقاً؟ ماذا كنت ستفعلين عندما لن يكبر بطنك؟ هل ستخبرينني أنك خسرت الطفل؟ كم كنت أحمق! وكم أنت فاجرة! لا تقتربي مني أبداً مجدداً. أبداً». ثم توجه إلى الباب، وركضت نحوه، ووقعت على الأرض وتشبثت بساقه.

قالت وهي تمسك بساقيه: «لا تتركني أرجوك. أنا أحبك تيد». كانت تتوسل إليه كي لا يذهب.

قال وهو يفتح الباب ويبعد نفسه عنها: «أنت لا تفهمين معنى الكلمة». كان لا يزال مرتدياً معطفه بعد عودته من الصيدلية، وما من شيء يريده من الشقة. مهما كان ما يملكه فيها فهولم يعد يريد رؤيته مجدداً، وخصوصاً هي. لقد كذبت عليه بشأن حملها، وحاولت تدمير حياته. نظر إليها باشمئزاز، وغادر، وأغلق الباب وراءه بقوة. نزل الدرج مسرعاً، وفتح الباب المؤدي إلى الشارع، وتنشق الكثير من الهواء البارد.

ركض طوال الطريق المؤدي إلى المنزل، وهو يشعر بأنه هرب من السجن. لقد تحرر. كان محظوظاً برؤيته الفوطة الصحية المبللة بالدماء، والتي نسيت التخلص منها. أراد الصراخ فيما كان يركض في الشارع. لم يكن يحبها، لا بل كان يكرهها. فقد حاولت تدمير حياته، فيما حاول هو فعل الشيء الصحيح. كاد يتخلى عن كلية الحقوق من أجلها، وعن حياته، لقد كذبت عليه وتلاعبت به. استخدمت علاقتهما الحميمة للسيطرة عليه، والتهديد بالانتحار لإبقائه سجيناً لديها. كان هاتفه الخلوي يرنّ فيما ركض في الشارع، ولم يجب عليه. لقد كذبت عليه. لم يكن هناك أي طفل قطّ. فقط باتي التي وضعت طوقها حوله.

دخل شقته، وسكب لنفسه كأساً مزدوجة من الشراب واحتساها جرعة واحدة فيما دخل أحد رفاقه في الشقة.

قال مع ابتسامة عريضة: «هل سنقيم حفلة؟».

قال تيد: «أنا أحتفل». فهو يشعر الآن أنه أفضل مما كان عليه طوال أسابيع، أو حتى أشهر! إنه حرّ.

سكب لنفسه كأساً ثالثة، وحذره رفيقه. «هوّن عليك يا صديقي. ستشعر بالتعاسة غداً». لكنه يشعر بالسعادة الليلة. من الغريب أن يكره فجأة شخصاً يفترض أنه أحبه لا بل وعده بالزواج. لكنها لم تكن قطّ كما ادّعت. جلس على الأريكة، وشاهد التلفاز وهو يضع قنينة الشراب بين ساقيه، بحيث سكب لنفسه كؤوساً عدة، وحدق إلى الفضاء، محاولاً استيعاب ما حصل له.

كانت الساعة الثانية من بعد منتصف الليل عندما اتصل به قسم الطوارئ في مستشفى وسط المدينة. أجاب أحد رفاقه على الاتصال، وأخبر تيد أن الاتصال له. استمع إلى ما قالوه له ولكن من دون تعليق. سأل أخيراً بصوت خالٍ من الحياة: «هل ستكون بخير؟». كان ثملاً جداً وإنما واعياً قليلاً. فهم ما قاله الرجل. باتي في قسم الطوارئ ويتم غسل معدتها. قالوا إنها تناولت ستة أقراص منوّمة لم تكن كافية لقتلها،

وإنها اتصلت برقم الطوارئ بنفسها. قالوا إنها ستكون بخير غداً، بالرغم من أنه سيتم تقييمها نفسياً لأنها اعترفت بأنها محاولة انتحار، وطلبت منهم الاتصال به. كانت محاولة فاشلة.

قال له المتصل: «تريدك منك أن تأتي لرؤيتها».

«أخبرها أنني ثمل. سآتي في الصباح». بعد ذلك، أنهى المكالمة، وشـرب جرعـة مـن الشراب، وذهب إلـى السرير. لم يهتـم بمحاولتها الانتحار. إنها محاولة زائفة مثل طفلهما الذي لم يتواجد قطّ، وهذه مجرد ألعوبة أخرى. إنّه يفهم الآن ذلك.

استيقظ في صباح اليوم التالي وهو يشعر بصداع شديد. لكن، عند الساعة التاسعة والنصف كان في المستشفى مثلما وعد. عثر على غرفتها بسهولـة، وكانت مستلقيـة على السرير وهي تبدو مريضة. وكانت هناك مساعدة ممرضة جالسة على كرسي قربها لمراقبتها، وعرضت المغادرة عندما دخل تيد، لكنه رفض. بدا صغيراً ووسيماً وثملاً جداً. لكن، بالرغم من إفراطه في الشرب في الليلة الماضية، شعر بأنه أفضل حالاً مما كان عليـه طـوال أشهر عدة، فيمـا بدت باتي أسوأ بكثير. قـرروا إبقاءها في المستشفى ليـوم إضافي، حتى يراها الطبيب النفسـي. ولم تبدُ مسرورة بوجودهـا هنـاك. بـدأت تبكي ما إن رأت تيـد، ومدّت له ذراعيها. لكن تيـد لـم يتحرك نحوها. وقف عند الباب حيـث لا تستطيع الوصول إليه، ولم يقترب من السرير.

«لقد شفيت باتي. لقد انتهى الأمر. لا تهدديني، ولا تزعجي نفسك بقتـل نفسـك مـن أجلي، ولا تدّعـي ذلك. لا تقولي لي إنـك تحبينني ولا تخبرينـي أي شـيء عـن الطفل. لقد شفيت. انتهـى الأمر، ولا أبالي بما تفعلينـه. لـم يكـن يجدر بك قطّ فعل هذا، أو الادعاء بأنك حامل». كانت مساعدة الممرضة تراقبهما باهتمام فيما استلقت باتي ووجهها على السرير وهي تبكي بقوة. «اخرجي من حياتي، فقد أخرجتك منها. لا تتصلي بي. سأرسـل لـك أبحـاث مادة العقود، ولن أهتـم إذا أعطيتني علامة راسبة.

افعلـي مـا تريدينه. ما فعلته مقرف جـداً». بعد ذلك، خرج من الغرفة، وأغلق الباب خلفه بهدوء. سمعها تبكي بقوة لكنه لم يهتم.

وازداد الطيـن بلـة عندمـا تحدثت إليه إحـدى الممرضات في أثناء خروجـه، وأخبرتـه كم هي آسفة لعودة باتـي مجدداً. قالت إنه بعد أربع محاولات مماثلة، عليها الاستفادة من علاج داخل المستشفى هذه المرة. وحزرت أن تيد أحد تلاميذها، وقالت إن آخر صديقين لها كانا أيضاً من تلاميذهـا. هـذا تصرف أحمق من قبلها، وشعر تيد بتشنج في معدته وهو يصغي إلى الممرضة. تساءل عن عدد رفاقه التلاميذ الذين وقعوا ضحية لهـا، وكـم مرة زعمت أنها حامل وتظاهرت بالانتحار لإبقائهم. ما فعلته به جعله يشعر بالقرف. كانت باتي امرأة يائسة.

اتصل تيد بآني ما إن وصل إلى المنزل وأخبرها بما حصل.

قـال لآنـي بصوت خالٍ من الحيـاة: «كان الأمر كله كذبة. لم تكن حاملاً قطّ».

سألتـه: «كيـف عرفت ذلـك؟». كانت جالسة مع طـوم إلى طاولة الفطـور، وهمـا يطالعان الصحيفة. وكانا قد خططـا لبعض المشروعات التي سيقومان بها في عطلة نهاية الأسبوع.

«عرفت. كانت تكذب طوال الوقت». اختنق صوته فيما قال ذلك، متذكراً كل المرات التي بكت فيها وهددته بقتل نفسها إذا لم يفعل ما تريده منه. لم يعد خائفاً من ذلك الآن. تخيل أنه لن يخاف من أي شيء مجدداً، ولن يصدق أحداً. سيحتاج إلى وقت طويل ليثق بأي شخص مجدداً. قال بهدوء: «لقد انتهى الأمر». ثم اتصل بليز وأخبرها.

استلقى على سريره بعد ذلك ورأسه يؤلمه، وقلبه خالٍ من الهموم، وهـو يفكـر فـي ما حصل. أدرك الآن أنه كان مدمناً عليها، وأرادت هي الأمـر بهـذه الطريقة، واستخدمـت إدمانه للسيطرة عليـه. من المرعب التفكير في ذلك الآن. كل ما استطاع التفكير فيه هو أنه محظوظ لاكتشافه ذلك، وشعر بالكثير من الامتنان لأنه حر.

سأل طوم آني بعدما أقفلت الخط: «ماذا حصل؟». لاحظ أن الأمر مهم.

«لا أعرف. اكتشف تيد أن باتي لم تكن حاملاً فعلاً. قال إن كل ذلك كان كذبة وخدعة. يبدو أنه اكتشف الأمر في الليلة الماضية. قال إن الأمر قد انتهى، وبدا شاكراً لذلك». تنهدت بارتياح وابتسمت لطوم.

قال فيما انحنى نحوها وقبّلها: «حسناً، يمكنك شطب هذه المشكلة من لائحة مصادر قلقك. يبدو أنه حظي باستراحة رائعة». ابتسمت له ابتسامة عريضة، وسكبت له فنجاناً ثانياً من القهوة. في هذا الوقت، كان تيد نائماً على سريره مبتسماً، وتفوح منه رائحة الشراب.

الفصل العشرون

عندما اجتاز بول وكايت مكتب الأمن في مطار جون كنيدي، استدارا ولوّحا لخالتها وأهله، ثم اختفيا في المطار، وشعرت كايت بموجة حماسة تغمرها. توقفا واشتريا الكابوتشينو من ستارباكس، وعرفا أنهما آخر فنجانين من القهوة سيحظيان بهما لفترة من الزمن. فهما سينغمسان في حياة عائلته في طهران بعد ذلك.

لم يذهب بول إلى طهران منذ تسعة أعوام؛ أي منذ انتقالهم إلى نيويورك. وتحدث والداه عن العودة، لكنهما لم يفعلا ذلك قطّ. فقد استقرا في حياتهما الأميركية. وبعد التكيف مع الأساليب الجديدة، لم يعودا إلى إيران مطلقاً. ومرّ الكثير من الوقت. جاء والد بول إلى أميركا أساساً للعمل لبضع سنوات، وحقق نجاحاً أكثر مما توقع فبقي. ولطالما توسلت إليه عائلته للعودة، لكنه كان قد أسس عملاً ناجحاً في نيويورك وعمل بكدّ، واستمتعت والدة بول بالحياة المنفتحة التي تكيفت معها في الولايات المتحدة. أحبوا كونهم أميركيين الآن، واندمجوا في حياتهم الجديدة. بول هو من أراد العودة لزيارة عائلته في إيران، وهو يملك الكثير من الذكريات الحلوة عن طفولته هناك. أراد رؤية موطنه الأصلي مجدداً، ومشاركة تاريخه وميراثه مع كايت التي كانت متحمسة للقيام بالرحلة معه.

وصف لها بول المنطقة الريفية الموجودة خارج طهران، ومظهرها الغريب وروائح البازار. وأراد أن يريها كل ذلك الآن، وكان فخوراً بعودته كرجل وليس كولد. لم ترغب أمه أيضاً في أن يعود قبل حلّ مسألة إعفائه من الخدمة العسكرية، والتي جرت تسويتها مؤخراً في

العـام الماضــي. ولولا ذلك، وبصفته إيرانيـاً، كان يفترض به أن ينجز الخدمــة العسكريــة. عانى صفيراً طفيفاً في القلب عندما كان صغيراً، وتم الاعتـراف بإعفائـه مـن الخدمــة أخيراً. يمكنه الآن زيـارة بلده الأم من دون أي مشكلة.

فبالرغـم مـن جنسيتـه الأميركيـة، لا يزال بول يملـك جواز سفر إيرانيـاً، ويتـم اعتباره إيرانياً عندما يعود إلى إيران. وكانت كايت تحمل نسخـاً مصـورة عن جـوازي السفر الأميركيين، في حـال أضاعاهما أو واجهـا مشكلـة فـي الرحلـة. حصلت علـى تأشيرة الدخول مـن السفارة الباكستانيـة، إذ لا توجـد سفارة إيرانيـة في الولايات المتحدة، ولا توجد سفارة أميركية في إيران. طلبت منها وزارة الخارجية الأميركية التوجه إلى السفارة السويسرية في حال واجهت أي مشكلة في طهران. بدا الأمر مستبعداً بالنسبة إليها وإلى بول، لكن معرفة ذلك كانت أمراً جيداً بالنسبة إليهـا. وطُلِـب منهما البقاء بعيدين عن التظاهرات السياسية والاحتجاجات مـن كل الأنـواع، وهـذه نصيحـة جيدة في أي بلد فـي العالم. خصوصاً لأنهمـا شابـان. إذ لا يفترض أن يتم اعتقالهما خطأ لتواجدهما في المكان الخطأ والزمان الخطأ. فستتم معاملة بول كمواطن إيراني في هذه الحالة، وسينتهـي بهـا الأمر في السجـن إذا تم اعتبارها منشقة عن طريق الخطأ. لكـن، مـا مـن سبب لكي يواجه أي منهما مشكلة مع القانون في طهران. قال والد بول ذلك لآني أيضاً. كما أن منزل أخيه يقع في ضاحية سكنية غنية في المدينة.

كانت كايت تواقة لرؤية المتاحف، والجامعة، والبازار. هناك اثنان مـن أقـارب بول يذهبان إلـى الجامعة، فيما يدرّس عمه هناك. وستدخل ابنة عمه الكبرى الجامعة في السنة المقبلة.

اشترى بول وكايت تذكرتي سفر إلى لندن، ومن هناك سيسافران في الخطوط الجوية الإيرانية إلى مطار الإمام الخميني الدولي في طهران. أعطتهـا أمّـه وشـاح الرأس لتضعه ما إن تنزل مـن الطائرة، والمعطف

القطنـي الرمـادي الذي ترتديه النساء عند الضرورة. عرفت كايت أصلاً مما قرأته، وممّا أخبرها إيّاه بول أن النساء الإيرانيات متحررات نسبياً، ويذهبن إلى الجامعات، وأنهنّ مثقفات جداً.

شاهـدا الأفـلام السينمائية في الرحلة إلى لنـدن، ثم خلدا أخيراً إلى النوم. تجولا في المحلات في مطار هيثرو، ثم صعدا إلى الطائرة للقيام برحلة تمتد ستّ ساعات للوصول إلى طهران. جلسا على مقعديهما، وتم تقديم الشـاي والماء والعصير والقهـوة لهما قبل الإقلاع. إذ لا يتم تقديم الكحول على متن الطائرة أو في أي مكان في إيران. وفيما أعطتها إحدى المضيفـات كوبـاً من عصيـر الفاكهة، ابتسمت كايت لبـول وشعرت أنها دخلت عالماً مختلفاً تماماً.

كتب بول إلى عمه شارحاً أنه سيحضر صديقة معه، وقال إنها فتاة شابـة يذهـب إلـى الجامعة معها، وأنها تريد زيارة إيران للتعمق أكثر في دروسهـا. قـررا أنه من الأفضل لهما الآن القـول إنهما صديقان، وليسا مغرمين. لم يلمح بول إلى وجود أي علاقة رومنسية بينهما في رسائله، وحـذر كايـت من ضـرورة أن يحسنا التصرف، حتـى في منزل عمه. فهـو لا يريـد إهانــة عائلته، ولا تريد كايت ذلك أيضاً. وثمة احتمال كبير بأن يتفاجأوا إذا عرفوا أن بول على علاقة بفتاة أميركية وليست إيرانية، ولذلـك اتفقـا علـى التكتم. فهي لا ترغب فـي إزعـاج أي كان في أثناء وجودها هناك. إنهما يريدان فقط رؤية عائلته والاستمتاع بالرحلة.

الوجبة التي تم تقديمها خلال الرحلة كانت تقليدية ومراعية للشريعة الإسلامية. وناما بعد الانتهاء من الأكل. تم عرض أفلام خلال الرحلة، لكنهما ناما في معظم الرحلة. مع الرحلتين، استغرق السفر من نيويورك إلـى طهـران ثـلاث عشرة ساعـة. وكان يفترض أن يهبطا في طهران بعـد تنـاول وجبـة خفيفة أخرى. وفيما نظرت كايت إلى بول بسعادة عند هبوط الطائرة، شعرت أنها قريبة منه أكثر من أي وقت مضى. وتحمست لقيامها بالرحلة معه.

كان المطار المرتب والمنظم يعج بالنشاط عندما وصلا. فثمة محطة وصول واحدة فقط، وكل الرحلات الدولية الآتية من كل مكان تمرّ عبر هذا المطار. احتاجا إلى ساعة تقريباً لإخراج حقائبهما، فيما نظرت كايت حولها، والوشاح ملفوف بإحكام حول رأسها. أحضرت معها عدداً من التنانير الطويلة، وسراويل جينز، وكنزات، وفساتين، وكلها ذات ألوان رزينة. لم تأخذ معها قطّ أي قصات منخفضة أو قصيرة أو فاضحة أو غريبة جداً، لأنها لم تشأ إهانة عائلته بارتدائها ملابس شائنة. وللمرة الأولى منذ أن كان عمرها ثلاثة عشر عاماً، نزعت كل أقراط الأذنين من أذنيها. فهي لم ترد أن تصدم عمه وزوجته، وأرادت ارتداء الثياب ذات الأكمام الطويلة على الدوام لتغطية وشميها. لاحظت آني غياب أقراط الأذنين في الليلة السابقة لسفر كايت، وأدركت كم تحب بول، بحيث أقدمت على مثل هذه التعديلات من أجله. كانت كايت ذكية كفاية لعدم لفت الانتباه إليها، وأرادت البقاء متكتمة قدر الإمكان. فاللقاء بعائلة بول مهم بالنسبة إليها.

أخبرها عن عائلته قبل الرحلة، وخلال الرحلة على متن الطائرة. عرفت أنه يملك قريبتين، شيرين وسودابيه، وهما في الرابعة عشرة والثامنة عشرة، فيما قريباه في الحادية والعشرين والثالثة والعشرين. قريبه الذي في مثل سنه يدرس الطب في جامعة طهران، وقريبه الذي في مثل سنها يدرس تاريخ الفنون ويريد العمل في متحف يوماً ما. عرفت أن المتحف في طهران ممتاز فعلاً.

بعدما حصلا على حقائبهما، توجب عليهما المرور عبر دائرة الهجرة. قدّمت كايت جواز سفرها، وأُخذت بصماتها كجزء من الروتين الذي يتم مع كل الأجانب. نظروا إلى تأشيرة الدخول على جواز سفرها، ودمغوا عليها، وسمحوا لها بمتابعة طريقها. توجب على بول تقديم جواز سفره وبطاقة إعفائه من الخدمة العسكرية. فهو لا يعتبر أميركياً هنا. وفيما كانا في الطائرة، وضع بول جواز سفره الأميركي في جيب حقيبة

ظهره لأنه لن يتمكن أبداً من استعماله في إيران. إنه مواطن إيراني لمدى الحياة، وإذا أنجب أولاداً يوماً ما في الولايات المتحدة، فسيتم اعتبارهم إيرانيين أيضاً. وكذلك كايت، إذا تزوجت به.

كان الجميع خدومين ومهذبين معهما فيما عبرا دوائر الجمارك والهجرة، وحرصت كايت على عدم الاقتراب كثيراً من بول. فلم تلمسه، ولم تبتسم له بحنان كبير. فخلال هذين الأسبوعين، سيكونان مجرد صديقين ولا شيء أكثر؛ حتى في منزل عمه. كان وشاحها على رأسها، ووضعت المعطف القطني الرقيق في حقيبة ظهرها، وفيما نظرا إلى الناس المحتشدين أمام البوابة في المطار، تعرفت كايت فوراً إلى عائلة بول.

فعمّه يشبه والده كثيراً، لكنه أقصر قامة وأكبر سناً، وزوجة عمّه جيلفه امرأة قصيرة وبدت لطيفة. أما قريبا بول فيكشفان عن شبه عائلي قوي به؛ بحيث يبدوان وكأنهما أخواه، وهما قريبان من عمره. لم تأتِ الأختان إلى المطار، ووضع بول فوراً ذراعيه حول قريبيه اللذين لم يرهما منذ مدة طويلة، ثم عانقه عمه وزوجته ورحبا به في وطنه. تلألأت دموع الفرح في عيونهم عندما عانقوه، وعرّفهم بول إلى كايت بصفتها صديقته في الجامعة من نيويورك، فألقت عليهم التحية بخجل.

ثم لاحظت أن هناك رجلاً أكبر سناً يقف خلفهم مباشرة، وهو يراقب المشهد بتعبير جدي، ونظر إلى ابنه، كما لو أنه لم يعرف من يكون بول. ثم شرحت له زوجة عمّ بول الأمر برفق، فانفجر في البكاء وجاء لمعانقة بول. كانت لحظة مؤثرة، وكان بول يبكي أيضاً. لقد تغير كثيراً خلال الأعوام التسعة الماضية بحيث لم يتعرف إليه جدّه. وفيما توجهوا جميعاً نحو عربتهم، أبقى الجدّ ذراعيه حول كتفي بول، وتصرف كما لو أن بول هو الابن الضال الذي عاد للتو. وبعد أن صعد جده إلى العربة، شرح بول لكايت أن شيخوخته قد ازدادت كثيراً خلال الأعوام التسعة الماضية، وبدا لها ضعيفاً جداً أيضاً. بدا تائهاً نوعاً ما، وشرحت جيلفه لبول أن جده

يظن أنه عاد إلى طهران للبقاء فيها دائماً. تألم بول عند سماعه ذلك، وشعر بسعادة أكبر لأنه عاد، حتى ولو لمدة أسبوعين فقط. فما إن هبطت الطائرة، حتى تذكر فوراً كم كان يحب هذا البلد. ولا يزال هذا المكان وطنه في العديد من النواحي. تساءل إذا كان هذا هو السبب الذي دفع والديه إلى عدم العودة؛ لأن المغادرة مجدّداً ستكون صعبة جداً.

كان الجميع ودودين مع كايت ما إن دخلوا إلى العربة، وقام أحد قريبي بول بحمل حقيبتها، فيما جلست على المقعد الخلفي مع زوجة عم بول لكي يتمكن الأقرباء الثلاثة من الجلوس مع بعضهم. سألت جيلفه كايت إذا كانت متعبة من الرحلة الطويلة، ووعدتها بوجبة جيدة عند وصولهم إلى المنزل. قالت إن ابنتيها بقيتا في المنزل لتحضير الطعام. وكان بول قد أخبرها سابقاً أن عمته طاهية بارعة.

فيما توجهوا إلى المدينة مستقلين سيارة عم بول الذي كان وراء عجلة القيادة، اعترفت جيلفه لكايت أنها لم تخرج من إيران مطلقاً، وأن نيويورك تبدو بعيدة جداً. ولا شك في أنها كذلك بالنسبة إلى كايت الآن. هنأتها جيلفه على اهتمامها بإيران لإتمام دراساتها. لم تشرح لها كايت أن سبب اهتمامها ليس أكاديمياً وإنما عاطفياً، وأنها مغرمة ببول. لقد بدأت كذبة صداقتهما، وستستمر طوال الأسبوعين المقبلين خلال تواجدهما هنا. لا يزال الوقت باكراً جداً لإخبارهم أن العلاقة العاطفية بينهما جدية، أو أنه توجد علاقة بينهما أصلاً. فقد أراد بول أن يتعرفوا إلى كايت أولاً.

كانت زحمة السير حول المطار خانقة، والطرقات في المدينة مكتظة بالسيارات. واحتاجوا إلى ساعة ونصف الساعة للوصول إلى المنزل الذي كان في منطقة باسداران، في القسم الشمالي الغني من المدينة. نظرت كايت حولها بذهول فيما وصلوا إلى المدينة، وتحدثت قليلاً. كانت مشغولة جداً في مراقبة كل شيء ومحاولة استيعاب كل شيء، فيما تحدث أفراد العائلة إلى بعضهم بالفارسية. لكنهم تحدثوا جميعاً بلغة إنكليزية ممتازة عندما تحدثوا إلى كايت.

بدت طهران مثل مدينة عصرية، فيما ملأت المساجد المشهد الطبيعي. ثمة مبانٍ شاهقة، وأخرى قصيرة. ثمة منطقة مالية، وكانت كايت تتوق لرؤية البازار الذي وصفه لها بول بحيوية، فقد أرادت شراء شيء لآني من هناك. أراها بول الجامعة، وبرج أزادي في أثناء توجههم إلى المنزل. وأدرك بول فيما نظر حوله أن المدينة قد كبرت بعد أن غادرها. فقد أصبحت أكثر ازدحاماً مما كانت عليه، مع وجود خمسة عشر مليون شخص يعيشون فيها الآن. أدركت كايت بذهول أنها أكثر ازدحاماً من نيويورك. لكن حتى في مدينة كبيرة كهذه، أحست كايت أنها موجودة في مكان غريب. أحبت التواجد معه، وشعرت بالارتياح مع أفراد عائلته الذين بدوا جميعاً أشخاصاً لطفاء بالنسبة إليها، وعاملوها بلطف واحترام.

لاحظت أيضاً أن جده الجالس على المقعد الأمامي تحدث قليلاً فقط، وبدا تائهاً في أفكاره فيما كان ينظر إلى خارج النافذة. وبين الحين والآخر، كان يلتفت للنظر إلى بول الجالس على المقعد وراءه، وما إن يفعل ذلك حتى تتلألأ دموع العاطفة في عينيه مجدداً، وانحنى إلى الخلف مرة أو مرتين وربّت على يد بول، كما لو أنه أراد التأكد من أن الأمر حقيقة وليس مجرد وهم. ثم قال بهدوء شيئاً لابنه بالفارسية. كان بول وقريباه يتحدثان ويضحكان، واستمرت جيلفه بإطلاع كايت على المعالم المهمة في طريقهم إلى المنزل.

وعندما وصلوا إلى منزلهم أخيراً، بدا مثل منزل عائلي كبير، غير مختلف عن المنازل التي تراها في ضواحي نيويورك. إلا أن هذا المنزل كان أكبر قليلاً مع قناطر جميلة فوق الأبواب والنوافذ. كانت قريبتا بول في انتظارهم عند المصطبة الأمامية، واحتضنتا بول ما إن خرج من العربة. صُدم عندما رآهما لأنهما كانتا في الخامسة والتاسعة عندما رآهما للمرة الأخيرة، وأصبحتا الآن شابتين جميلتين، مع عيون بنية، وبشرة عسلية مثل بشرته، وشكت كايت في أنهما تملكان شعراً داكناً أسود تقريباً

مثل أخويهما تحت حجابيهما. بقينا في المنزل لتحضير وجبة عملاقة لبول وكايت. كانت الفتاتان وأمهما يعملن في المطبخ منذ الفجر.

تركوا جميعاً أحذيتهم أمام الباب الأمامي. وما إن دخلوا المنزل، حتى بدأ الشباب يتحدثون إلى بعضهم بصوت عالٍ، وأسرعت جيلفه إلى المطبخ لإنهاء تحضير الوجبة الدسمة. كان المنزل مليئاً برائحة القرفة والبرتقال ولحم الغنم، التي أعادت إلى بول ذكريات مألوفة، فيما دخلت كايت المطبخ وعرضت المساعدة على جيلفه. عرّفت جليفة كايت إلى شيرين وسودابيه، وقالت بفخر إن سودابيه ستتزوج لاحقاً هذه السنة. عملت النساء الأربع مع بعضهن بمساعدة ثلاث فتيات صغيرات يعملن عندهن.

قالت جيلفه بسعادة: «تمّت خطوبتها من زوجها المستقبلي منذ أن كان عمرها ثلاثة عشر عاماً». فيما ابتسمت سودابيه ابتسامة عريضة. «دبّرنا زواجاً لشيرين في العام الماضي أيضاً. حين تتزوج أختها الكبرى، تستطيع شيرين الزواج أيضاً في السنة المقبلة». أدركت كايت أن هذا يعني أن الفتاة الصغرى ستتزوج وهي في الخامسة عشرة من عمرها. وكان ذلك أمراً عاديّاً في إيران. وأخبرها بول أنه في العائلات التقليدية، يتم تدبير الزيجات غالباً. تحدثت الفتاتان بلغة إنكليزية ممتازة، وضحكتا خجلاً عند الحديث عن الزواج.

بعد ترتيب وجبة الطعام كما يجب، عرضت جيلفه على كايت اصطحابها إلى غرفتها. ذهب الرجال إلى الخارج للتحدث. كانوا متحمسين لعودة بول إلى المنزل. وما رأته كايت لغاية الآن لا يختلف عن أي مشهد عائلي في الولايات المتحدة.

رافقت شيرين وسودابيه كايت إلى الأعلى؛ إلى غرفة في الطابق الثاني، قرب غرفتيهما. إنها غرفة صغيرة مع سرير ضيق ومنضدة لتضع عليها أغراضها، ونافذة صغيرة في أعلى الجدار لا تستطيع النظر منها، لكنها سمحت بدخول نور الشمس إلى الغرفة. كانت الغرفة بسيطة،

ولاحظت كايت عندما مرّت أمامهما أن الفتاتين تملكان غرفتين مماثلتين. قالت شيرين إن الشابين يملكان غرفتين أكبر حجماً في الطابق العلوي، وقالت سودابيه إن غرفة نوم والديها في الجانب المقابل من المنزل، فيما يملك الجد جناحاً في الأسفل. لقد جاء للعيش معهم بعدما غادر بول والداه، وقالتا إنه كان مريضاً.

وضعت كايت حقيبتها في غرفتها، وتركت جواز سفرها في حقيبة ظهرها مع بطاقة اعتمادها ودفتر شيكاتها. أما العملة الإيرانية فوضعتها في جيبها مع بعض الدولارات. طُلب منها عدم أخذ كمبيوتر إلى إيران عندما حصلت على تأشيرة الدخول. وقيل لها إنه توجد مقاهٍ للإنترنت في كل مكان، حيث تستطيع النفاذ إلى الإنترنت. وكانت تحمل جهاز البلاكبيري في جيبها.

ما إن وضعت أغراضها حتى رافقتها الفتاتان إلى الأسفل، إلى المطبخ، حيث سكبت جيلفه والفتاتان الوجبة اللذيذة في الأطباق، وساعدتهن الخادمات الثلاث على نقل الطعام إلى غرفة الطعام.

ليست العائلة غنية جداً، لكن بدا جلياً أنها مرتاحة مادياً. كانت جيلفه ترتدي فستاناً أسود رزيناً، وتضع حول معصمها ساعة جميلة. ولاحظت كايت أن الفتاتين تضعان أساور ذهبية، فيما وضع رجال العائلة ساعات كبيرة.

وفيما كانت جيلفه تحضر المائدة، سمعت كايت الأذان للمرة الأولى. إنه نداء لصلاة الظهر، ويتم إعلانه عبر المذياع في كل أرجاء المدينة، فيما يقول المؤذن الكلام نفسه الذي يسمعونه خمس مرات يومياً. وتوقف فجأة كل شيء. لم يصدر أي صوت من المنزل، فيما أصغى كل أفراد العائلة إلى الأذان. تأثرت كايت بالصوت. أخبرها بول أنها ستسمعه يومياً عند الفجر، وفي منتصف النهار، وبعد الظهر، ومباشرة بعد غروب الشمس، وبعد ساعتين من غروب الشمس. إنه نداء للصلاة، ويرفع خمس مرات يومياً.

عندما انتهى نداء المؤذن، عادت الحياة إلى المنزل مجدداً.

فاحت رائحة الزعفران والفاكهة والقرفة من الطعام الذي حضرته جيلفه بمساعدة الفتيات. كانت هناك أطباق دجاج وسمك، وبدت كلها لذيذة بالنسبة إلى كايت. دخل الرجال المنزل، وأدركت كايت كم هي جائعة بعد الرحلة الطويلة، بالرغم من أنها أكلت وجبتين على متن كل رحلة. لم تكن تعرف ما هو الوقت في نيويورك الآن، لكنها شعرت وكأنها في عالم آخر؛ في كوكب آخر، وعلى مسافة مليون ميل من وطنها. مضت ساعتان فقط على وجودها في طهران، لكن عائلة بول جعلتها تشعر بارتياح تام.

جلس الجميع في أماكنهم أمام الطاولة، وجلست كايت بين شيرين وسودابيه، فيما تولت الفتيات الثلاث تمرير الأطباق، وتحدث أفراد العائلة إلى بعضهم بحيوية كبيرة. عودة بول إلى المنزل احتفال كبير بالنسبة إليهم جميعاً. كان الرجال يتحدثون إلى بعضهم بحيوية باللغة الفارسية، وضحكوا كثيراً. بدا بول مرتاحاً تماماً معهم، كما لو أنه لم يغادرهم قطّ، وانهمكت شيرين وسودابيه في سؤال كايت عن الموضة في نيويورك، مثلما تفعل أي فتاة في مثل عمريهما. وبين الحين والآخر، كان بول يبتسم لكايت لطمأنتها، وأدركت أن الأسبوعين سيكونان طويلين من دون أي اتصال جسدي، أو تبادل للعاطفة بينهما. إلا أنه ثمن ضئيل لقاء تجربة المجيء إلى طهران. وفرحت لأنها جاءت.

سألها بول عبر الطاولة في مرحلة ما: «هل أنت بخير؟». وابتسمت له وأجابت: «بخير». عرف أن هذا مختلف جداً بالنسبة إليها، خصوصاً وأنها لا تتحدث اللغة الفارسية، وأرادها أن تشعر بأنها في منزلها. لقد أنجز عمه وزوجته وأقاربه عملاً رائعاً في الترحيب بها. وأحبت كايت الطعام أيضاً. سكبت لنفسها من أطباق عدة واستمتعت بالطعام الحريف والتوابل اللذيذة.

تحدث الشابان إليها بشأن زيارة الجامعة غداً، فقد أرادت كايت

رؤيتها مع البازار أكثر من أي شيء آخر. ووعداها بأن يرياها كل شيء في أثناء وجودها معهم. ولم تكف كايت عن التفكير في أنهم يبذلون كل جهد ممكن لجعلها تشعر بالارتياح برفقتهم. تحدث بعدها جدّ بول بالفارسية بنظرة محتارة. طرح سؤالاً على بول، فأجاب عنه بول بالنفي.

سألت كايت باهتمام: «ماذا سألك؟». أحست أن جده قد سأله عنها، لأنه نظر إليها مرات عدة.

قال بول بهدوء: «سألني إذا كنت حبيبتي، وقلت له لا». إنه الاتفاق الذي تم بين بول وكايت قبل مجيئهما، وأومأت كايت برأسها. من الأفضل ألا يعرفوا بذلك. فإذا عرفوا، فستكون الأمور معقدة بالنسبة إلى بول.

بعد الغداء، اقترحت جيلفه أن تصعد الفتيات الثلاث إلى الأعلى للراحة. فلحقت كايت بشرين وسورابيه إلى الطابق العلوي. انضمت قريبتا بول إليها في غرفتها؛ حيث أفرغت حقائبها، وتأملتا ثيابها بإعجاب. أمسكت شيرين كل شيء أمامها وأحبت تجربته، لكنها لم تجرؤ على السؤال، فيما وضعت كايت أغراضها في الدرج والخزانة، وأفرغت محتوى حقيبتها بسرعة.

قررت وضع مالها وجهاز البلاكبيري بعيداً، إذ إن حملهما في المنزل أمر سخيف. مدت يدها لوضعهما في جيب حقيبة ظهرها، مع جواز سفرها. لكن، ما إن فتحت سحاب الجيب حتى لاحظت أن بطاقة اعتمادها ودفتر الشيكات وجواز السفر قد اختفت. الجيب فارغ. لقد أخذها أحدهم في أثناء تناولهم الغداء لأنها تحققت من وجودها مباشرة قبل الغداء. أحست كايت بموجة ذعر تسيطر عليها. إنه إحساس غريب من دونها. تساءلت إذا كان بول أو أحد أقاربه يمازحها، وأملت أن تكون الحال كذلك.

لكن، عندما ظهر بول بعد دقائق قليلة، وذكرت له الأمر بصوت خافت مع نظرة قلقة، بدا متفاجئاً أيضاً. ذهب لإخبار عمه بالأمر فوراً. وكل ما قاله له عمه هو أن كايت لا تحتاج إلى أي منها في أثناء إقامتها

معهم، ورأى أنه من الأفضل حفظها في الخزنة. فهم لا ينوون السماح لها بأن تدفع ثمن أي شيء خلال إقامتها معهم، ولذلك لن تحتاج إلى بطاقة الاعتماد أو دفتر الشيكات، وأشار إلى أن كايت لا تحتاج إلى جواز سفرها قبل أن تغادر. لم يعرف بول قطّ من فتش حقيبة ظهرها، ولم يجرؤ على السؤال. فعمه هو صاحب السلطة هنا، وعندما شرح الأمر لكايت بعد وقت قصير، بدت منزعجة. ذهب بول بعدها إلى غرفته للتحقق من أغراضه، ووجد أن جوازي سفره قد اختفيا مع ماله أيضاً. شعرت كايت بالامتنان لأنها أبقت مالها وهاتفها معها في أثناء تناول الغداء عندما أخبرها بول بما قاله عمه الذي يفضّل وضع جواز السفر وبطاقة الاعتماد في خزنة مقفلة.

سألت كايت بول همساً في الردهة في الطابق العلوي: «هلا طلبت منهم أن يعيدوها إليّ. أفضل أن أتركها معي. لا أشعر بالارتياح من دون جواز سفري». وفرحت لأنها أجرت نسختين مصورتين عن جواز سفره وجواز سفرها، ولا تزال هاتان النسختان في قعر حقيبة ظهرها.

طمأنها: «وأنا أيضاً. سأتحدث إلى عمي مجدداً». إنها أول مشكلة في الرحلة. لكن، عندما تحدث إلى عمه، أخبره هذا الأخير أنهما لا يحتاجان إلى جوازي سفرهما. لم يشأ بول التجادل معه والتقليل من احترامه، وكان عمه صارماً جداً بشأن إبقاء جوازي السفر معه. بدت كايت وكأنها على وشك البكاء عندما أخبرها بول بذلك.

قالت: «يجعلني هذا الأمر متوترة فعلاً». وتمنّت لو أنها تستطيع معانقته، فهي تحتاج إلى الشعور بالطمأنينة. أخافها فقدان السيطرة على جواز سفرها، وجعلها تشعر بعجز تام. أدركت حينها أنها لم ترسل رسالة هاتفية إلى آنبي عندما وصلا، ولم تكن واثقة إن كان هاتفها سيعمل هنا. قررت المحاولة، وأرسلت رسالة قصيرة قالت فيها: «وصلت سالمة. أحبك». ثم قررت إيقاف هاتفها عن العمل للحفاظ على البطارية، في حال لم يسمحوا لها بالحصول على شاحن أيضاً.

إنها واثقة بأنّ نيتهم طيبة حيال الاحتفاظ بجواز سفرها، لكنها شعرت

بالانزعاج لفقدانه. وضعت جهاز البلاكبيري في جورب وأخفته تحت فراشها، حيث عرفت أنه سيكون بأمان. فهو وسيلة الاتصال الوحيدة مع العالم الخارجي، وهي لا تريد أن تفرغ بطاريته أو يؤخذ منها عنوة. لم تحب فكرة تواجدها من دون جواز سفرها، ودفتر الشيكات، وبطاقة الاعتماد، التي تعتبر كلها أدلة ملموسة على حريتها واستقلاليتها. شعرت بالصدمة لأنه تم أخذها منها، مهما كانت الدوافع جيدة. جعلها ذلك تشعر بأنها طفلة وليست راشدة. ولم يكن بول سعيداً أيضاً. أشار عمه إلى أن جواز سفره الإيراني وحده المهم هنا، وأن جواز سفره الأميركي غير مفيد له في طهران على كل حال. لم يشأ بول خسارة جوازي سفره، وتملك كايت جواز سفر واحداً فقط. لكن، لا يسعهما فعل شيء حيال ذلك. عم بول هو رأس العائلة، وهو يتخذ القرارات نيابة عنهم جميعاً، وحتى نيابة عن كايت في أثناء وجودها معهم.

بعد ذلك، خرج بول وقريباه للقيام بجولة على الأماكن المألوفة، فيما بقيت النساء في المنزل، ولعبت شيرين وسودابيه الورق مع كايت. كانت تود الخروج مع بول والشابين، ورؤية المدينة أكثر، لكنها لم تشأ أن تكون فظة مع الفتاتين اللتين تحمستا جداً لوجودها معهما.

عاد الشباب بعد ثلاث ساعات بمعنويات مرتفعة. قال بول إنه ذهب إلى مدرسته القديمة، وزار أحد أصدقاء الطفولة. وتفاجأ حين اكتشف أن صديقه هو خطيب سودابيه، وأنهما سيتزوجان في هذا الصيف. كان أمراً غريباً بالنسبة إليه أن يفكر في أن أصدقاءه سيتزوجون، لكنه يعرف أن الناس هنا يتزوجون في سن مبكرة. وبقدر ما يحب كايت إلاّ أنه لم يشعر بأنه مستعد لذلك. أحب عودته إلى طهران، ورؤية عائلته وأصدقائه وكل المشاهد والأماكن المألوفة، والاستمتاع بالأصوات والروائح التي اشتاق إليها منذ زمن بعيد.

خرج مجدداً مع الرجال في تلك الليلة. هذه المرة، ذهب عم بول معهم. وكان يفترض بهم أن يلتقوا أصدقاء آخرين في الطريق. نظر بول

إلـى كايـت باعتـذار فيما غادروا. فقد أراد عمـه أن تبقى في المنزل مع جيلفه والفتاتين. يريد الرجال الخروج بمفردهم، لأن هذه هي العادة هنا.

فـي ذلـك المساء، استلقت كايت وشيرين وسودابيـه على سريرها وتحدثن عن الموضة مجدداً، وعن نجوم السينما. لم تعرفا الجميع، وإنما البعض منهـم، وذهلتا لدى سماعهما كل مـا قالته كايت. عاملتاها وكأنها شخص مبجل. عرفت كايت أن آني سترتاح عنـد معرفتها مدى ترابط العائلـة وتماسكهـا، ومـدى اهتمامهم بها. ولم تمانع سهر بول خارجاً مع الشبـاب. إنهـا متفهمة حيال ذلك وأرادت أن يستمتع برفقة أقاربه الشبان بعد غياب طويل.

ضحكت الفتيات الثلاث وقهقهن كثيراً في تلك الليلة. وسألت سودابيه كايت إن كانت تملك صديقاً مقرّباً، وشهقت بحماسة عندما قالت لها كايت إنها تملـك واحداً. وضحكت كايت على سخرية القدر لكون ذلك الصديق قريبهما، وهي لا تستطيع إخبارهما.

خلـدت الفتيـات إلـى النـوم قبل وقت طويل من عـودة الشباب إلى المنزل، وتساءلت كايت عمّا يفعلونه. بالرغم من نواياها الجيدة، شعرت بأنهـا منبـوذة مـع تأخر الوقت. ولم تـرَ بول مجدداً إلا فـي أثناء تناول الفطـور فـي صباح اليوم التالي، وكان قلقاً خلال الفطور. اعتذر مجدداً على عدم اصطحابها معهم في الليلة الفائتة.

سألها بول: «هل نمت جيداً؟». متمنياً لو أنه يستطيع وضع ذراعيه حولها، ولكن حتماً ليس هنا.

ابتسمت له وأجابت: «نعم. في أي وقت عدتم إلى المنزل؟».

قال: «قرابة الثانية». وبعد قليل نزل كل أقربائه إلى الأسفل وناقشوا الزيـارة التـي سيقومون بها إلى الجامعة في ذلـك اليوم. سيذهب الشبان الثلاثة مع سودابيه وكايت. كانوا جميعاً بمعنويات مرتفعة عندما غادروا مباشرة بعد الفطور.

تأثـرت كايـت بضخامـة الجامعة، وبقوا فيها طـوال اليوم، وتولى

الشبـان شـرح كل شيء. توقفـوا مرات عدة للتحدث إلـى أصدقاء لهم، وقام قريبا بول بتعريفه إلى عدد من الطالبات الشابات.

الجامعة أكبر من جامعة نيويورك حيث يذهب تيد إلى كلية الحقوق، وأكبر بكثير من جامعة برات حيث تدرس هي وبول التصميم.

تحمست كايـت لزيارتهـم الجامعة، وحاولت اقتـراح الذهاب إلى المتحـف بعـد ذلـك، لكن لم يرغب أحد في الذهـاب معها، ووعدها بول بأن يتدبر الأمر. كانت تواقة أيضاً لرؤية البازار الذي سمعت الكثير عنه.

شغلـت جهـاز البلاكبيري لوقت قصير عندما خلدت إلى السرير في تلـك الليلـة، ولاحظت أنهـا تلقت رسالة نصية من آنـي: «اعتني بنفسك. أحبك». بعد قراءة الرسالة، أوقفت عمل الجهاز مجدداً. لا تزال البطارية ممتلئـة، وفرحـت لذلك لأن جهاز شحن البطارية الذي أحضرته معها قد اختفى من حقيبة ظهرها. لا تملك سودابيه ولا شيرين هاتفاً خلوياً، وقالتا إن والدهمـا لا يحبـه، لكنهمـا تملكان جهاز آي بود تستمعان بواسطته إلى الموسيقى.

خـلال تناولهما الفطور مـع كايت في اليوم التالي، تحدثت الفتاتان عن زفافيهما. كانتا متحمستين لذلك، ولم تمانع شيرين أن تتم خطوبتها من رجل أكبر منها بخمسة أعوام. رأت أنه وسيم جداً. وأرادت كلتا الفتاتين إنجاب الأولاد سريعاً. إنها ثقافة يبدأ بها الجميع بسن مبكرة. أخبرت جيلفه كايت أنها تزوجت حين كانت في الرابعة عشرة، وأنجبت ابنها الأول في عمر الخامسة عشرة، وأن زوجها أكبر منها بكثير. أدركت كايت عندما قالـت ذلـك أن جيلفـه أصغر من آني بثلاثـة أو أربعة أعوام، وبدا مذهلاً أن لديها ولداً في الثالثة والعشرين من عمره. شرحت لها حينها أن خالتها قد تولت تربيتهم، وأن والديها قد ماتا عندما كانت في الخامسة. صدمت جيلفـه حيـن عرفت أن آني غير متزوجـة ولم تنجب أولادها هي. قالت: «كم هذا محزن!». وبدت متعاطفة معها، وأدركت كايت أن هذا صحيح. لكن، يبدو أن آني لا تبالي؛ فهم أولادها.

وفي بول بوعده ونظم زيارة إلى متحف الفن المعاصر في ذلك اليوم. وهذه المرة، ذهبت الفتاتان معهم. توجد في المتحف أرقى مجموعات الفن المعاصر التي رأتها كايت في حياتها، بقوا هناك لساعات، ثم استكشفوا حديقة النحت بعد ذلك.

في نهاية الأسبوع، ذهبت كايت مع بول والآخرين إلى البازار الكبير، واشترت قلادة فضية كبيرة لآني. بدت المشاهد والأصوات والروائح في البازار مذهلة بالنسبة إلى كايت. فهناك أميال من الأكشاك التي تبيع كل أنواع الأغراض. احتشد الناس حولها، وتم إجراء مفاوضات جدية. كان البازار أكبر كثيراً مما تخيلته، ومليئاً بالأشخاص، وأمضت كايت وقتاً مذهلاً.

الأسبوع الأول في طهران كان رائعاً. لكن، في نهايته، اعترف بول وكايت لبعضهما بأنهما اشتاقا إلى نيويورك وإلى حياتهما هناك. لقد كان وقتهما ممتلئاً جداً بحيث شعرا أنه مضى على وجودهما في طهران وقت أطول. واشتاقت كايت إلى آني. إنها تستمتع بصحبة عائلة بول لكنها شعرت فجأة بأنها بعيدة، واشتاقت إلى عائلتها.

قررت كايت في ذلك اليوم إرسال بريد إلكتروني إلى آني بدلاً من استعمال هاتف البلاكبيري. طلبت من أحد أقارب بول اصطحابها إلى مقهى للإنترنت بعد الجامعة، وكان لطيفاً كفاية لفعل ذلك. أخبرت آني في الرسالة الإلكترونية عن حالهما، وأن المكان ممتع جداً، وأنها مشتاقة إليها. وأكدت لها أنها بخير. ثم أرسلت رسالتين قصيرتين إلى تيد وليز أيضاً. وبعد كتابة الرسائل، اشتاقت أكثر إلى وطنها. فبالرغم من الأشياء الجميلة التي اكتشفتها في طهران إلا أنها بدأت تشعر بحنين حقيقي إلى الوطن. وعندما عادت إلى المنزل، بدت كئيبة قليلاً. شعر بول بالأسف عليها عندما رآها، وأعجب بشجاعتها وبتحلّيها بروح رياضية حيال كل شيء لغاية الآن. لقد انسجمت مع كل ما يفعلونه. كان أسبوعاً حافلاً، وأحس بول مرات عدة بأن عائلته تحاول إقناعه بالانتقال مجدداً إلى

طهران. وذكّروه جميعاً مرات عدة بأنه سيكون أكثر سعادة هنا؛ حيث ينتمي. أحب العودة إلى طهران، لكنه أدرك أيضاً أن هذا لم يعد موطنه، واشتاق إلى والديه وأصدقائه وحياته المألوفة في نيويورك. ذكّره جده في كل مناسبة بأنّه إيراني، وليس أميركياً، وكرر عمه وأقاربه الفكرة نفسها. شعر بارتياح تام في طهران، لكنه مستعد للعودة إلى نيويورك. أسبوع واحد كان كافياً. وبدا الأسبوعان فترة طويلة جداً.

شعرت كايت بذلك أيضاً، وكانت متعبة من الادعاء بأنهما مجرد صديقين. اشتاقت إلى معانقته وتقبيله كلما أرادت ذلك. ووجدت أحياناً أنه من المرهق استيعاب ثقافة جديدة تماماً، وفهم كل عاداتها. فرح بول بمجيئهما، وخصوصاً لأنه تشارك التجربة مع كايت. وعلى عكس كل تحذيرات آني، لم يندم أي منهما على أي شيء في الرحلة لغاية الآن، بل أحبا كل شيء فيها. أظهر لها بول كل ما أراده، وكل ما أملت كايت أصلاً في رؤيته قبل مجيئهما.

بعد ثاني زيارة لهما إلى البازار لشراء سوار لليز وحزام لتيد، بدأت كايت تشعر بالغرابة في أثناء العشاء. فقد أصبحت شاحبة جداً، وقالت إنها تشعر بالقليل من الدوار، ثم تصبب منها الكثير من العرق. بدت جيلفه قلقة على الفور، وتحسست رأسها، وقالت إنها تعاني الحمى. بدت كايت محرجة، فغادرت الطاولة، وصعدت إلى الأعلى وأصبحت مريضة جداً بعد دقيقتين. بدت أسوأ بكثير عندما صعد بول إلى الأعلى للاطمئنان عليها بعد العشاء. ساعد كايت على الاستلقاء على السرير، ونزل إلى الأسفل لإخبار زوجة عمّه أن كايت تحتاج إلى طبيب. صعدت جيلفه إلى الأعلى للتحقق منها بنفسها، وفي ذلك الوقت كانت كايت ترتجف بشدة مع نوبات برد وحمى قوية. كانت كايت تبكي، وقالت إنها تعاني آلاماً مبرّحة في بطنها، وشعر بول بالكثير من القلق عليها. أصرّت على أنها لم تتناول أو تشرب أي شيء في البازار، وقالت جيلفه إن هذا يبدو مثل انفلونزا سيئة جداً عانوا منها جميعاً في ذلك الشتاء. قالت كايت إنها لم تمرض

هكذا قطّ في حياتها، وانحنى بول لتقبيل جبينها، فيما دخلت جيلفه الغرفة للاطمئنان على كايت مجدداً، ورأته وهو يفعل ذلك، فنظرت إلى بول بامتعاض كبير.

«لا يمكنك فعل هذا هنا، وأنت تعرف ذلك. وإذا قبّلت كايت أمام الناس، فستقعان في ورطة كبيرة. ليس هذا سلوكاً ملائماً. لو رآك جدك تفعل هذا لانفطر قلبه». ثم نظرت إليهما معاً وقالت له بهمس كي لا يسمعها أحد: «هل هي حبيبتك؟». راقبته كايت بعينين واسعتين فيما صمت قليلاً قبل أن يجيب، ثم أومأ برأسه. لم يشأ الكذب على زوجة عمّه، وكان واثقاً من تكتمها حيال الموضوع. فقد عرف أنها استلطفت كايت كثيراً.

أجاب ببساطة: «نعم».

«وهل يعرف والداك؟». بدت مصدومة، فيما أومأ برأسه مجدداً.

«نعم، إنهما يعرفان. وهما يحبان كايت، لكنهما قلقان بشأن العلاقة في المستقبل. لكن الأمر مختلف بالنسبة إلينا. نحن نعيش في نيويورك، وليس في طهران». لم تقل جيلفه أي شيء لبرهة طويلة فيما فكرت في الأمر.

ثم قالت بهدوء: «أظن أنك ابتعدت عن وطنك لوقت طويل جداً. وقد حان الوقت لكي تعود إلى هنا وتتذكر من أنت». كانت واضحة تماماً حيال ذلك.

قال بهدوء: «لا أستطيع فعل ذلك. أنا أعيش في نيويورك، ووالداي هناك».

«لقد أخطأ والداك بأخذك بعيداً عندما كنت صغيراً جداً». ثم صدمته بما قالته لاحقاً. «نريد منك أن تبقى هنا الآن. يمكنك الدراسة هنا مع أقاربك، ويمكنك العيش معنا». كانت تقصد ذلك تماماً، لكن بول لم يكن يريد البقاء، وكان مستعداً للعودة. وكانت كايت تصغي بعينين واسعتين.

قال بول بصوت مذعور: «لا أستطيع فعل ذلك جيلفه. سيغضب والداي إذا لم أعد، وأنا أيضاً. أحب هذا المكان، لكنه لم يعد موطني».

قالت بصرامة: «ستكون طهران دوماً موطنك». وفيما قالت ذلك، أسرعت كايت إلى الحمام مجدداً وسمعاها تتقيأ. قالت جيلفه بهدوء: «سأتصل بالطبيب. يمكننا التحدث عن ذلك لاحقاً». لكن نبرتها جعلته يشعر بالتوتر. كانوا يملكون جوازي سفره، ولم يكن بإمكانه مغادرة طهران من دون واحد منهما على الأقل. وجعلت جيلفه الأمر يبدو وكأنهم مصممون على إبقائه في طهران.

لم يملك الوقت لمناقشة الموضوع معها أكثر، فقد وصل الطبيب بعد نصف ساعة، وكانت حرارة كايت حينها 103 درجات فهرنهايت، وكانت مريضة أكثر من أي وقت مضى. فحص الطبيب كايت وقال إنها مصابة بفيروس ما أو بالتهاب جرثومي، وفكر في نقلها إلى المستشفى، لكن بعد مناقشة الأمر مع جيلفه، قرر تركها في منزلهم.

بقيت حرارة كايت مرتفعة طوال ثلاثة أيام، واهتمت بها جيلفه، وزارها بول كلما أتيحت له الفرصة. وشعر بالامتنان لأن جيلفه لم تخبر أحداً في العائلة بأن كايت حبيبته. لكن كلما ازداد مرضها، بدا ذلك أكثر وضوحاً. فقد فَقَدَ صوابه بسبب قلقه عليها. وبدت كايت مثل الهيكل العظمي عندما انخفضت درجة حرارتها بعد أربعة أيام؛ أي قبل يومين من موعد عودتهما المقرر إلى الوطن. كانت شاحبة جداً، وهناك هالتان سوداوان حول عينيها، ولم تتصل بآني لأنها لم تشأ إزعاجها. فهما سيعودان إلى الوطن قريباً على كل حال. وعندما اختفت الحرارة أخيراً، أخبر بول كايت أنها كانت شجاعة جداً. ربّت على يدها فيما قال ذلك لكنه لم يحاول تقبيلها مجدداً قطّ. فقد عرف تماماً من جيلفه أن هذا سيسبب فضيحة كبيرة.

أعلن الطبيب أنها بحال جيدة تسمح لها بالعودة إلى نيويورك في الوقت المحدد، وبدت كايت مرتاحة. فهي لا تريد أن تعلق هنا. شعرت أنها مريضة فعلاً، وأرادت العودة إلى آني وإلى سريرها. حين كانت مريضة شعرت أن عمرها خمس سنوات. لكن جيلفه اهتمت بها جيداً،

بقدر ما تفعل أني تقريباً، وإن كانت قد استخدمت علاجات مختلفة. لكنها ممرضة ممتازة، وحنون جداً معها.

أكد بول على حجز تذكرتي السفر في ذلك اليوم وذهب لرؤية عمه لطلب جوازات السفر منه. أصغى إليه عمه، وأومأ برأسه، وفتح درجاً في مكتبه وأعطاه جواز سفر كايت، ولكنه لم يعطه جوازي سفره. أعطاه بطاقة اعتماد كايت ودفتر شيكاتها، ولكن لا شيء من أغراض بول.

قال بول بهدوء: «أريد أغراضي أيضاً». فيما هزّ عمه رأسه.

أجاب بصرامة: «لا أظن ذلك. نريد أنا وجيلفه أن تبقى هنا. هذا هو مكانك».

قال بول بصوت أجش فيما شعر بالقشعريرة: «لا، ليس كذلك. لا يمكنك إبقائي هنا رغماً عني. فعاجلاً أم آجلاً، سأعثر على طريقة للمغادرة. منزلي في نيويورك».

«أنت لا تنتمي إلى نيويورك بول. إيران هي بلدك. طهران هي موطنك».

«أميركا هي وطني الآن أيضاً. ونيويورك موطني، وليس طهران. أحب هذا المكان، لكنه أصبح من التاريخ بالنسبة إليّ. مستقبلي وحياتي في الولايات المتحدة».

«هذا خطأ كبير ارتكبه والدك قبل عدة أعوام. خدعه المال الذي قد يجنيه في الولايات المتحدة. هناك أمور أخرى أكثر أهمية من هذا؛ مثل العائلة والتقاليد. يمكنك تصحيح ذلك الآن بالبقاء هنا».

قال بول وهو يبدو خائفاً: «لا أريد. وعليّ إعادة كايت إلى منزلها. إنها مريضة، وحان الوقت لكي نغادر».

أصرّ عمه بهدوء: «يمكنها السفر بمفردها». وشعر بول وكأنه يتحدث إلى حائط.

سأل بول وهو يبدو مذهولاً: «هل تقول لي إنك لن تعطيني جوازي سفري؟».

أجاب عمه بنظرة مصمّمة: «نعم». فيما حدّق إليه بول وهو غير مصدق. «أظن أنك تحتاج إلى البقاء هنا. وعليك إرسال كايت إلى وطنها».

قال بول بصرامة: «لن أدعها تسافر بمفردها». فلم يجب عمه بأي شيء وغادر الغرفة بهدوء، من دون أن يقول أي كلمة أخرى لبول.

صعد بول إلى غرفة كايت بعد دقيقتين، ونظرة قلق واضحة تبدو على وجهه.

قالت كايت نصف ممازحة: «ما المشكلة؟ تبدو وكأن أحداً قد مات».

«هذا صحيح. مات جوازا سفري. لن يعيدهما عمي إليّ».

«هل أنت جاد؟». بدت كايت مذعورة فيما أومأ لها برأسه وأعطاها جواز سفرها.

قال بحزن: «يريدون أن أبقى هنا».

«لكم من الوقت؟».

«يبدو لي أنهم يريدون إبقائي إلى الأبد. برأيهم الشخصي، أنا إيراني، وأنتمي إلى هذا المكان». كان هذا الأمر هو الشيء الوحيد الذي أقلق أمه عندما غادرا؛ أي احتمال أن يحاول أحد إبقاءه هناك. وتبين أنها لم تكن مخطئة. «عليك أن تعودي إلى نيويورك بمفردك. فأنا لا أريد أن تبقي هنا. أنت مريضة، وعليك العودة إلى منزلك».

قالت بنظرة ذعر: «لن أتركك هنا. ماذا لو طلبنا المساعدة من السفارة السويسرية؟».

«لا يمكنهم فعل شيء. فأنا أعتبر مواطناً إيرانياً هنا».

قالت كايت وقد بدأت تبكي: «لا يستطيع عمك فعل ذلك بك».

«بلى، يستطيع. إنه رأس العائلة. قال إن جدي سيموت إذا غادرت مجدداً». بدا بول محطماً فيما قال ذلك. «وسيموت والداي إذا لم أعد. يظن أنه يجدر بهما العودة أيضاً».

قالت كايت بصرامة: «لن أغادر طهران من دونك». وأمسكت

جواز سفرها بيدها.

«ستجنّ خالتـك. كما أن تأشيرة دخولك تنتهي بعد أسبوعين. أريد منـك أن تعـودي». كانـت لا تزال تبدو مريضة جـداً. فالفيروس الذي أصابها أثر فيها بقوة.

قالت كايت وهي تبكي: «لن أتركك هنا».

قـال: «لا نملـك خياراً». فيما وضع ذراعيه حولها وأمل ألا يراهما أحد. ولم يرهما أحد هذه المرة.

قالت كايت بنظرة تحدٍّ: «سأرسل رسالة إلى خالتي».

قـال بـول وهو يبدو محطماً: «لا يمكنها فعل أي شيء». لقد أصدر عمه الأوامر وانتهى الأمر. فهو يريد منه أن يبقى في طهران.

قالـت كايـت: «أنـت لا تعرف آنـي». فيما تمددت تحـت فراشها، وسحبـت جهـاز البلاكبيـري وارتاحـت حيـن رأت أن البطارية صالحة للاستعمـال. أرسلـت رسالة إلى آني فيما راقبها بول. كانت رسالتها إلى خالتهـا مقتضبـة: «تعرضـت لانفلونزا سيئة. عم بـول لا يريد أن يعيد له جـواز سفـره. أنـا أملك جواز سفري. لن أغادر من دونه. أنا مريضة. بول عالق. ماذا نفعل؟ هل يمكنك المساعدة؟ أحبك؟ ك». وضعت جهاز البلاكبيـري تحـت فراشها مجـدداً بعدما أوقفته عن العمل، نظر إليها بول مع ابتسامة حزينة. أحسّ أنه لن يعود أبداً إلى نيويورك، وشعر بالكثير مـن الأسـف على والديه. وأسف الآن لأنـه جاء إلى طهران مع كايت. لقد علق، وخلال أسبوعين، عندما تنتهي صلاحية تأشيرة دخولها، عليها العودة. كانت آني وأمه محقتين. كانت هذه الرحلة خطأً كبيراً.

الفصل الحادي والعشرون

أمضى طوم وآني عطلة نهاية أسبوع مثالية مع بعضهما، وذهبا إلى دا سيلفانو لتناول العشاء ليلة الجمعة. كما ذهبا للتسوق يوم السبت، وأنجز لها طوم بعض التصليحات في الشقة. حضّرا العشاء ليلة السبت، ومارسا علاقـة حميمـة على ضوء الشموع بعد ذلـك. وبعد ظهر يوم الأحد، بعد قراءة نيويورك تايمز، ذهبا إلى السينما.

تناولا الغداء في مطعم ميرسر مع تيد، واحتفلوا بتحرره من باتي. فبعد أن سلّم كل فروضه انسحب من صفها، ولم يمانع تفويت هذه المادة؛ فكلّ ما أراده هو ألا يراها أبداً مجدداً. عندما قدم ورقة انسحابه من المادة إلى مكتب المسؤول عنه، رأته باتي في الممر ولم تتفوه بكلمة. لقد لعبت كل أوراقها وخسرت، وعرفت ذلك. شعر أنه رجل جديد، وقرر الذهاب إلى شقته. لقد سئم من العيش مع باتي. كل ما يريده الآن هو العودة إلى دروسه. شعر أنه حرّ وحيّ مجدداً.

قـال تيـد خـلال الغداء إنه حـاول الاتصال بليز طـوال عطلة نهاية الأسبوع.

قالت آني: «إنها في لندن».

«ماذا تفعل هناك؟».

أجابت آني مع ابتسامة غامضة: «إنها تلتقي صديقاً لها». فقد اتفقت ليـز وأليسانـدرو على اللقاء هناك في عطلة نهاية الأسبوع، وشجعتها آني على الذهاب.

سألها تيد: «هل عرفت أي شيء عن كايت؟».

قالـت آنـي: «تلقيت رسالـة إلكترونية منها. يبدو أنها تستمتع. أعتقد

أنني كنت مخطئة في شعوري بالقلق». وبدت مرتاحة، وفرح طوم بذلك أيضاً.

«وأنا أيضاً. أرسلت لي بريداً إلكترونياً. لكنه كان قصيراً، ولم تقل فيه إلا مرحبا وإلى اللقاء وإنها تحبني. متى ستعودا؟».

قالت آني: «بعد أيام قليلة». وكانت مسرورة لأن كل شيء جرى على ما يرام معها. كانت ويتني محقة. عليها السماح لهم بالتحليق بمفردهم. فقد انتهى تيد من وضعه المأساوي مع باتي، وتخلصت ليز من جان لوي، ويبدو أن كايت بخير في إيران. كل شيء جيد في عالمهم.

قال تيد: «أظن أنها كانت مخطئة في الذهاب». وبدا مثل الأخ الكبير المعارض. لكنه لم يكن يوماً مغامراً مثل كايت؛ حتى عندما كان صغيراً.

قالت آني: «ربما لا. فإذا سارت الأمور على ما يرام، فستكون هذه مغامرة رائعة لها، وستشعر بأنها كفوءة جداً، وقادرة على الاهتمام بنفسها عندما تعود إلى هنا».

قال تيد: «بول رجل رائع، لكنها لا تعرفه جيداً كفاية للذهاب معه إلى ذلك المكان البعيد. وثقافته عالم آخر تماماً». لم تعارضه آني، لكنها فرحت لأن كايت تستمتع. ذهبت هي طوم بعد ذلك إلى السينما. أوقفت عمل هاتفها الخلوي، وتناولا البوشار، واستمتعا بالفيلم، ثم عادا إلى المنزل. كانا يحضران العشاء عندما تذكرت تشغيل هاتفها مجدداً. عادت إليه الحياة فوراً وأبلغها أن هناك رسالة هاتفية لها. كانت الرسالة من كايت، وكاد قلبها يتوقف عندما قرأتها، ثم سلمتها إلى طوم.

قالت بنظرة ذعر: «ماذا أفعل؟». كون كايت مريضة أمر سيئ كفاية، لكنها ترفض مغادرة طهران من دون بول، وهو عالق من دون جوازي سفره.

قال طوم بعبوس: «لا يبدو هذا جيداً. لِمَ لا تتصلين بوالدي بول وتسألينهما عن رأيهما؟ فهما يعرفان الظروف والعائلة في طهران أفضل منا. قد يكون عم بول يتبجح فقط ويحاول إقناعه بالبقاء». اتصلت آني

بوالدي بول على الفور، وشعرت بالامتنان لوجود أمه في المنزل. قرأت رسالة كايت الهاتفية على مسمع والدة بول وسألتها عن رأيها، فشعرت والدته بالقلق فوراً مثل آني. كان زوجها خارج المنزل، وكانت صريحة مع آني.

«طلبت منّا العائلة أن نعود قبل عدة أعوام. فهم يظنون أنه يجدر ببول العيش هناك وليس في الولايات المتحدة. أخ زوجي رجل عنيد جداً، وبإمكانه أن يُبقي بول هناك إلى الأبد». بدأت تبكي فيما قالت ذلك. «لهذا السبب لم أكن أرغب في سفره. لن يلحقوا به الأذى. إنهم يحبونه ويظنون أنهم يفعلون الشيء الصحيح له. سيصححون الخطأ الذي قمنا به بإحضاره إلى الولايات المتحدة. وأنا آسفة بشأن كايت. أتمنى أن تكون بخير. جيلفه امرأة لطيفة جداً، وأنا واثقة بأنها أحضرت طبيباً لكايت واهتمت بها جيداً».

شرحت آني: «لكن كايت ترفض الآن مغادرة طهران من دون بول». إنه وضع فوضوي يصعب حله. وعدت والدة بول بالاتصال بها مجدداً، وقالت إنها ستتصل بالعائلة في طهران، وتحاول الحصول على المزيد من المعلومات. وما إن أقفلت آني السماعة حتى استدارت نحو طوم.

نظرت إليه آني بعينين واسعتين وسألته: «كيف أصل إلى طهران؟». لم تكن تعرف من أين تبدأ، لكنها عرفت أنه يعرف.

«تحتاجين إلى تأشيرة دخول، يستغرق الحصول عليها أسبوعين أو أكثر». بدا شارداً، ثم انحنى لتقبيلها. شعر بالأسف عليها، فقد بدت آني قلقة جداً. «دعيني أرى ما يمكنني فعله. أملك بعض الأصدقاء في وزارة الخارجية. وقد يستطيع أحدهم المساعدة». أمضى الساعات الثلاث التالية وهو يتحدث عبر الهاتف، واتصل بأشخاص مختلفين، وعده اثنان منهم بفعل ما يمكن في اليوم التالي. عليهما الحصول على تأشيرة الدخول من السفارة الباكستانية؛ مثلما فعلت كايت، لكن طوم شرح لهم الوضع. قال

إن هناك فتاة أميركية مريضة في طهران، ورفيقها الإيراني المسافر معها بات من دون جواز سفر ولا يستطيع المغادرة نتيجة ذلك. ليس الوضع مهدداً للحياة، لكنه تعيس جداً بالنسبة إلى كايت وبول العالقين هناك. شرح أن خالتها تريد الذهاب لإحضارها، لأن كايت لا تستطيع السفر بمفردها، وتحتاج إلى رعاية طبية بأسرع ما يمكن في الولايات المتحدة. لم يعرف إذا كان هذا صحيحاً لكنه أمل أن يعتبر ذلك سبباً كافياً للحصول على تأشيرة فورية. شرح أيضاً أن رفيق كايت في السفر هو صديقها الإيراني الذي يحمل جنسية أميركية أيضاً، ويعيش والداه في نيويورك، وهما مواطنان أميركيان أيضاً. ليست هذه إذاً علاقة عاطفية أقامتها كايت في طهران. لقد ذهبا معاً لزيارة عائلته، ثم مرضت كايت، والآن ترفض عائلته السماح له بالمغادرة.

عرف أن كايت ما كانت لتطلب مساعدة آني لو لم تكن مضطرة إلى ذلك تماماً، ولا سبيل آخر لديها. وإلا، لوجدت تسوية بنفسها. إنها فتاة مستقلة جداً. ولا يعرفان كم هي مريضة، أو ماذا أصابها؛ الأمر الذي أقلقه أيضاً. لم يكن هناك شيء آخر يستطيعان فعله قبل الصباح. استلقت آني مستيقظة طوال الليل، وأرسلت لكايت رسالة هاتفية قالت لها فيها: «نعمل على معالجة الوضع. اصمدي. سأكون عندك بأسرع ما يمكن. أحبك. آ.» حاولت الاتصال بعم بول، لكنه لم يجب على الهاتف، مما أزعج آني أيضاً.

كاد قلبها يتوقف عندما رنّ الهاتف عند الساعة السابعة من صباح اليوم التالي. فقد اتصل أحد أصدقاء طوم بالسفير الباكستاني في واشنطن وأخبره أنها خدمة شخصية لصحافي مشهور، وقال له إنه يحتاج إلى تأشيرتين لدخول إيران. لم يقل طوم أي شيء لآني بعد، لكنه حسم أمره في اليوم السابق وطلب تأشيرتين للدخول بدلاً من تأشيرة واحدة. أراد الذهاب معها. فهو يعرف المنطقة، والبلاد، والعادات، ويعرف أنها ستواجه وقتاً صعباً بمفردها هناك. من الأفضل أن تسافر مع رجل،

وأراد مساعدتها. وهو يملك الوقت.

وافق السفير على منحهما تأشيرتين للدخول في تمام الساعة التاسعة من ذلك الصباح. وكل ما عليهما فعله هو استلام التأشيرتين من القنصلية الباكستانية في نيويورك، ليسافرا في أقرب رحلة إلى لندن. عليهما اتباع المسار نفسه الذي اعتمده بول وكايت. اعترف السفير الباكستاني للوسيط بأن آخر شيء يريدونه هو فتاة أميركية مريضة عالقة في طهران، مع وجود أحد أهم الصحافيين الأميركيين الذي يطلب المساعدة نيابة عنها. إنه طلب مساعدة لا يمكنهم تجاهله. إنه غير مؤذٍ، وغير سياسي، ووضع يريدون حله.

عندما أخبرها طوم أنه ذاهب معها شعرت آني بالإحراج والذنب. قالت آني لطوم: «لا يمكنك التخلي عن كل الشيء والذهاب. أستطيع تدبر أمري وحدي». حاولت أن تكون شجاعة وألاّ تستغله أو تستغل معارفه، باستثناء الحصول على تأشيرة دخول وتذكرة سفر. لكنها شعرت بالكثير من الامتنان لمساعدته إياها.

قال طوم بصرامة: «لا تكوني غبية. كنت مدير مكتب في ذلك القسم من العالم لمدة سنتين. لا يمكنك فعل ذلك وحدك. سأذهب معك. سأتصل بالشبكة. أنت اتصلي بمكتب السفريات». جعل الأمر يبدو بسيطاً جداً، ولا شك في أن هذا أسهل مما لو عملت وحدها. «يمكننا الحصول على تأشيرتي الدخول في طريقنا إلى المطار، وسنسافر في رحلة الظهر إلى لندن؛ إذا كانت هناك رحلة». تمنت آني ذلك، إذ كانت تريد الوصول إلى طهران بأسرع ما يمكن. فهي لا تعرف إلى أي درجة كايت مريضة.

اتصل طوم بالشبكة وأخبرهم أنه يحتاج إلى إجازة شخصية لمدة ثلاثة أو أربعة أيام، وحجزت آني مقعدين في رحلة الساعة الواحدة إلى لندن. اتصلت بمكتبها بعد ذلك، ثم اتصلت بتيد وأخبرته بما يجري. انزعج لدى سماعه ذلك، وأمل ألا تكون كايت مريضة جداً، وهذا ما أملته آني أيضاً. اتصلت والدة بول حينها. لقد تحدثت إلى جيلفه التي قالت

إن كايت عانت حمى قوية وديزنتريا حادة، لكنها أصبحت أفضل. وقالت جيلفه إنهم سيبقون بول معهم، لأنه يجدر به البقاء في إيران وليس في الولايات المتحدة. قالت إنهم يحاولون التعويض عن فشل والديه، مما أزعج والدة بول أكثر. كانت تبكي عندما أخبرت آني أنهم يرفضون السماح لبول بالمغادرة.

بعد ذلك، وضبت آني حقيبة صغيرة تستطيع حملها داخل الطائرة. وضعت فيها عدداً من الأوشحة لرأسها. وبعد ساعة، كانا في طريقهما إلى القنصلية الباكستانية. اتصل بها والد بول، وأعطى طوم كل التفاصيل بشأن كيفية العثور عليهما، كما أعطى طوم أيضاً رقمي جوازي سفر بول، وأرقام هاتف أخيه مجدداً، حيث يقيم بول وكايت. كانا يملكان كل شيء يحتاجان إليه، وما من شيء آخر يستطيع طوم وآني فعله الآن، باستثناء الوصول إلى هناك والاطلاع على حقيقة الأمور. إنهما واثقان بأن كايت ما كانت لتتصل بآني مطلقاً لو استطاعت تدبر الأمور وحدها. وشعرت آني بالكثير من الامتنان لأن طوم جاء للمساعدة.

كانت الرحلة إلى لندن طويلة ومتعبة، تلتها رحلة أخرى إلى طهران. تحدثا بهدوء وحاولا تخمين ما يجري. خشيا أن تكون عائلة بول قد اكتشفت أن كايت أكثر من مجرد صديقة، وأن الاثنين على علاقة عاطفية. خشيت آني أيضاً في أثناء وجودها في الطائرة ألاّ تكون قادرة على تلقي رسائل هاتفية من كايت لأن هاتفها خارج الخدمة. حاولت ألا تخاف كثيراً خلال الرحلتين. ولم تكن هناك أي رسالة هاتفية في أثناء انتظارهما في مطار هيثرو قبل الإقلاع إلى طهران. أرسلت آني رسالة تقول: «نحن في طريقنا إليكما. أحبك. آ». ولم تحصل على أي جواب.

تم أخذ بصماتهما في دائرة الهجرة في مطار الإمام الخميني في طهران؛ تماماً مثل الجميع، وعبرا الجمارك بسهولة. حجز طوم غرفتين في الفندق. فقد افترض أنهما قد يبقيان أياماً عدة ولذلك نظم كل شيء لهما. حتى إنه حجز غرفة لكايت.

كان يفكر في الذهاب إلى الشرطة، لكنه لم يشأ جعل الأمور أسوأ. وهما لا يملكان صفة قانونية لمساعدة بول. إذ يملك عمه الحق في أخذ جوازه. ما إن عبرا جهاز الأمن حتى أوقفا سيارة أجرة لأخذهما إلى العنوان الذي أعطاهما إيّاه والد بول. لم يعرفا ماذا سيجدان هناك، وكيف سيكون موقف عائلة بول حيالهما، أهو موقف ودي أم عدائي؟ يبدو جلياً أن هناك خطأً ما لأن بول لا يستطيع مغادرة طهران. وازداد قلق آني لأنها لم تتلقَ أي رسائل من كايت. خافت أن تكون مريضة أكثر مما قالوا. ماذا لو تعرضت لشيء قاتل مثل التهاب السحايا؟ أو ماتت؟ تلألأت الدموع في عينيها كلما خطرت لها هذه الفكرة.

عندما شغلت كايت جهاز البلاكبيري مجدداً، كانت البطارية فارغة. لذا، لم تعرف أن آني في طريقها إليها. واستلقت على سريرها، وهي تفكر في وضعهما. لا سيما وأنّ بول من دون جواز سفر لا يستطيع مغادرة إيران.

لا تزال جيلفه تهتم بها. وكانت حنوناً ولطيفة معها؛ تقدم لها الشاي، والوجبات الصغيرة والأرز، والأعشاب التي قالت إنها ستساعدها على استرداد عافيتها ومنحها القوة، وكانت كايت تشعر بالتحسن. لكنها لم تعرف كيف تُخرج بول من طهران وتعود معه إلى الولايات المتحدة، ولا هو أيضاً. جاء إلى غرفتها باستمرار للاطلاع على حالتها. وأخبرته أنها لم تسمع أي خبر من خالتها لأن بطارية هاتفها فارغة.

فيما ارتاحت كايت في غرفتها، سمعت صوت الأذان الصادر مباشرة بعد غروب الشمس، فيما نادى المؤذن الناس للصلاة. أصبح الأذان صوتاً مألوفاً الآن، منذ وصولها إلى هنا. ستسمع آخر أذان لهذا اليوم بعد ساعتين. وكانت كايت كلما رأت بول، عندما يأتي لزيارتها، وجدته مكتئباً جداً. فقد علق في الفخ.

احتاج طوم وآني إلى ساعة ونصف الساعة للانتقال من المطار إلى المنزل. كانت زحمة السير خانقة، وبدت آني متوترة فيما جلست على المقعد الخلفي في السيارة مع طوم، وقد لفت حول رأسها أحد الأوشحة التي أحضرتها معها. وضعته في الطائرة قبل هبوطهما، عندما ذكّرتها المضيفة بلطف بضرورة فعل ذلك. كل ما استطاعت فعله هو تمني أن تكون كايت بخير ولم تصب بمرض خطير أو حتى مميت. أملت ألا تكون قد عانت جفاف الجسم نتيجة الحمى المرتفعة. كانت قلقة جداً عليها.

توقفت سيارة الأجرة أخيراً أمام منزل كبير، وخرجا من السيارة. لم تشعر آني بتعب السفر، لأنها كانت متوترة جداً، ولم تنم طوال الرحلة. همس لها طوم بعد خروجهما من سيارة الأجرة بضرورة التظاهر بأنها هادئة وصبورة وقوية، وألا تتهمهم بأي شيء، مهما كانت غاضبة من كايت وبول. أراد طوم التحرك بحذر، والتصرف بودية وتحضر قدر الإمكان إلى أن يعرفا ما يجري.

ضغط طوم على الجرس، وجاء خادم لفتح الباب. سأل عن عمّ بول بالاسم بصوت واضح أوحى بالثقة والقوة. مرّت بضع دقائق، ثم جاءت جيلفه إلى الباب لإلقاء التحية عليهما، وبدت لطيفة.

عرّفت آني عن نفسها قائلة: «أنا آني فيرغوسون. أنا خالة كايت وجئت من أجل ابنة أختي». ونظرت مباشرة إلى العينين مع تعبير جدي. لكنها لم تلقَ عدائية من جيلفه التي ابتسمت لها. قالت آني وهي تهدأ قليلاً: «أرسلت لي رسالة تقول فيها إنها مريضة». استدارت إلى طوم حينها. «وهذا طوم جيفرسون. إنه صحافي أميركي. أودّ رؤية بول وكايت». أرادت رؤيتهما على الفور، لكن جيلفه بدت غير مستعجلة. مضى يومان تقريباً على تلقي آني رسالة كايت الهاتفية. كانت متوترة جداً، ولم تفعل شيئاً سوى تمني أن تكون على قيد الحياة. إذا كانت مصابة بالتهاب السحايا فقد لا تكون على قيد الحياة. هذه الفكرة جعلت آني ترتجف.

ابتسمت لها جيلفه قائلة: «طبعاً. أخبرتني كل شيء عنك». ثم طلبت

منهما الانتظار قليلاً. اختفت وجاء زوجها إلى الباب بدلاً من ذلك. نظر إلى الأميركيين، وأومأ برأسه، ثم دعاهما للدخول. أخذهما إلى غرفة الجلوس وسألهما إذا كانا يودّان شرب أي شيء. كان مهذباً جداً وبدا مضيافاً، وبدا مثل والد بول تماماً، وأرادت آني الصراخ عليهما ليأخذاها إلى الشابين، لكنها تذكرت تحذير طوم بضرورة التصرف بتمدن وهدوء وصبر. إنها خاضعة لظروفهم.

قالت له آني مباشرة: «قال لي أخوك إنك ستساعدني». وأرادت منه أن يستعجل لكنه لم يستعجل. رفضا شرب أي شيء. «أعرف أن ابنة أختي كانت مريضة، وأنا واثقة بأنكم كنتم في غاية اللطف معها. لكن قيل لي إنك أخذت جواز سفر بول. انزعج والداه كثيراً من ذلك. أتوقع منك السماح لهما معاً بالمغادرة معي». قالت ذلك على أمل إقناعه من دون شجار.

أجاب بهدوء: «بول وكايت هنا. وتتحسن ابنة أختك يوماً بعد يوم. أصيبت بفيروس سيئ من نوع ما، لكنها أصبحت أفضل حالاً الآن. تهتم زوجتي بها، وسنعيدها إليك طبعاً. احتفظنا بجواز سفرها فقط كي لا تضيعه». لم تعلّق آني لكنها شكّت في أن يكون ذلك صحيحاً. «أما ابن أخي فهو قصة مختلفة. هذا وطنه، وإرثه. إنه ينتمي إلى هنا، وليس إلى نيويورك. كانت حماقة وخطأ من أخي أن يبتعد ويترك إيران قبل أعوام عدة. يحتاج ابنه إلى أن يكون هنا، مع عائلتنا. سيعيش بول حياة أفضل هنا. نريده أن يبقى». انفطر قلبا آني وطوم لدى سماعهما هذه الكلمات. عرفا أن عمّ بول صريح وواثق تماماً بأنه يفعل الشيء الصحيح له. لم يكن خبيثاً أو سيئ النية، وإنما فقط مضللاً، خصوصاً منذ عيش بول ووالده في نيويورك. لكن عمّ بول بدا مقتنعاً تماماً بما قاله. لم يتجادلا معه، وكل ما أرادته آني الآن هو رؤية كايت.

سألت آني بهدوء: «أين كايت؟». أرادت رؤية كايت على الفور، لكنها أرادت إخراج بول أيضاً.

«إنها في الأعلى في غرفتها». بدا قلقاً بشأن طوم فيما قال ذلك. أحسّ أن طوم شخص مهم، أو ربما شخص خطير، ولم يكن مخطئاً. كان طوم يراقب ولم يتحدث بعد.

سألت آني بنظرة رعب: «هل لا تزال على قيد الحياة؟». ماذا لو ماتت فيء أثناء سفرهما في الطائرة؟ التهاب السحايا هو خوفها الأكبر، لأنه يقتل الشباب بسرعة. لكن العم كان ليخبرها بذلك فوراً لدى وصولهما لو كان الأمر كذلك. الخوف يشلّ تفكير آني ويوتر أعصابها. قالا إنها أفضل حالاً، لكن هل هذا صحيح؟

طمأنها فوراً: «إنها على قيد الحياة طبعاً».

قالت آني: «أريد أن أراها». وحبست دموع الإرهاق والارتياح، وتدخل طوم. إنه مشهد يسبب التوتر. وتساءل طوم إذا كان هناك شيء أكثر مما قالته كايت في رسالتها الوجيزة. لقد عرفوا ربما بشأن العلاقة العاطفية بين بول وكايت وانزعجوا وأرادوا إنهاءها بإبقاء بول في إيران.

سأل طوم مباشرة: «هل ارتكبا جرماً؟».

طمأنهما: «ليس علناً حتماً». بالرغم من أن زوجته قد أخبرته أنهما أكثر من صديقين ما إن اكتشفت الأمر بنفسها. فهي لا تخفي أسراراً عن زوجها. «بالرغم من أنهما يبدوان قريبين من بعضهما أكثر مما اعترفا به عند وصولهما. العقاب قد يكون قاسياً جداً هنا بالنسبة إلى التورط في علاقة كهذه». كاد أن يغمى على آني عندما سمعت كلماته، وضغطت على يد طوم. «لهذا السبب، كان بول مخطئاً في إحضار كايت إلى هنا والادعاء بأنهما صديقان. لكنهما أحمقان وشابان». ابتسم لهما. «لكن، إنه أمر غير حكيم أن يحصل ارتباط بينهما. لهذا السبب، يجب أن يبقى بول هنا. لن يكون هناك أي خطر عندما تغادر كايت. أعدت لها جواز سفرها، وبطاقة اعتمادها، ودفتر شيكاتها. يمكنها الذهاب. أنا واثق بأنها ستفرح برؤيتك». ارتاح طوم وآني كثيراً مما قاله. فهو لا يملك سبباً لإبقاء كايت هنا، ولا يريد ذلك. ليست رهينة، إنها ضيفة، وقد عاملوها

هكذا. «ابن أخي ينتمي إلى هنا؛ إلى بلده. ولن يغادر مع كايت».

بدا طوم غاضباً عندها وقال: «هذا شيء فظيع تفعله بأخيك وزوجته. بول ولدهما الوحيد، وسينفطر قلباهما».

قال بهدوء: «قد يقنعهما هذا الأمر بالعودة». إنه أمله الكبير.

«ليس هذا واقعياً، وأنت تعرف ذلك. فهما يملكان حياة هناك، والآن عملاً. لن تكون العودة سهلة عليهما». أومأ عمّ بول برأسه. «وأنا مستعد لإحداث جلبة كبيرة إذا لم تعد إليّ الشابين الآن، مع جوازي سفر بول. يريده والداه في نيويورك، وقد طلبا مني إحضاره». إنه ضرب من الشجاعة، لكنه أملهما الوحيد. يملك عمّ بول كل الحق في رفض طلب طوم.

«لست واثقاً بأنه يريد المغادرة. يملك روابط قوية بأرضه وبنا. بي وبزوجتي؛ بأقاربه وجده». يعني له والداه أكثر، لكن طوم لم يقل ذلك. وقف عم بول، وقال بلطف: «سآخذكما إلى كايت». كما لو أنهما ضيفا شرف، وهكذا كانت كايت.

بعد قليل، كانوا هم الثلاثة في الطابق العلوي، وطرق عمّ بول على الباب ثم فتحه. شاهدوا كايت جالسة على سريرها، فيما كان بول جالساً على كرسي قربها. كانا يتحدثان بهدوء وقلق، وشعرا بالذهول عندما دخل طوم وآني الغرفة. طلبت مساعدة آني لكنها لم تتوقع مجيئها. أطلقت كايت صرخة، وقفزت بين ذراعي خالتها، فيما ابتسم بول لطوم بامتنان، ونظر إلى عمه ببرودة.

قال طوم بوضوح: «أريد جوازي سفره الآن. الآن. لا يمكنك إبقاؤه هنا رغماً عن إرادته. أنا صحافي، وأنا مستعد للمضي في هذه القضية». ساد الغرفة تردد طويل طويل، ثم غادر عم بول الغرفة من دون أن ينبس بأي كلمة. عاد بعد خمس دقائق مع جوازي سفر بول في يده. أراده أن يبقى، لكنه لم يشأ التسبّب بإحراج لبلده إذا كان طوم سيحدث فضيحة في الصحافة، وبدا أنه مستعد لفعل ذلك. كان حبه

واحترامه لبلده أكبر من رغبته في إجبار ابن أخيه على البقاء. لقد خسر معركة بول وربحها طوم. أعطاه عمّ بول جوازي السفر من دون كلمة، وبنظرة حزن وهزيمة.

قال طوم بهدوء: «شكراً». وأخذهما ووضعهما في جيب سترته، فيما راقب الشابان المشهد مذهولين.

طلب منهما طوم توضيب أغراضهما على الفور. لم يشأ منح عم بول الوقت لتبديل رأيه. بقيت آني لمساعدة كايت، وذهب بول إلى غرفته لإحضار أغراضه. يملك طوم جوازي السفر ولن يفلتهما الآن. حرية بول بين يديه.

بعد عشر دقائق، نزلوا إلى الأسفل مع الحقائب. بدت كايت مضطربة وهزيلة وشاحبة جداً. جاءت جيلفه إلى القاعة حينها، وبدت هي وزوجها حزينين لأن ابن أخيه سيغادر. كان جد بول خارج المنزل، ولا يستطيع وداعه، وأقاربه في المدرسة. وتم إرسال الفتاتين إلى غرفتيهما ولم تظهرا. لن تتاح لبول فرصة وداع أي منهم، وبدا حزيناً.

شكرتهما آني على الاهتمام بكايت، وكذلك فعلت كايت، وكانت جيلفه تبكي فيما نظرت إلى بول. عرفت أنها لن تراه مجدداً، وعانقته قبل أن يغادروا. تلألأت الدموع في عيني عمه فيما استدار ورفض توديعه، ثم غادر الأميركيون الأربعة المنزل. وتأثر طوم لدى رؤيته بول يبكي أيضاً عندما استقلّوا سيارة الأجرة. كان يفكر في الجد الذي لن يراه أبداً مجدداً. نظر بتوق كبير إلى منزل عمه فيما ابتعدت السيارة. كان ممزقاً فعلاً بين ثقافتين وحياتين. فقد أحب هذا البلد، وأحب عائلته. العودة إلى هذا المكان عنت له الكثير، أحب نوعاً ما البقاء. لكنه عرف أنه لا يستطيع؛ إذ سيموت والداه إذا فعل ذلك. ورأت كايت الحزن على وجهه أيضاً. كان ممزقاً بين عالمين، وبين الأشخاص الذين يعيشون في هذين العالمين. مهما كانت الحياة التي سيختارها، فسيكون الأشخاص الذين يحبهم في الجانب الآخر.

بكى بصمت طوال الطريق إلى الفندق. ولم يتفوه أحد بكلمة في سيارة الأجرة. مشهد معاناته الظاهرة كان مؤلماً وصعباً جداً. تساءل طوم إذا كان قد فعل الشيء الصحيح بإجبار العم على إعطائه جوازي السفر، وجعل بول يتركهم. ربما أراد البقاء. لكن بول لحق بهم إلى الفندق عندما وصلوا، وشكر طوم على مساعدته إيّاه على استرداد جوازي سفره وإنقاذهما معاً. احتاجت كايت فعلاً إلى العودة إلى الوطن، وما زالت تبدو بصحة سيئة، بالرغم من أنها أصبحت أفضل الآن. وبالرغم من أنه كره مغادرة طهران، إلاّ أنه أراد العودة إلى والديه في نيويورك، وكان ممتناً لمساعدة طوم.

حجز لهم قسم الخدمات في الفندق في رحلة إلى لندن بعد ثلاث ساعات؛ إذ لم يرغبوا في البقاء أكثر. وصلت حقائب آني وطوم إلى الفندق عند وصولهما. وكان لديهما الوقت الكافي لإحضارها، والمغادرة مجدداً، والعودة إلى المطار. لقد جرى كل شيء بسهولة أكثر مما توقع طوم وآني، لأن عم بول كان منطقياً. تأثرت آني بالأسى الذي بدا على وجهي عمّ بول وزوجته. فقد بدا جلياً أنهما يحبان بول ويريدان أن يبقى. لكن والديه في نيويورك سيتحطمان أكثر إذا بقي هنا.

اتصلوا بوالدي بول من المطار، فشعر والداه بالارتياح لدى معرفتهما بعودته إلى المنزل، وكانا ممتنين لأن طوم قد ساعده. عرفا أن بول ما كان ليعود لولا ذلك. فعمّه شخص مهيمن بالنسبة إلى شاب في عمره. ومن الصعب التغلب عليه، وبالكاد نجح طوم في ذلك. وقد استندا إلى حب عم بول لبلده ووفائه لإيران، لعدم إحداث فضيحة عامة في الصحافة عبر عدم السماح لبول بالمغادرة.

لم تقل كايت وبول أي شيء لبعضهما في أثناء الرحلة إلى لندن. كانا شاردين ومضطربين، وفيما أقلعت الطائرة من طهران، جلس بول محدّقاً إلى المدينة التي أحبها وحزن لمغادرتها. بعد فترة، ناما، من دون التفوه بكلمة. غطتهما آني ببطانيتين، وعادت إلى مقعدها، وقبّلت طوم

وشكرته مجدداً. كانت ملحمة غريبة بالنسبة إليهم جميعاً.

كانوا جميعاً مرهقين في أثناء الاستراحة الوجيزة في لندن. بدت كايت مريضة، وكانوا جميعاً مرهقين عاطفياً. هذه المرة في الرحلة إلى نيويورك، شاهدوا الأفلام، وتناولوا العشاء، وتحدث بول وكايت بهدوء لبعض الوقت. إنها المرة الأولى التي تدرك فيها كايت أن بول ممزق بين حياتين. تساءلت قبل أن يغادرا طهران إذا كان بول سيتحلى بالجرأة ويبقى في النهاية. فقد بدا بوضوح إيرانياً أكثر مما ظنت. في الحقيقة، كان يشعر بالانتماء إلى البلدين معاً. فهو يملك مشاعر وفاء قوية لأميركا وإيران في آن واحد، وهو ممزق بين الاثنين.

كان والداه في انتظاره في المطار عندما وصلوا. وانفجرت أمه في البكاء عندما رأته، وتشبثت به لفترة قبل أن تلتفت إلى طوم وتشكره؛ وكذلك شكرت آني. نظر الشابان إلى بعضهما بحزن. لقد حصل شيء لهما في ذلك اليوم. لقد انتقلا إلى مرحلة الرشد، ولاحظا كم تختلف ثقافاتهما، وأدركا أنهما مهمّتان لكل منهما. كانت كايت أميركية من كل النواحي، وكان بول ممزقاً بين عالمين. الوضع الذي عاشاه كان مخيفاً لهما معاً، وأكبر من أن يستطيعا تدبره بمفردهما. شعرا بالامتنان لمجيء طوم وآني، وكل ما أراده كل منهما الآن هو التواجد مع عائلته، وفي منزله.

قبّلت كايت بول على وجنته برفق قبل أن يغادروا المطار. إنها المرة الأولى التي يقبلان فيها بعضهما منذ بدء الرحلة، ولم يعرفا ما إذا كانت هذه القبلة هي قبلة التحية أم قبلة الوداع. كانا حزينين عندما غادرا، واستطاعت آني سماع صوت القلبين المحطمين عندما ودعا بعضهما.

الفصل الثاني والعشرون

كانوا جميعاً مرهقين عندما وصلوا إلى شقة آني. كان تيد في انتظارهم، وبكى ارتياحاً عندما عانق أخته. وضعتها آني في السرير بعد دقائق قليلة، ونامت كايت قبل أن تغادر آني الغرفة. كان يوماً طويلاً جداً، خصوصاً بالنسبة إلى كايت التي كانت مريضة جداً.

تمدد طوم على الأريكة فيما تحدث تيد وآني بهدوء في المطبخ وبحثا عن شيء لأكله. لم يكن طوم جائعاً، وكان متعباً جداً فيما شغل التلفاز. كان يشاهد نشرة الأخبار على محطته عندما قطعوا البث العادي للإعلان عن هجوم إرهابي في بلجيكا. فقد انفجرت قنبلة أمام مبنى مقر حلف شمال الأطلسي في بروكسيل، وقتل ستة وخمسون شخصاً.

قال طوم: «آه اللعنة!». فيما اتصل بالشبكة للاطلاع على ما يحصل.

سأله المنتج: «أين أنت؟». كانوا يحاولون الاتصال به منذ ساعات.

أجاب بصوت مرهق: «أنا في نيويورك. عدت قبل ساعتين. كنت في طهران هذا الصباح».

«عذراً طوم. نحن بحاجة إليك».

«تصورت ذلك عندما سمعت الأخبار». نهض مفترضاً أن عليه الذهاب إلى بروكسيل سريعاً.

«هل يمكنك الذهاب في رحلة منتصف الليل إلى باريس؟ يمكننا نقلك بواسطة مروحية من مطار شارل ديغول إلى بروكسيل، إذا كان هذا يناسبك».

«طبعاً». هذه هي حياته، وهذا ما يفعله. دخل المطبخ لإخبار آني.

قال: «أنا ذاهب». وبدا متعباً، لكنه ابتسم لها.

«ألا تريد أن تبقى هنا الليلة؟». ظننت أنه ينوي الذهاب إلى شقته.

«بلى. لكن، عليّ الذهاب إلى العمل. عليّ السفر بسرعة إلى باريس. ثمة هجوم إرهابي في بروكسيل».

«هل أنت ذاهب الآن؟». بدت مذهولة، وبالكاد تستطيع التحرك. لم تتخيل أنه قادر على فعل ذلك بعد يوم سفر من طهران إلى نيويورك في رحلتين. «ألا يمكنك الحصول على يوم إجازة أو ما شابه؟».

«لا، ليس عندما يكون هناك خبر عاجل مثل هذا. أستطيع النوم على متن الطائرة». شعرت آني بالأسف عليه فيما لحقت به إلى غرفة النوم ليحضر بعض الملابس النظيفة ويحضّر حقيبته. أعطته حقيبة فارغة وملأها بقمصان وثلاث بذلات، وبعض سراويل الجينز والكنزات. لا يعرف كم سيطول غيابه. قال معتذراً: «أنا آسف لتركك بهذه السرعة». وابتسمت له.

«بعد ما فعلته لنا، كيف يمكنك أن تعتذر مني؟». كانت عيناها مليئتين بكل ما تشعر به حياله، وقبّلها.

«كانت زوجتي السابقة تكره هذه الأمور. كلما حاولت القيام بمشروعات أو فعل شيء ما ينتهي بي الأمر محلقاً في الطائرة حول العالم في هذا العمل. كانت زوجتي السابقة تقول إنني لا أتواجد أبداً عند الضرورة».

قالت له آني: «لقد تواجدت للتو». فيما وضعت ذراعيها حوله وأمسكت به. «لقد ذهبت إلى طهران لإعادة شابين إلى المنزل. ما كنت لأستعيد بول لولاك، وما كان عمه ليصغي إليّ. أنا أقول إنك تتواجد عند الضرورة. أليس كذلك؟». ابتسم لها، وهو ممتن على المديح. في زواجه، لطالما شعر بالذنب. أما آني فقد جعلته يشعر بأنه بطل، وهو كذلك بالنسبة إليها.

بعدما وضّب أغراضه، استحم وبدّل ملابسه. وحضرت له شطيرة. انحنى بالقرب منها وقبّلها، دخل تيد وكايت الغرفة.

سأله تيد عندما رأى الحقيبة: «إلى أين أنت ذاهب؟».

«إلى بروكسيل. لتغطية حدث. لا راحة أبداً». ابتسم تيد ونظر إليه بذهول.

«لا أعرف كيف تفعل ذلك».

قال طوم: «تصبح معتاداً على الأمر». فيما نهض ووضع ذراعاً حول آني، بالرغم من أن اليومين الأخيرين لم يكونا عاديين، حتى بالنسبة إليه. لم يكن واثقاً من كيفية تطور العلاقة بين كايت وبول، بالرغم من أنه لم يظهر ذلك. لكنه كان متعباً أيضاً. قام بأربع رحلات دولية خلال يومين. قال لآني: «سأتصل بك». فيما قبّلها مجدداً، وخرجا من الغرفة معاً. حمل حقيبته وابتسم لها، ثم ضحك مع ابتسامة حزينة وقال: «هل تعرفين أن كسر ذراعي عندما كنت ألعب السكواش هو أفضل شيء حصل لي؟».

ابتسمت له وهي تجيب: «وأنا أيضاً بالنسبة إلى كاحلي. اهتم بنفسك. سأراك على شاشة التلفاز».

ودّعها ورحل، وعادت إلى المنزل وابتسمت لتيد. كانت أياماً مريعة، وفرح تيد من أجلها، وفرح لعودة أخته إلى المنزل بخير. وقد نجح كل ذلك بفضل طوم. ما من شك في ذلك. إنه رجل مذهل.

كانت الشقة هادئة بعد ساعة. وكانوا جميعاً في غرفهم نائمين. نظرت آني إلى الساعة، وأدركت أن طوم على متن الطائرة التي تقلع في هذه اللحظة. من الجيد معرفة أنه في مكان ما في العالم، وسيعود قريباً. لم تعد تستطيع تخيل الحياة من دونه. ولم تعد تتساءل إذا كان هناك مجال له في حياتها. إنه جزء منها الآن؛ إنه واحد منهم. وهناك مجال للأولاد بقدر ما هناك مجال لطوم. إنه دورهما الآن.

استيقظت كايت وهي تشعر بالتحسن في اليوم التالي. الرحلة إلى طهران كانت مثل حلم. بدت وهمية وبعيدة جداً. اتصلت ببول عندما

استيقظت، وبدا حزيناً عندما تحدث عن ترك عائلته في طهران، بالرغم من أنه فرح لدى رؤيته والديه مجدداً، وبالعودة إلى نيويورك. فقد شعر بالخوف عندما ظن أنه علق في طهران رغماً عن إرادته. وعد بزيارة كايت بعد الظهر، ولاحظت كايت شيئاً مختلفاً في صوته. بدا هادئاً وبعيداً.

بدا غريباً عندما جاء لزيارتها. الرحلة إلى طهران كانت ممتعة ومرحة، لكن ورطته هناك هزتهما معاً. أحست كايت الآن أنها في علاقة غير مستعدة لها بعد. لقد تحدثا عن الزواج كما لو أنه بسيط وسهل. لكنها أدركت الآن كم تختلف حياتاهما، وكم أن حياته أكثر تعقيداً، فهو ممزق بين عائلتين وعالمين، القديم والجديد. كانا يحتاجان إلى الوقت للتعافي من الاكتشافات التي حصلت معهما خلال الرحلة. هناك الكثير لاستيعابه، وأدركت أنهما غير مستعدين بعد ليكونا راشدين تماماً، وأنهما بحاجة إلى استراحة. رأى بول ذلك أيضاً. لا يزال الوقت مبكراً جداً لاتخاذ قرارات بشأن المستقبل. وهما يحتاجان إلى الوقت ليكونا مجرد شابين، وباتت الأمور قوية جداً بالنسبة إليهما. وهما يحتاجان إلى الوقت مع عائلتيهما وأصدقائهما وفي عالميهما. قبّلها بول عندما غادر، وعرفا أنهما يحتاجان إلى الوقت للنضوج والتنفس. وبدت كايت حزينة فيما أغلقت الباب خلفه.

لقد أخذا جرعة كبيرة من الحياة في الأسابيع القليلة الماضية، ووجدا صعوبة في استيعابها. تبين أن الحياة معقدة أكثر مما ظنا، وشعرا بالامتنان لأنهما عادا إلى منزليهما وهما مجرد شابين مجدداً. لم يكن أي منهما مستعداً للنضوج بعد، وهما فرحان بذلك. تبين أن حلم دمج عالميهما المختلفين أصعب مما تصورا، مهما كانت أصولهما. أصبحا جديين كثيراً بسرعة كبيرة وعلى نحو أقوى منهما.

عادت ليز من لندن بعد يومين. ولم تصدق قطّ ما حصل في غيابها، وتناولت العشاء معهم في الشقة. أما تيد فقد قرّر أن يبقى مع آني في المنزل إلى أن يعثر على مكان جديد، وأخبرت كايت آني هذا الصباح أنها ستعود إلى الجامعة ما إن يبدأ الفصل التالي. وقد أبلغت محل الوشوم بقرارها

أيضاً، وتوقفت عن العمل هناك. أرادت فقط الاستمتاع في المنزل معهم. فهي تحتاج إلى الوقت للتعافي من الفيروس الذي التقطته في طهران. أخذتها آني إلى الطبيب وأكد أنها ليست في خطر، لكنها لا تزال ضعيفة.

سألت آني ليز عندما جاءت للزيارة: «كيف هي لندن؟». لكن النظرة على وجهها قالت كل شيء.

«كانت رائعة. سيأتي أليساندرو إلى هنا في الشهر المقبل، وأريدك أن تتعرفي إليه. إنه ناضج. من الجميل التواجد مع رجل وليس مع ولد. إنه رجل، ويتصرف هكذا. أنا أحبه آني». للمرة الأولى في حياتها، عرفت أن هذا صحيح. لم تكن خائفة من حبه، مهما بدا الأمر خطيراً.

قالت آني مع ابتسامة: «هذا ما أردته لك على الدوام». أصبحت ليز امرأة الآن، ولم تعد طفلة. سألتها آني: «هل أسمع أجراس الزفاف في المستقبل؟». أملت ذلك، لكنها لم تشأ أن تضغط عليها.

«ربما. لسنا مستعجلين. إذا سار كل شيء على ما يرام، فقد أتقدم بطلب للعمل في مجلة فوغ الإيطالية. لكننا نريد أن نرى كيف ستجري الأمور. قد أساعده على فتح متجر في نيويورك».

«يبدو كل هذا جيداً». شعرت آني كما لو أن ليز قد عادت إلى المنزل سالمة. احتاجت إلى ستة عشر عاماً. ولاحظت أن ليز قد اكتسبت بعض الوزن أيضاً. بدت سعيدة، ولا تبدو وكأنها تركض خائفة. لم تكن خائفة من خسارته أو حبه. أرادت المجازفة. وعرفت كايت أنها غير مضطرة إلى المجازفة بهذا القدر. أما تيد فيستمتع بحريته مجدداً. لقد نضجوا جميعاً. وكذلك آني. لقد عاش كل منهم طقس التحول ونضج نتيجة ذلك.

سألتها ليز: «ماذا عنك؟ أين طوم؟».

«إنه في بروكسيل. توجب على المسكين السفر إلى هناك بعد ساعتين من وصولنا إلى المنزل. بدا أنه لا يمانع. أظن أنه معتاد على ذلك. هذه هي حياته. الركض حول العالم ومطاردة الأخبار». تملك

آني الآن أفضل ما في العالم. الأولاد الذين ربتهم، والرجل الذي تحبه وتريد التواجد معه. ثمة مجال لهم جميعاً في حياتها. وعرف طوم ذلك أيضاً. أصبحوا جزءاً من حياته أيضاً، وليس فقط حياتها. إنهم يسبحون جميعاً في الاتجاه نفسه بهدوء وسلام.

اتصل طوم بآني في تلك الليلة، مباشرة بعدما غادرت ليز، وأخبرها أنه عائد إلى المنزل. تمت تغطية الحدث في بروكسيل. إنه الصباح في بلجيكا، وقال إنه سيغادر بعد دقائق قليلة.

سألها: «ماذا سنفعل في عطلة نهاية الأسبوع؟».

«لا أعرف. لماذا؟».

«كنت أفكر في تمضية يومين في التوركس والكايكوس مجدداً. أستطيع الاستفادة من بعض الراحة». هذا ضروري بعد الأسبوع الماضي.

قالت: «وأنا أيضاً». وهي تتذكر كم كان الأمر رائعاً عندما ذهبا إلى هناك لأول مرة، وكم تطورت الأمور منذ ذلك الحين.

سألها بتفاؤل: «هل تظنين أنه في وسع الأولاد العيش من دونك ليومين؟».

«أظن ذلك. يبدو أن كل واحد منهم قد عاد إلى السكة الصحيحة في الوقت الحاضر». وشعرت هكذا أيضاً. لم تشعر يوماً بأنها قوية هكذا، وهي مستعدة لمتابعة حياتها معه.

ذكّرها برفق: «إنه دورك الآن آني». وفكّرت في الأمر، وأومأت برأسها.

«أظن ذلك». ثم صححت له مع ابتسامة بطيئة. «إنه دورنا». لقد أعطتهم ستة عشر عاماً من الانتباه الكامل، وتريد الآن مشاركة ذلك معه. لا تزال موجودة من أجل أولاد أختها، وستبقى دوماً كذلك، لكنها تملك الآن الوقت له. لقد كبر الأولاد، ويعيش كل منهم حياته. لقد ارتكبوا أخطاءهم، وصححوها. وتعلموا منها وصمدوا. وكذلك هي. لقد جاء في

الوقت المناسب إلى حياتها. فهو لم يأت في وقت متأخر، أو باكراً جداً.

قال: «أراك الليلة». وبدا هادئاً وسعيداً. كان يتحرق شوقاً للعودة ورؤيتها. لديه شيء للعودة من أجله الآن؛ امرأة، وعائلة. إنه مستعد لذلك أيضاً. لم يكن هكذا قبلاً.

كانت آني قد عادت من المكتب وتحضر لنفسها فنجاناً من الشاي عندما دخل.

سألته فيما قبّلها: «كيف كانت رحلتك؟». بدا له طبيعياً التواجد معها، كما لو أن هذه هي الحال دوماً.

«طويلة ومضجرة. اشتقت إليك».

«أنا أيضاً اشتقت إليك». كانت كايت خارج المنزل، وعاد تيد إلى شقته لبضعة أيام لتوضيب أغراضه والانتقال. أنهت إعداد الشاي، ولحق بها إلى غرفة النوم، وكان يبتسم عندما استدارت نحوه، وقالت له: «لماذا تبتسم؟». فيما جلست على السرير وخلعت حذاءها ونظرت إليه.

قال فيما جلس قربها: «كنت أفكر كم تجعلينني سعيداً. أذكر عندما فكرت أنه لا مكان لي في حياتك. لم أعد قلقاً». استلقى على السرير وشدها إليه. «أريد أن أكون هنا».

همست له: «وأنا أيضاً». ثمّ قبّلها. لم تشعر أنها ممزقة في عشرة اتجاهات. لقد كبر الأولاد، وكذلك هي.

شدها بين ذراعيه وعرف أنه في منزله. أخيراً، إنها المرأة التي يحبها، وهذا منزله الآن؛ معها. احتاج الأمر فقط إلى ذراع مكسورة وكاحل ملتوٍ، وحياة ليصلا إلى هنا. وبدا فجأة كل شيء سهلاً، ومثلما يفترض أن يكون.

توجب على آني تقديم ستة عشر عاماً من حياتها لأولاد أختها كي تصبح مستعدة له. وتوجب على ليز التعرف إلى عدد لامتناه من جان لوي لتكون شجاعة كفاية لتحب أليساندرو. كما توجب على تيد العيش مع جنون باتي ليكتشف من يكون، وما هو مهم بالنسبة إليه. وتوجب على

كايت تحدي كل شيء والجميع والمجازفة بكل شيء للعثور على حريتها.
لقد عاش كل منهم آلامه وتحدياته، وكذلك طوم. توجب عليه الزواج من المرأة غير الصحيحة ليتعرف إلى المرأة الصحيحة، حتى لو لم تصل إليه مثلما توقع، وبدت مشغولة جداً عندما تعرف إليها. لم تعرف ذلك، لكنها كانت في انتظاره.

الدروس التي تعلموها جميعاً كانت مهمة وصعبة لكنها تستحق العناء. وكان طقس التحول، لكل منهم، الدرس الواجب تعلمه. أدركت آني أن هناك تماثلاً مثالياً في ذلك، فيما ابتسمت لطوم. حتى الكاحل الملتوي والذراع المكسورة كانا جزءاً من مشيئة عليا أوصلتهما إلى بعضهما. لم يكن أي شيء صدفة أو خطأ. لم يكن الأمر سهلاً، لكن المكافآت كانت رائعة جداً، لهم جميعاً. تشعر آني بالامتنان لتحول الأمور. كانت الأمور لتختلف لو رفضوا التحدي؛ فما كانوا ليصلوا قط إلى هنا. لكنهم جميعاً تحلوا بشجاعة كبيرة. ابتسمت فيما قبّلها طوم مجدداً. لقد اكتملت الدائرة.

تمت